الصواعق الجهبلية في الرد على المجسم ابن تيمية

وهي رسالة للعلامة
شهاب الدين أحمد بن جهبل الشافعيّ
المتوفى سنة (733 هـ)
في الردّ على ابن تيميّة المشبه الحرانيّ

تحقيق وتعليق وشرح
الشيخ جميل محمد حليم علي
دكتور محاضر في العقائد والفرق

دار المشاريع
للطباعة والنشر والتوزيع



الصَّواعقُ الجهْبليَّة
في الردِّ على المُجَسِّمِ ابن تيْميَّة

وهي رسالةٌ للعلامة

شهاب الدين أحمد بن جهبل الشافعي

المتوفى سنة (٧٣٣ هـ)

في الرد على ابن تيمية المشبه الحراني

تحقيق وتعليق وشرح

الشيخ جميل بن محمد حليم علي

دكتور محاضر في العقائد والفرق

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م



بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



يقولُ الإمامُ المُزَنِيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللهُ أن يكونَ كِتابًا صحيحًا غير كِتَابِهِ».

أَخِي القارئ الكريم،

مَا كَان من خطأ في كتابنا أَرْشِدنا إليهِ

فَإنَّنا لَا نَدَّعي العِصمة،

ونحن لكَ من الشَّاكرين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التَّوطِئَة

المِيزان في بَيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القَدرِ طه الأمينِ، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغُرّ المحَجَّلِينَ، وعلى ذُرّيَّته وأهلِ بَيتِه المَيامِين المكرَّمين، وعلى زوجاتِه أمَّهات المؤمنين البارّاتِ التَّقِيَّات النَّقِيَّات الطاهراتِ الصَّفِيَّات، وصحابَتِه الطيِّبين الطَّاهِرين، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّين.

أما بعدُ، فهذه عقيدةُ كلّ الأمّة الإسلاميةِ سلَفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِ الذي يَكشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشَدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبِّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ.

أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمـنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمـنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، خلق الخلق بقُدرته، وأحكمَهم بعِلْمه، وخَصَّهم بمشيئته، ودَبَّرَهم بحِكمَته، لم يكن له في خَلْقِهم مُعِين، ولا في تَدبيرهم مُشِير ولا ظَهِير.

لا يلزمه (لِمَ)، ولا يُجاوِرُه (أين)، ولا يُلاصِقُه (حَيث)، ولا يَحُلُّه (ما)، ولا يَعُدُّه (كَم)، ولا يَحصُره (متَى)، ولا يُحِيطُ به (كَيف)، ولا يَنالُه (أيُّ)، ولا يُظِلُّه (فَوق) ولا يُقِلُّه (تَحت)، ولا يُقابِلُه (حَدّ)، ولا يُزاحِمُه (عِند)، ولا يأخُذه (خَلْف)، ولا يَحُدُّه (أمام)، ولم يَتقدَّمُه (قَبْل)، ولم يَفُتْه (بَعد)، ولم يَجْمَعْه (كُلّ)، ولم يُوجِدْه (كان)، ولم يَفْقِدْه (لَيس).

لا إلٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال: «الله جسمٌ لا كالأجسام» وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ.

لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزَّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذِ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌ أبديٌ ليس

ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابَه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾، ومن زعم أن إلـهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن، وكلّ ما دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطر وحياة وموت وصحة ومَرَض ولذّة وألم وفَرَح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبُرودة ولُيونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خَلْق لله، ﴿وَٱللَّهُ

﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشَدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، ﷺ وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفَضلُ والمِنَّةُ أنْ هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

نُبْذَة تعريفِيَّة عن حياةِ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم

بقلم الناشر

هو السيد الشريف رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم، الحسينيُّ الأشعري الشافعي الرفاعي القادريّ.

تلقَّى العلم عن علَّامة العصر وقدوة المحققين الحافظ الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي العبدري، وأجازه كثيرٌ من العلماءِ والمحدِّثين والمشايخ في شتّى البلاد إجازةً عامةً مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته.

حاز الشيخ جميل على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المُدَوِّي للمُجَسِّم ابن تَيمِيةَ الحرَّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل بالمغرب بعنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرف جدًّا.

وقد أولى الشيخ جميل اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليفِ الكتب وتحقيق مصنَّفات العلماء في مكتبته «المكتبة الأشعرية العبدرية» في بيروت وقد حوت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون. هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من بلادٍ شتّى بآثارٍ من آثار رسول الله محمَّد ﷺ، فحفظها في «الخزينة الحليمية». وكل عام يتبرك الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية[1].

---

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي: ‎+٩٦١٣٠٠٦٠٧٨‎ / ‎+٩٦١٣٢١٥٣١٦‎

sh.jamil.halim@gmail.com Sheikh.Jameel

نَسَبُ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل بن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري ابن السيد محمد ابن السيد عبد الحليم ابن السيد قاسم ابن السيد أحمد ابن السيد قاسم ابن السيد عبد الكريم ابن السيد عبد القادر ابن السيد علي ابن السيد محمد ابن السيد ياسين ابن السيد إسماعيل ابن السيد حسين ابن السيد محمد ابن السيد إبراهيم ابن السيد عمر ابن السيد حسن ابن السيد حسين ابن السيد بلال ابن السيد هارون ابن السيد علي ابن السيد علي أبي شجاع ابن السيد عيسى ابن السيد محمد ابن أبي طالب ابن السيد محمد ابن السيد جعفر ابن السيد الحسن أبي محمد ابن السيد عيسى الرومي ابن السيد محمد الأزرق ابن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب ابن السيد محمد ابن السيد علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين ابن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين(١)

---

(١) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِرْيَةٍ مضبوط في كتاب جامع الدّرر البهيّة بأنساب القرشيّين في البلاد الشّاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص٣٣٢، ٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ر - ١٤٢٧هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة (ص١) ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٠م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد، فليُعلم أن الجهل بأصول الدين قد عمَّ وانتشر، وما ذاك إلا لتقصير كثير من الناس عن تعلم ما افترض الله تعالى عليهم من علم الدين والغفلة بالتفاهات والترّهات من شؤون الدنيا وجمع الأموال وكثرة الأولاد بدليل قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [سورة التكاثر]، وكذا تقصير كثير من مشايخ الدنيا وانشغالهم بأمور لا تصب بالهدف الأسمى وهو تعليم الناس مقتضى الشهادتين وفروض العين حيث أشغلوا أنفسهم بأمور ومراكز وأعمال ليست هي الأولى، فالأولى ثم الأولى لهم أن يتمكنوا بعلم التوحيد علم العقيدة علم الكلام والأمور المفروضة على كل إنسان ثم نشرها للناس وإدخال الناس الإسلام وإظهار أفضلية الإسلام وأنه لا دين صحيح إلا الإسلام باللين والقول الحسن، ثم الازدياد من الأمور المستحبة الأخرى والتمسك بمناصب تفيد الدين والعمل بالتصوف، فتعليم الناس هو طريق نبينا الكريم وطريق الأنبياء ومن اتبعهم من الصالحين قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۝١٠٨﴾ [سورة يوسف].

ولما كان الأمر كذلك فقد ألقى بعض الناس بأنفسهم بين أيدي من نَصَّبَ نفسه للمشيخة والفتوى وهو من غير أهلها، فضلُّوا طريقهم وصاروا ينجرون

نسب السّادة العريضية (ص٤٣٣، ٤٣٤) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

وراء كل متكلم باسم الإسلام والإسلام يلعنه فسلموا أمر دينهم للجاهلين المتعالمين والعياذ بالله تعالى، فصاروا أُلعوبة بأيدي اللاعبين.

وبناء على ما تقدم فإن واجب كل ذي علم في هذا الزمان أن يُعلم الناس العقائد والفروع الضرورية من علم الدين، وذلك حتى تستقيم أمور الناس على منهاج القويم، منهاج رب العالمين الذي ارتضاه لهم، فمن المعلوم أنه لا يستقيم أساس الدين إلا على أساس التوحيد.

هذا والمتابع لعقيدة السلف الصَّالح في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة يجد فيهم كلّ الحرص على الامتثال لأوامر الله تعالى واحتياطهم لعدم الوقوع في الخطأ، ومما يؤيد هذا كلام السلف الصالح الثابت عن الأئمة مثل الإمام أحمد رحمه الله تعالى الذي قال عندما سئل عن أحاديث الصفات: «نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى[١]»[٢].

وقال الإمام الحافظ الترمذي في سننه: «والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عُيَينَة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا

---

(١) مراد إمامنا الكريم تنزيه الله عن أن يتصف بصفة فيها تشبيه له أو نقص في حقه، أي ليس لها معنى من معاني البشر، لأن من وصف الله بمعنى من معاني البشر كفر.

(٢) **لمعة الاعتقاد**، لابن قدامة الحنبلي (ص٧).

تفَسَّر[1] ولا تُتَوَهَّم ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه[2]». فانظر رحمك الله إلى دقة هذا الأسلوب وعظم دلالته على حرص السلف الصالح على الامتثال لأوامر الله تعالى من حيث احتياطهم.

هذا هو مسلك أكثر السلف الصالح رحمهم الله تعالى وهم أهل القرون الثلاثة الأولى، فإنهم يؤولون المتشابهات تأويلًا إجماليًّا بِرَدِّها إلى الآيات المحكمات وذلك بالإيمان بها واعتقادِ أنَّ لها معنى يليق بجلال الله وعظمته بلا تعيينِ معنًى ولا يفسرونها على الظاهر المتبادر منها.

فأنى لهؤلاء المشبهة المتنطعين أن ينسبوا لله تعالى الاستواء على معنى الجلوس والاستقرار والمماسة والنزول الذي هو حركة وانتقال وغير ذلك من تفاهات وتوهمات وضلال! هل هذا هو الذي يقصده السلف عندما يقولون: «أمِرُّوها كما جاءت بلا تفسير؟» كيف لهم أن يثبتوا صفات لله تعالى ويقولون هي مثل صفات البشر. بل الحنابلة المنزهين من أهل السنة عرف عنهم أن يفوضوا علم الآيات المتشابهات كلها إلى الله تعالى مع التنزيه!!، أليس المشبهة تنسب نفسها إلى المذهب الحنبلي!!، وتلبّس على عامة الناس الدين، وتصدر مشايخها كلمات من قبيل الرأي وسوء الفهم لا يعقلها السامع لها، ثم يتصدرون المجالس فيفتون الناس فيَضِلّون ويُضلون وبئس الحال.

---

(١) أي لا تحمل على ظاهرها الموهم ما لا يليق بالله عز وجل.

(٢) **سنن الترمذي**، الترمذي، (ج ٤ / ص ٦٩١).

السلف الصالح لا يصدق عليهم أنهم كانوا من المشبهة، الذين يثبتون الجهة والحدَّ والحركة والحيز لله تعالى، كما لا يصدق عليهم أن يتصوروا الله جسمًا كبيرًا أو صغيرًا أو له شكل مثل الإنسان كما تنطق الوهابية أو أنه سبحانه جالس على عرشه مماس للعرش ملاصق له أو بينه وبين العرش مسافة، أو أنه يَقتَرِبُ من عباده القرب المادي أو الحسي بالمكان والجهة، بل علماء المذاهب الأربعة على التنزيه والإيمان حيث قالوا أن الله سبحانه وتعالى موجود أزلًا وأبدًا بلا مكان وجهة وحيز لا تحويه الجهات الست ولا تحده الأماكن ليس جمسًا كثيفًا ولا جسمًا لطيفًا ليس داخل العالم ولا خارج عنه لا تدركه العقول له صفات لائقة به ليس كمثله شيء.

فلا يتوهمنَّ أحد أن مجرد قول البعض «إننا سلفيون متبعون للسلف» ينجيهم، فلم يكن للسلف عقائد فاسدة ولم يكونوا يشبهون خالقهم بشيء، ولم يكن أهل الإسلام من أهل القرون الأولى المشهود لها بالخيرية يقولون: «إن جمهور علماء الإسلام مبتدعة»، كما فعلت الوهابية وكثير من فرق المشبهة حيث اعتبرت أهل السنة فئة ضالة معطلة ونعتتها بالجهمية والعياذ بالله تعالى وكل هذا افتراء وكذب عليهم، هل علماء الإسلام وحفاظهم وأهل الفقه والتفسير واللغة والعلوم مبتدعة وأنتم أيها المجسمة فقط أهل السنة والجماعة! أين علمكم بجانب علم هؤلاء؟ وماذا فعلتم للإسلام سوى إثارة الفتن على بعض المسائل الفقهية التي جعل الله تعالى اختلاف العلماء فيها رحمة!، وأهملتم أصول الدين وقواعده الكلية، وقلتم في أصول الدين بأقوال التجسيم والتشبيه وظننتم أنكم

أنتم الناجون! لعمري إن من يفكر بهذا الأسلوب ما هو إلا من الجاهلين المارقين الذين يبالغون في الغي وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

وبالعودة إلى مسلَكَيّ أهل السنة والجماعة في تأويل الآيات المتشابهات، فالمسلك الثاني هو مسلك الخلف فهم يؤولونها تفصيلًا بتعيينِ معانٍ لها مما تقتضيه لغةُ العرب ولا يحملونها على ظواهرها أيضًا موافقين للسلف في ذلك. فالسلف والخلف متفقون على عدم الحمل على الظاهر ومتفقون ومجمعون على تنزيه الله تعالى عن الجهة والأين والمكان.

ففي قوله تعالى مثلًا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] قال أكثر السلف: «استوى بلا كيف»، أي استواء يليق بجلال الله وعظمته لا على المعنى الذي يكون من صفات المخلوقات أي لا على معنى الجلوس أو الاستقرار أو علوّ المكان.

وأما أهل المسلك الثاني فقالوا استوى أي قَهَرَ وحفظ وأبقى، لكون قَهَرَ من معاني استوى في لغة العرب ولكون هذا المعنى موافقًا للآية المحكمة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى] ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام].

ولنزيد مذهب السلف بيانًا نقدم دراسةً وتحقيقًا لتصنيف أحد علماء أهل السنة والجماعة الشيخ العلّامة شهَاب الدّين بن جهبل(١) الذي أقر عقيدة السلف

---

(١) بَنُو جَهبَلٍ فُقهَاءُ الشامِ جَدُّهم الإمامُ مَجدُ الدِّين طاهِرُ بنُ نصرِ الله بن جَهبَلٍ الحلبيّ الشافعيّ توفّي بالقُدس وولدَاه الإمَام تاجُ الدِّين إسمَاعِيل وَأَبو القَاسِم عِيسَى الحاسِبُ العَدلُ الأَخير حَدَّث عَن الحَافِظ أبي مُحَمَّد القَاسِم بن الحَافِظ أبي القَاسِم عَليّ بن الحسن بن هِبَة الله

الصالح في تنزيه الله عن التحيز في الجهة والمكان، ودحض عقيدة المجسمة وداعيتهم الأكبر ابن تيمية الحراني، التي ذكرها في أحد مؤلفاته المسمى «الفتوى الحموية الكبرى» والتي قال فيها بأن الله تعالى له أعضاء وأجزاء، وأنه يلامس الخلق، وأنه ينتقل من مكان إلى آخر، وأنه ينزل ويصعد ويستقر على العرش حيث إنه عنده جالس ومتمكن عليه، وأنه جسم مجسم منتشر في الأبعاد وله حدود في جميع الجهات.

ابن عَساكِرَ وَعنهُ الشَّرَفُ الدِّمياطيّ. ومِن وَلَدِ الإمَام تاجِ الدِّين شِهابُ الدين أَبُو العَبَّاس أحمَدُ ابنُ محيي الدّين يحيي بنِ تَاج الدِّين. وَمِنهُم أَيضًا الإمامُ ناصرُ الدِّين بنُ جَهبَلٍ. **تاج العروس**، مرتضى الزَّبيدي، مادة (ج هـ ب ل)، (٢٨/ ٢٥٩).

ترجمة ابن جهبل في سطور

هو الشَّيخُ الإِمَامُ الفَاضِلُ الزَّاهِدُ العلّامة مُفتِي المُسلِمِينَ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو العَبَّاسِ أَحمَدُ بنُ مُحيِي الدِّينِ يَحيَى بنِ تَاجِ الدِّينِ إِسمَاعِيلَ بنِ طَاهِرِ بنِ نَصرِ اللَّهِ ابنِ جَهبَلٍ الحَلَبِيُّ الأَصلِ ثُمَّ الدِّمَشقِيُّ الشَّافِعِيُّ.

وُلِدَ سَنَةَ سَبعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَاشتَغَلَ بِالعِلمِ وَلَزِمَ المَشَايِخَ وَلَازَمَ الشَّيخَ الصَّدرَ ابنَ الوَكِيلِ وَدَرَّسَ بِالصَّلَاحِيَّةِ بِالقُدسِ، ثُمَّ تَرَكَهَا وَتَحَوَّلَ إِلَى دِمَشقَ فَبَاشَرَ مَشيَخَةَ دَارِ الحَدِيثِ الظَّاهِرِيَّةِ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مَشيَخَةَ البَادَرَائِيَّةِ[1] فَتَرَكَ الظَّاهِرِيَّةَ وَأَقَامَ فِي تَدرِيسِ البَادَرَائِيَّةِ إِلَى أَن مَاتَ.

كَانَ مِن أَعيَانِ الفُقَهَاءِ ولم يأخذ معلومًا[2] من البادرائية ولا من الظاهرية وله محاسن وفضائل وبسطة في الفروع وفيه خير وتعبّد. ولما مرض تصدّق كثيرًا حتى بثيابه.

تُوُفِّيَ يَومَ الخَمِيسِ بَعدَ العَصرِ تَاسِعَ جُمَادَى الآخِرَةِ سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وَصُلِّيَ عَلَيهِ بَعدَ الصَّلَاةِ وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ وَكَانَت جَنَازَتُهُ حَافِلَةً[3].

---

(١) المدرسة البادرائية بالدال المهملة وهي تقع بدمشق بمحلة العمارة الجوانية إلى الشمال الشرقي من الجامع الأموي وقد نسبتِ المدرسة إلى بانيها وهو الإمامُ قاضي القضاة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن حسن بن عبد الله بن عثمان البادرَائي ثم البغدادي الشافعي الفَرَضي المولود سنة (٥٩٤هـ). **معالم دمشق التاريخية**، لأحمد الأيبش وقتيبة الشهابي (ص ٧٢).

(٢) أي أجرة ومال.

(٣) **الدرر الكامنة**، ابن حجر العسقلاني، (ج ١/ ص ٣٨٩-٣٩٠).

وقال عنه الإمام تاج الدين السبكي[١] في كتابه «طبقات الشافعية الكبرى»[٢]:

أَحمد بن يحيي بن إِسمَاعِيل الشَّيخ شهَاب الدّين بن جهبل الكلابِي الحلَبِي الأَصل، سمع من أبي الفرج عبد الرَّحمَن بن الزين المَقدِسِي وَأبي الحسن بن البُخَارِيّ وَعمر ابن عبد المُنعم بن القواس وَأحمد بن هبة الله بن عَسَاكِر وَغَيرهم، ودرس وَأفتى وشغل بِالعلمِ مُدَّة بالقدس ودمشق وَولي تدريس (الباذرائية)[٣] بِدِمَشق، وَحدث وَسمع مِنهُ الحَافِظ علم الدّين القَاسِم بن مُحَمَّد البرزالي مَاتَ سنة ثَلَاث وَثَلَاثِينَ وَسَبعمائة.

ووقفت لَهُ على تصنيف صنفه فِي نفي الجِهَة ردًّا على ابن تَيمِية لَا بَأس بِهِ، وسرده بمجموعه في «الطبقات الكبرى» في نحو كراستين وَهُوَ هَذَا.

---

(١) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي أبو نصر: قاضي القضاة المؤرخ الباحث ولد في القاهرة وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفي بها. نسبته إلى سبك من أعمال المنوفية بمصر وكان طلق اللسان قوي الحجة انتهى إليه القضاء في الشام وعزل وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر وأتوا به مقيدًا مغلولًا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه وعاد إلى دمشق فتوفي بالطاعون. قال ابن كثير: جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله. من تصانيفه «طبقات الشافعية الكبرى»، و«جمع الجوامع» في أصول الفقه، و«منع الموانع» تعليق على جمع الجوامع، و«الأشباه والنظائر». **جلاء العينين**، الألوسي (ج١/ص ٣٢).

(٢) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، (ج ٩ /ص ٣٤-٣٥).

(٣) هي المدرسة البادرائية بالدال المهملة وليست بالذال كما وردت في المخطوطة.

التعريف بابن تيمية وتبيان حاله

ليعلم أن أحمد بن تيمية هذا الذي هو حفيد الفقيه المجد بن تيمية الحنبلي المشهور ولد بحران ببيت علم من الحنابلة، وقد أتى به والده الشيخ عبد الحليم مع ذويه من هناك إلى الشام خوفًا من المغول. وكان أبوه رجلًا هادئا أكرمه علماء الشام ورجال الحكومة حتى ولّوه عدة وظائف علمّية مساعدة له.

وبعد أن مات والده ولّوا ابن تيمية هذا وظائف والده بل حضروا درسه تشجيعًا له على المضيّ في وظائف والده وأثنوا عليه خيرًا كما هو شأنهم مع كل ناشئ حقيق بالرعاية. وعطفهم هذا كان ناشئًا من مهاجرة ذويه من وجه المغول يصحبهم أحد بني العباس وهو الذي تولى الخلافة بمصر فيما بعد ومن وفاة والده بدون مال ولا تراث بحيث لو عيّن الآخرون في وظائفه للقِيَ عياله البؤس والشقاء.

وكان في جملة المثنين عليه التاج الفزاري المعروف بالفركاح وابنه البرهان والجلال القزويني والكمال الزملكاني ومحمد بن الحريري الأنصاري والعلاء القونوي وغيرهم[1].

---

(١) **قد يسأل البعض**: كيف أثنى بعض المحدثين والعلماء على عبادٍ ضلُّوا فأضلُّوا، كالسيوطي الذي وصف ابن تيمية بأنّه شيخ الإسلام، وابن تيمية الحراني وإن ذاع صيته وكثرت مؤلّفاته وأتباعه محرّف للدين داعية للتجسيم معادٍ للمسلمين مكفّر لهم لأنهم يتوسلون بسيد المرسلين، فهو كما قال فيه المحدّث الحافظ الفقيه ولِيّ الدين العراقي ابن شيخ الحفّاظ زين الدين العراقي في كتابه الأجوبة المرضيّة على الأسئلة المكيّة: «علمه أكبر من عقله»، وذكر أنه خرَق الإجماع في مسائل كثيرة قيل تبلغ ستين مسألة بعضها في الأصول وبعضها في الفروع خالف فيها بعد انعقاد الإجماع عليها، وتبعه على ذلك خلقٌ من العوام وغيرهم، فأسرع

علماء عصره في الردّ عليه وتبديعه، منهم الإمام الحافظ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي قال في الدرّة المضية ما نصّه: «أما بعد، فإنه لمّا أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مستترًا بتبعية الكتاب والسُّنّة، مظهرًا أنه داعٍ إلى الحقّ هادٍ إلى الجنّة، فخرج عن الاتّباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسميّة والتركيب في الذات المقدّس، وأن الافتقار إلى الجزء ـ أي افتقار الله إلى الجزء ـ ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وأن القرءان محدَث تكلم الله به بعد أن لم يكن، وأنه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدّى في ذلك إلى استلزام قدم العالم، والتزامه بالقول بأنه لا أوّل للمخلوقات فقال بحوادث لا أوّل لها، فأثبت الصفة القديمة حادثة والمخلوق الحادث قديمًا، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملّة من الملل ولا نِحلة من النّحَل، فلم يدخل في فرقة من الفِرق الثلاث والسبعين التي افترقت عليها الأُمّة، ولا وَقفت به مع أمة من الأمم هِمَّةٌ، وكل ذلك وإن كان كفرًا شنيعًا مما تَقِلّ جملته بالنسبة لما أَحدث في الفروع».

وقد استُتيب مرات وهو ينقض مواثيقه وعهوده في كل مرّة حتى حُبس بفتوى من القضاة الأربعة الذين أحدهم شافعي والآخر مالكي، والآخر حنفي والآخر حنبلي وحكموا عليه بأنه ضال يجب التحذير منه كما قال ابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ وهو من تلامذة ابن تيمية وسيأتي، وأصدر الملك محمَّد بن قلاوون منشورًا ليقرأ على المنابر في مصر وفي الشام للتحذير منه ومن أتباعه. وقد قال الإمام تقي الدين الحصني في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد»: «فصار كفره مجمعًا عليه»، أي ابن تيمية كافرٌ بإجماع قضاة الإسلام في عصره.

فبعدَ كلِّ هذا! قد يتساءل البعض كيف يمدحه السيوطي وبعضٌ من العلماء الأعلام؟!

فالجواب عن ذلك أن ابن تيمية خفيت حقيقة أمره على بعض الحفاظ والعلماء الذين مدحوه وأثنوا عليه كالسيوطي وغيره، ، لاطلاعهم على ثناء بعض أهل العلم ممن لم يطلع على ضلالات ابن تيمية ومدحهم له، ومنهم من كان يسمع عنه أنه كان مدافعًا عن السنة من

غير معرفة التفاصيل، وذلك أن ابن تيمية نشأ في بيئة علمية حيث كان أبوه وجده من علماء الحنابلة فحسن من كان يعرف أباه وجده الظن به لاعتقادهم أنه على طريقة آباءه خاصة وأن ابن تيمية كان ممن ضل عن علم، فكان يعرف الحق الذي هو مذهب أهل السنة فلا يظهر مخالفته لهم أمام أهل العلم بل يظهرها أمام بعض العامة الذين كان يفتيهم في مسائل الطلاق وغيرها بما يوافق هواهم، وكان لا يظهر كتبه التي أودعها ضلالاته إلا لمن يثق به، ثم لما افتضح أمره صار يُنكر أمام القضاة ما نسب إليه، وإذا ثبت عليه ما يؤكد كفره يظهر توبته ورجوعه عنه خوفًا من أن يقام عليه حد الردة، ويشهد على نفسه أنه رجع، فإذا خُلّي سبيله ورجع إلى أتباعه يحدثهم بأنه ناظر أولئك العلماء وانتصر عليهم ولهذا تركوه، ثم يرجع ويفتيهم، ولذلك تكررت محاكماته كثيرًا.

ثم إن العبرة بالحكم الشرعي في القضايا والمسائل على الشخص الذي ثبتت عليه وليست العبرة بمدح المادحين له، فإن كثيرًا من المادحين له يخالفونه في عقائده الكفرية ويتبرأون منها، وإلا فهل يظن بالسيوطي الذي نقل الاتفاق على كفر المجسمة أن ينعت داعية التجسيم ومن ينسب لله حدًّا ومكانا وجهة تقليدًا لفرعون بأنه شيخ الإسلام. وإنما هم عاملوه بحسب ما ظهر لهم لا على حسب حاله الذي خفي عليهم، وهذا رأس المنافقين في المدينة المنورة عبد الله بن أبي ابن سلول خفي أمره على أفضل الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما مات هذا المنافق صلى الرسول عليه إجراءً له على الظاهر من حاله لأنه كان يخفي كفره وإذا واجهه الرسول بالكفريات التي تنسب إليه أنكرها فظنّه الرسول أنه مات على الإسلام فصلى عليه، وبعدما صلى عليه نزلت الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ٨٤﴾ [سورة التوبة]، فتيقَّن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزول الآية من موته على الكفر، فماذا يكون مدح السيوطي وغيره لابن تيمية أمام صلاة الرسول على ابن سلول.

تنبيه مهم: إنَّ ابن تيمية ثبت عنه العديد من الكفريات التي ردها عليه من اطلع

عليها من معاصريه، وقد انتشرت أفكاره التي أودعها كتبه في أيامنا لانتشار الطباعة فظهر المستور، فلهذا انتشرت أفكاره بين أتباعه يقررونها ويدافعون عنها فظهر أن العلماء الذين ردوا عليه كانوا أعلم بحقيقة حاله مِن مَن مدحوه، كيف لا والذين استتابوه وسجنوه ومنعوه من التدريس والفتوى هم الفقهاء والأئمة وقضاة المذاهب الأربعة، وهؤلاء أكثر اطلاعًا على أمره وحقيقته من السيوطي. ولا تنس أن الذهبي مع كونه كان مذبذبًا وكان تلميذًا له، وكان يمدحه مدحًا عظيمًا لم يكن قد اطلع على كل مسائله، فلما اطلع عليها ذمه ذمًّا شديدًا بالغًا كما في نصيحة الذهبي لابن تيمية.

تتمة في التأكيد على ما سبق وزيادة البيان: فإن قيل بأنَّ عددًا من الحفاظ أو المؤلفين أو المشايخ مدحوا ابن تيمية أو ابن قيم الجوزية وبعض من تأثر ببعض أفكاره.

فالجواب عن ذلك: أن الجرح المفسر مقدم على التعديل، وقد ظهرت معتقداته وصار أتباعه يظهرونها ويدافعون عنها ولا يخجلون من نشرها لكثرة المال بأيديهم مع انتشار الجهل، وظهر أن من مدحه إما أنه لم يكن قد ثبت عنده حاله السيء أو لم يطلع على أقواله أو بلغهم فيه الذم والمدح ولم يقفوا على حقيقة أمره أو بلغهم ما هو خلاف ذلك فيهم أو أنه تراجع كما هو الحال في قضية ابن تيمية مع القضاة والأئمة والحفاظ والأمراء حيث كان لخوفهِ منهم ولتذبذبه وتلاعبه ينكر ما ينقل عنه من التجسيم وخرقه للإجماع في مسائل الطلاق والزيارة وغيرها، ثم إذا تركوه ورجع إلى جماعته وأتباعه عاد إلى أقواله الشاذة، وكذلك مدحه أناس ذوو حفظ للحديث مع ضعف في أصول الدين. فالعجب ممن يطلع على كتبه وحال أتباعه ثم يحتار في أمره، وإلا فإن كتبه وكتب أتباعه موجودة بين أيدي الخاصة والعامة، ليست مخبأة كالماضي، وهي مشحونة بما يخالف الكتاب والسنة والإجماع شاهدة بأن كاتبها مضاد لعقيدة أهل السنة والجماعة، فبعد هذا فماذا ينفعهم إن كان السيوطي مدح ابن تيمية، فمدحه ممن لم يطلع على عقائده الفاسدة لا ينفعه عند الله ولا يغير شيئًا من حاله في الآخرة. والعبرة بما عند الله، فلا تغتر أخي القارئ المنصف بثناء بعض الناس عليهم فإن كتبهم

تنادي بخلاف عقيدة مئات الملايين من المسلمين ولن يستطيع أحد من أتباعه من المشبهة المجسمة أن يثبت على الحافظ ابن حجر العسقلاني أو على السبكي أو على السيوطي أو على حافظ أو إمام أو فقيه محقق أنهم أثبتوا مقالات واعتقادات ابن تيمية وتلامذته من تشبيه أو تجسيم أو تضليل وتكفير للمتوسلين والمتبركين والمؤولين للمتشابهات من أهل السنة أو القضايا الأخرى التي خرقوا فيها الإجماع وكذّبوا فيها النصوص ومع ذلك مدحوهم وأثنوا عليهم واعتبروهم معذورين مأجورين في ذلك، هذا لن يستطيع أن يثبته أحد من المجسمة أتباع أئمة التشبيه والتجسيم على حفاظ وفقهاء أهل السنة والجماعة.

ومن هنا خلاصة تزيل التساؤلات والتحيُّرات وتزيل الشبهات عن العلماء الأجلاء:

- العلماء الأعلام عرف عنهم تحسين الظن وعدم التسرع في الحكم.
- العلماء الأجلاء لو ثبت عندهم مقالات ابن تيمية ومن على شاكلته لتغير كلامهم فيهم ولألفوا الكتب في الرد عليهم كما حصل لمن ظهر له حال هؤلاء المبتدعة أهل الأهواء فرد عليهم وذمهم وكشف زيغهم.
- الأشاعرة والماتريدية على عقيدة حقة ليسوا مشبهة مجسمة، وهم يكفرون الذي يصف الله بما لا يليق به كالتشبيه والتجسيم المؤدي إلى وصف الله بالعجز والاستعانة بمخلوقاته وهذا محال على الله فلا جرم أنه لا يليق بعالم سني محقق يَثبُت عنده عن فلان تجسيم الله ولا يكفره.
- في زمانهم لم يكن الحال كزماننا فالتستر والمداهنة كان أسهل، وكان الكتاب ينسخ باليد فيسهل على من كان يتعمد مخالفة أهل العلم إخفاءه عنهم وإظهاره لمتبعيه.
  - اعتمدوا كثيرًا على المكتوب بخط اليد فيظن بعض من يطلع عليه من أهل العلم أنه سبق قلم أو غلط من النساخ، أو سبق لسان خاصة أن من الكتب ما تكون إملاءً وليست بخط الشيخ.

لكن ثناء هؤلاء غرّ ابن تيمية ولم ينتبه إلى الباعث على ثنائهم فبدأ يذيع بدعًا بين حين وءاخر وأهل العلم يتسامحون معه في الأوائل باعتبار أن تلك الكلمات ربما تكون فلتات لا ينطوي هو عليها، لكن خاب ظنهم وعلموا أنه فاتن بالمعنى الصحيح فتخلّوا عنه واحدًا إثر واحد على توالي فتنه.

ثم إن ابن تيمية وإن كان ذاع صيته وكثرت مؤلفاته وأتباعه هو كما قال فيه المحدث الحافظ الفقيه وليّ الدين العراقي بن شيخ الحفّاظ زين الدين العراقي في كتابه الأجوبة المرضيّة على الأسئلة المكيّة: «علمه أكبر من عقله»، وقال أيضًا: «إنه خرق الإجماع في مسائل كثيرة قيل تبلغ ستين مسألة بعضها في الأصول وبعضها في الفروع خالف فيها بعد انعقاد الإجماع عليها». اهـ.

○ لم يكن عندهم مواصلات ووسائل اتصال كأيامنا بحيث يتيسر انتشار الأفكار وتمحيصها والتأكد منها ومن صحة نسبة ما فيها لمؤلفيها.

○ أهل البدع لم يكونوا منتشرين ولا مظهرين لأنفسهم كظهورهم اليوم بل كانوا يعملون بالخفاء، أما اليوم فقد قويت شوكتهم وازدادت فتنهم فأظهروا معتقدهم الفاسد بألفاظ صريحة لا إجمال فيها.

○ تأثر كثير من الناس بالمظاهر بسبب قلة العلم مع اتباع الهوى والرغبة في المال فينخدعون بمظاهر الطاعة والتقوى والخوف من الله أو يداهنون رغبة بحطام دنيا زائلة.

- لم يثبت عن أحد من أهل السنة ممن مدح أهل البدع ـ لسبب الله أعلم به ـ أنه مدح هذا البدعي على مسألته التجسيمية هذه تحديدًا بل ترى مدحًا لحفظه أو على حسن أخلاقه بحسب ما ظهر له، ولا ترى مدحًا له على مقالة من مقالات الكفر والضلال وهذا يؤكد كلامنا.

وتبعه على ذلك خلقٌ من العوام وغيرهم فأسرع علماء عصره في الردّ عليه وتبديعه، منهم الإمام الحافظ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي قال في الدرّة المضية ما نصّه: «أما بعد فإنه لمّا أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد بعد أن كان مستترًا بتبعية الكتاب والسُّنة، مظهرًا أنه داعٍ إلى الحقّ هادٍ إلى الجنة، فخرج عن الاتّباع إلى الابتداع وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسميّة والتركيب في الذات المقدّس وأن الافتقار إلى الجزء ـ أي افتقار الله إلى الجزء ـ ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى وأن القرءان مُحدَث تكلم الله به بعد أن لم يكن وأنه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدى في ذلك إلى استلزام قِدَم العالم والتزامه بالقول بأنه لا أول للمخلوقات فقال بحوادثٍ لا أول لها، فأثبت الصفة القديمة حادثة والمخلوق الحادث قديمًا ولم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل ولا نِحلة من النحل فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افترقت عليها الأمة ولا وقفت به مع أمة من الأمم هِمّة وكل ذلك وإن كان كفرًا شنيعًا مما تَقِلّ جملته بالنسبة لما أحدث في الفروع». اهـ

وقد استُتيب مرات وهو ينقض مواثيقه وعهوده في كل مرة حتى حُبِس بفتوى من القضاة الأربعة الذين أحدهم شافعي والآخر مالكي والآخر حنفي والآخر حنبلي وحكموا عليه بأنه ضال يجب التحذير منه.

قال الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في فتاويه ما نصه: «وهذا الرجل ـ يعني ابن تيمية ـ كنت رددت عليه في حياته في إنكاره السفر لزيارة المصطفى صلى

الله عليه و سلم، وفي إنكاره وقوع الطلاق إذا حلف به، ثم ظهر لي من حاله ما يقتضي أنه ليس ممن يعتمد عليه في نقل ينفرد به لمسارعته إلى النقل لفهمه كما في هذه المسألة ـ أي مسألة في الميراث ـ ولا في بحث ينشؤه لخلطه المقصود بغيره وخروجه عن الحد جدًا، وهو كان مكثرًا من الحفظ ولم يتهذب بشيخ ولم يرتض في العلوم، بل يأخذها بذهنه مع جسارته واتساع خيال وشغب كثير. ثم بلغني من حاله ما يقتضي الإعراض عن النظر في كلامه جملة، وكان الناس في حياته ابتلوا بالكلام معه للرد عليه، وحبس بإجماع العلماء وولاة الأمور على ذلك، ثم مات».

ونقول اشتهر عن ابن تيمية أنه خالف إجماع المسلمين في الأصول والفروع نحو قول ابن تيمية بنسبة الحد إلى الله، وقوله بفناء النار، وقوله بحرمة زيارة القبر الشريف، حتى قال بعض أتباعه «ماذا تريدون بهذه الجيفة» يعني النبي محمد والعياذ بالله تعالى من الكفر الشنيع، ومخالفاته الأمة في مسائل الطلاق، وغيرها الكثير كما هو ثابت في كتبه.

والعلماء رحمهم الله لم يتركوه بل ردوا عليه وناظروه كالقاضي كمال الدين ابن الزملكاني برسالتين واحدة في الطلاق والأخرى في مسألة الزيارة، وكذا الفقيه المحدث علي بن محمد الباجي الشافعي ناظر ابن تيمية في أربعة عشر موضعًا وأفحمه وقد كفره العلامة علاء الدين البخاري الحنفي وكفر من يقول «شيخ الإسلام» عنه مع علمه بمقالاته الكفرية وهو مذكور في كتاب «الضوء اللامع للسخاوي» حتى قال تقي الدين السبكي فيه في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد» قال: «فصار كفره مجمعًا عليه» وكذا الهيتمي قال عنه «عبد أضله الله وأعماه

وأصمه» وهذا حاله وحال سلفه وخلفه، وكان الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلى ممن يعتقد كفر ابن تيمية وله عليه الرد وكان يقول بأعلى صوته: «معذور السبكي يعني في تكفيره».

والحاصل أن ابن تيمية وأتباعه من الغلاة فى التشبيه والتجسيم والازدراء بالنبي ﷺ وبغض الشيخين ومخالفاتهم الأصول والفروع يجب تحذير الناس منهم والتنبه منهم فهم أشد خطرًا من اليهود والنصارى هم لبسوا لباس المسلمين من عباءة وتعطر وإطالة الذقن وغيرها من عادات المسلمين معلنين التجسيم، فالعلماء توسعوا في الكلام عنهم من زمن السبكي حتى زماننا هذا كالشيخ محمد ابن مسكة بن العتيق اليعقوبي الموريتاني الذي له كتاب اسمه «فتاوى ابن تيمية في الميزان» وشيخنا الهرري جزاه الله عنا كل الخير وغيرهم من أهل السنة، أهل السنة أقوياء أذكياء فطناء ينكرون المنكر ويأمرون بالمعروف اتِّباعًا للقرءان فلا حجة لكم يا وهابية ويا مشبهة في قولكم نحن أهل السنة بل اعلموا أنكم أنتم جئتم بدين جديد وعقائد جديدة لا توافق ما كان عليه الرسول والصحابة والتابعين.

التحذير من كتب ابن تيمية

مما يجب الحذر منه حذرًا بالغًا كتب ابن تيمية لما فيها مما يخالف الشرع من كفر ودونه إلا كتابه «الكلم الطيب» فإنه ليس فيه ما يخالف الشرع مما عليه أهل السنة من المحدثين وغيرهم.

والتحذير من كتبه بسبب ما فيها من تحريم التوسل والاستغاثة بالرسول، وتحريم قصد قبور الأولياء للدعاء عندها رجاء الإجابة، وتحريم السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم، وتنقيص أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، وتضعاف أحاديث صحيحة كثيرة لمخالفتها هواه.

أما تحريمه التوسل والاستغاثة بالنبي فعمل في ذلك كتابًا سماه «التوسل والوسيلة» قال فيه: «إنه لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر[(١)]».

وأما تنقيصه عليًّا رضي الله عنه فقد ذكر في كتابه المسمى «منهاج السنة النبوية»: «إن حروب علي ضرت المسلمين في دينهم ودنياهم، وإن القتال معه لا هو فرض ولا هو مستحب»، وبهذه الأشياء يكون ابن تيمية قد خالف الإجماع وخالف فيها أحاديث صحيحة مرفوعة وءاثارًا موقوفة على صحابي أو تابعي.

وبعض كتبه تشتمل على ما هو أشد من هذا كله وهو قوله: «بأن جنس العالم أزلي مع الله أي أن الله بزعمه لم يسبق بالوجود جنس العالم إلا الأفراد من العالم»، وقوله: «بأن العرش موجود بلا ابتداء كما أن الله موجود بلا ابتداء»،

---

(١) المسلمون مجمعون على جواز التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين بلا خلاف كما هو مشهور في كتبهم، ابن تيمية خالف الإجماع في هذه المسألة وجاء بما لم يقل به أحد من علماء السلف والخلف والعياذ بالله تعالى.

وقوله: «إن هذا كمال في حق الله»، وبذلك نفى كون العرش مخلوقًا لله لأنه أثبت أن العرش لم يزل موجودًا مع الله وإن كان كل فرد من أفراد العرش حادثًا فقد جعل بقوله هذا نوع العرش قديمًا مع الله ومعناه أنه ليس مخلوقًا لله، وهذا إشراك لله تعالى في أوليته، وهذا مع كونه تكذيبًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [سورة الحديد] أي هو لا غير الموجود الذي لا ابتداء له فهو أمر اتفق المسلمون على أن قائله ومعتقده كافر كما صرح بذلك غير واحد من العلماء كبدر الدين الزركشي فإنه قال في أواخر كتابه «تشنيف المسامع»: بعد أن ذكر قول الفلاسفة كالفارابي وابن سينا بأزلية العالم بجنسه وأفراده وبعضهم قال بأزلية جنسه دون أفراده: «وكل هذه الأقوال باطلة وقد ضللهم المسلمون في ذلك وكفروهم» اهـ فابن تيمية من هذا الفريق الثاني، فإن الفلاسفة المُحدَثين قالوا: العالم أزلي النوع أي الجنس حادث الأفراد وهو لا يريد أن يُنسب إلى الفلاسفة بل يريد أن يُنسب إلى أهل الحديث الذين على مذهب السلف وهيهات هيهات.

وقد استهجن قوله هذا علماء المعقول والمنقول فقالوا: الجنس لا يتحقق من دون أفراده، فإذا كانت الأفراد حادثة فلا بد أن يكون الجنس حادثًا.

ومن أراد التأكد من هذا فليطالع كتابه «منهاج السنة النبوية»، وكتاب «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول»، وكتاب «شرح حديث النزول»، وكتاب «شرح حديث عمران بن حصين»، وغيرها.

ثم هو مع قوله هذا قد قال: «بأن الله تعالى يتصف بالإرادة الحادثة والكلام الحادث كخلقه»، ويقول: «بأن ذات الله تعالى تحدث فيه إرادات وتحدث فيه

كلمات»، وخالف بذلك القاعدة المتفق عليها عند أهل السنة أن الله تعالى لا يتصف بصفة حادثة لأن الذات الذي يتصف بصفة حادثة حادث إذ القديم لا يتصف إلا بصفة قديمة لأن حدوث العالم عُرف عقلًا بما فيه من الصفات الحادثة، وهذه حجة عقلية أقرَّها القرءان الكريم فإن الله تعالى ذكر عن إبراهيم أنه استدل على مخلوقية الكوكب بحدوث التغير فيه.

وابن تيمية خالف بهذا النقل أي القرءان والحديث وإجماع الأمة فلتُحذر كتبه وليُحذر من تسميته بشيخ الإسلام كما جرت العادة على تسمية علماء الحديث، وقد يذكره من لا يعرف حاله بهذا اللقب «شيخ الإسلام» لأنه لم يطلع على حاله ومر عليه قول بعض الحنابلة عنه شيخ الإسلام.

ثم هو مع أنه أول من حرَّم التوسل بالرسول والأولياء والاستغاثة بهم نقض كلامه بما ذكره في كتابه «الكلم الطيب» فإنه ذكر فيه استحسان قول: «يا محمد» لمن أصابه خدر في رجله.

لكن الوهابية المنتسبين إليه خالفوا قوله في هذا الكتاب فهم يكفّرون من يقول «يا محمد» ووافقوه في ضلالاته وخالفوه في كلمة حق قالها وهي هذه الكلمة الحقة، وهذا الأمر ينادي على الوهابية بأنهم تائهون، وهذا من أعجب العجب لأنهم حين يقولون: إن قول «يا محمد» شرك يكونون قد حكموا على ابن تيمية بالشرك والكفر لأن من وضع في كتابه أمرًا هو شرك مستحسنًا له فهو كافر، وابن تيمية قد عقد لهذا فصلًا خاصًّا فإنه قال في هذا الكتاب: «فصل في الرِّجل إذا خَدِرَت» ثم أورد أن عبد الله بن عمر أصابه خَدَرٌ في رجله فقال: «يا محمد»

فذهب عنه الخَدَرُ في الحال، والخَدَرُ مرض معروف عند الأطباء يعالجونه بالمعاجين والدهون كدهن الخردل وغيره.

ولابن تيمية كتاب اسمه «كتاب العرش» ذكره الإمام المفسر النحوي اللغوي شيخ القراءات أبو حيان، وذكر أنه وجد في هذا الكتاب أن ابن تيمية قال فيه: «إن الله قاعد على الكرسي وإنه ترك موضعًا ليُقعد به محمدًا صلى الله عليه وسلم»، مع أنه يقول في عدد من كتبه: «إن الله ملازم للعرش ينزل منه كل ليلة ولا يخلو منه العرش»، وقد ذكر في بعض فتاويه أمرًا أغرب من هذا وأبعد في العقول وهو قوله: «إن الله على العرش حقيقة ومعنا حقيقة».

أما كتابه «الكلمُ الطيب» الذي مر ذكره فهو ثابت أنه من تأليفه ذكره بعض من ترجم لابن تيمية وعدَّد أسامي كتبه كصاحب «عيون التواريخ» لابن شاكر الكتبي، وصلاح الدين الصفدي وكلاهما ممن كان يحضر مجالسه.

فأمر ابن تيمية عجب عجاب، ومن أراد زيادة الإيضاح فليطالع كتاب شيخنا الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله «المقالات السُّنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية» وكتابنا «السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني» ففيهما كشف وفضح لضلالات هذا الرجل وللمنتسبين إليه أي نفاة التوسل ومدعي السلفية زورًا وبهتانًا.

إثبات تجسيم وكفر ابن تيمية من كتبه

لابن تيمية أخزاه الله أقوال كثيرة وكفريات عديدة سنذكر لكم بعضها تبيانًا لحاله:

قوله بالجسمية في حق الله تعالى: فقد ذكر ذلك في كتابه شرح حديث النزول ونصه: «وأما الشرع فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم أو أن الله ليس بجسم، بل النفي والإثبات بدعة في الشرع» اهـ.

وقال في الموافقة ما نصه: «وكذلك قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سورة مريم]، ونحو ذلك فإنه لا يدل على نفي الصفات بوجه من الوجوه بل ولا على نفي ما يسميه أهل الاصطلاح جسمًا بوجه من الوجوه» اهـ.

وقال فيه أيضًا ما نصه: «وأما ذكر التجسيم وذم المجسمة فهذا لا يعرف في كلام أحد من السلف والأئمة كما لا يعرف في كلامهم أيضًا القول بأن الله جسم أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي الجسم كما ذكره أحمد في كتاب الرد على الجهمية»، اهـ.

وقال في المنهاج ما نصه: «أما ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك فإن هذا اللفظ لم ينطق به في صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفيًا ولا إثباتًا، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم لا أهل البيت ولا غيرهم» اهـ.

وقال في المنهاج ما نصه: «وقد يراد بالجسم ما يشار إليه أو ما يُرى أو ما تقوم به الصفات، والله تعالى يُرى في الآخرة وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند

الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم، فإن أراد بقوله: ليس بجسم هذا المعنى قيل له: هذا المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأنت لم تُقم دليلًا على نفيه» اهـ.

وقال في فتاويه ما نصه: «ثم لفظ التجسيم لا يوجد في كلام أحد من السلف لا نفيًا ولا إثباتًا، فكيف يحل أن يقال: مذهب السلف نفي التجسيم أو إثباته» اهـ.

وقال في كتابه بيان تلبيس الجهمية ما نصه: «وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم، وأن صفاته ليست أجسامًا وأعراضًا، فنفي المعاني الثابتة بالشرع والعقل بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل جهل وضلال» اهـ.

نقول: ويكفي في تبرئة أئمة الحديث ما نقله الإمام أبو الفضل عبد الواحد ابن عبد العزيز البغدادي التميمي رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها عن أحمد قال: «وأنكر أحمد على من يقول بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرضٍ وسَمكٍ وتركيبٍ وصورةٍ وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يُسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل» اهـ، ونقله الحافظ البيهقي عنه في مناقب أحمد وغيرُه.

وهذا الذي صرح به أحمد من تنزيهه الله عن هذه الأشياء الستة هو ما قال به الأشاعرة والماتريدية وهم أهل السنة الموافقون لأحمد وغيره من السلف في أصول المعتقد، فليعلم الفاهم أن نفي الجسم عن الله جاء به السلف، فظهر أن ما ادعاه

ابن تيمية أن السلف لم يتكلموا في نفي الجسم عن الله غير صحيحٍ، فينبغي استحضار ما قاله أحمد فإنه ينفع في نفي تمويه ابن تيمية وغيره ممن يدعون السلفية والحديث.

وهذا البيهقي من رؤوس أهل الحديث يقول في كتاب «الأسماء والصفات» في باب ما جاء في العرش والكرسي عقب إيراده حديث: «أتدرون ما هذه التي فوقكم» ما نصه: «والذي روي في ءاخر هذا الحديث إشارة إلى نفي المكان عن الله تعالى، وأن العبد أينما كان في القرب والبعد من الله تعالى سواء، وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة والباطن فلا يصح كونه في مكان، واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» ، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» اهـ.

وقال الإمام الأشعري في كتاب النوادر: «من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه، وأنه كافر به» اهـ.

وقال أبو الثناء اللامشي ما نصه: «وإذا ثبت أنه تعالى ليس بجوهر فلا يُتصور أن يكون جسمًا أيضًا لأن الجسم اسم للمتركّب عن الأجزاء، يقال: «هذا أجسمُ من ذلك» أي أكثر تركُّبًا منه، وتركب الجسم بدون الجوهرية وهي الأجزاء التي لا تتجزأ لا يُتصور، ولأن الجسم لا يُتصور إلا على شكل من الأشكال، ووجوده على جميع الأشكال لا يُتصور أن يكون إذ الفرد لا يُتصور أن يكون مطوَّلًا ومدورًا ومثلثًا ومربعًا، ووجوده على واحد من هذه الأشكال مع مساواة غيره إياه في صفات المدح والذم لا يكون إلا بتخصيص مخصص، وذلك من أمارات الحدث، ولأنه

لو كان جسمًا لوقعت المشابهة والمماثلة بينه وبين سائر الأجسام في الجسمية، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]» اهـ.

ثم قال ما نصه: «ثم إنهم ناقضوا في ما قالوا لأن الجسم اسم للمتركِّب لما مر، فإثبات الجسم إثبات التركيب ونفي التركيب نفي الجسم، فصار قولهم: «جسم لا كالأجسام» كقولهم: «متركب وليس بمتركب»، وهذا تناقض بَيِّنٌ بخلاف قولنا: شيء لا كالأشياء، لأن الشيء ليس باسم للمتركب وليس يُنبئ عن ذلك وإنما ينبئ عن مطلق الوجود، فلم يكن قولنا: لا كالأشياء، نفيًا لمطلق الوجود بل يكون نفيًا لما وراء الوجود من التركيب وغيره من أمارات الحدث، فلم يكن ذلك متناقضًا ولله الحمد والمنة.

وإذا ثبت أن الله تعالى لا يوصف بالجسم فلا يوصف بالصورة أيضًا لأن الصورة لا وجود لها بدون التركيب» اهـ.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني ما نصه: «فإن قالوا: ولم أنكرتم أن يكون الباري سبحانه جسمًا لا كالأجسام كما أنه عندكم شيء لا كالأشياء؟ قيل لهم: لأن قولنا: «شيء» لم يُبْنَ لجنس دون جنس ولا لإفادة التأليف، فجاز وجود شيء ليس بجنس من أجناس الحوادث وليس بمؤلَّف، ولم يكن ذلك نقضًا لمعنى تسميته بأنه شيء، وقولنا: «جسمٌ» موضوع في اللغة للمؤلَّف دون ما ليس بمؤلَّف، كما أن قولنا: «إنسان» و«محدَث» اسم لما وُجِدَ عن عدم ولما له هذه الصورة دون غيرها، فكما لم يجز أن نثبت القديم سبحانه محدَثًا لا كالمحدَثات وإنسانًا لا كالناس قياسًا على أنه شيء لا كالأشياء لم يجز أن نُثبته جسمًا لا كالأجسام لأنه نقض لمعنى الكلام وإخراج له عن موضوعه وفائدته. فإن قالوا: فما

أنكرتم من جواز تسميته جسمًا وإن لم يكن بحقيقة ما وُضِعَ له هذا الاسم في اللغة؟ قيل لهم: أنكرنا ذلك لأن هذه التسمية لو ثبتت لم تثبت له إلا شرعًا لأن العقل لا يقتضيها إذ لم يكن القديم سبحانه مؤلَّفًا، وليس في شيء من دلائل السمع من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وما يُستخرج من ذلك ما يدل على وجوب هذه التسمية ولا على جوازها أيضًا فبطل ما قلتموه» اهـ.

زعم ابن تيمية أن الله يتكلم بحرفٍ وصوتٍ وأنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء: ومن جملة افتراءات ابن تيمية على أئمة الحديث وأهل السُّنّة والجماعة نقله عنهم أن الله متكلم بصوت نوعه قديم أي يحدث في ذات الله شيئًا بعد شيء قال في كتابه رسالة في صفة الكلام ما نصه: «وحينئذٍ فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته وإن قيل إنه ينادي ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم بالتوراة والقرءان والإنجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع أن يتكلم بالباء قبل السين، وإن كان نوع الباء والسين قديمًا لم يستلزم أن يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والعين». اهـ.

وقال في الموافقة ما نصه: «وإذا قال السلف والأئمة إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء فقد أثبتوا أنه لم يتجدد له كونه متكلمًا، بل نفس تكلمه بمشيئته قديم وإن كان يتكلم شيئًا بعد شيء، فتعاقب الكلام لا يقتضي حدوث نوعه إلا إذا وجب تناهي المقدورات المرادات» اهـ.

وقال في فتاويه ما نصه: «فعلم أن قدمه عنده أنه لم يزل إذا شاء تكلم وإذا شاء سكت، لم يتجدد له وصف القدرة على الكلام التي هي صفة كمال، كما لم يتجدد له وصف القدرة على المغفرة، وإن كان الكمال هو أن يتكلم إذا شاء

ويسكت إذا شاء» اهـ.

وقال فيه أيضًا ما نصه: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات كجر السلسلة على الصفوان»، فقوله: «إذا تكلم الله بالوحي سمع» يدل على أنه يتكلم به حين يسمعونه، وذلك ينفي كونه أزليًّا، وأيضًا فما يكون كجر السلسلة على الصفا، يكون شيئًا بعد شىء والمسبوق بغيره لا يكون أزليًّا» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه: «وجمهور المسلمين يقولون: إن القرءان العربي كلام الله، وقد تكلم الله به بحرف وصوت، فقالوا: إن الحروف والأصوات قديمة الأعيان، أو الحروف بلا أصوات، وإن الباء والسين والميم مع تعاقبها في ذاتها فهي أزلية الأعيان لم تزل ولا تزال كما بسطت الكلام على أقوال الناس في القرءان في موضع ءاخر» اهـ.

نقول: فلا يغتر مطالع كتبه بنسبة هذا الرأي الفاسد إلى أئمة أهل السنة وذلك دأبه أن ينسب رأيه الذي يراه ويهواه إلى أئمة أهل السُّنّة، وليعلم الناظر في مؤلفاته أن هذا تلبيس وتمويه محض يريد أن يروجه على ضعفاء العقول الذين لا يوفقون بين العقل والنقل، وقد قال الموفقون من أهل الحديث وغيرهم إن ما يحيله العقل فلا يصح أن يكون هو شرع الله كما قال ذلك الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: «إن الشرع لا يأتي إلا بمجوّزات العقول، وبهذا يردّ الخبر الصحيح الإسناد أي إذا لم يقبل التأويل» كما قاله علماء المصطلح في بيان ما يعلم به كون الحديث موضوعًا، وأيّدوا ذلك بأن العقل شاهد الشرع فكيف يرد الشرع بما يكذبه شاهده. فمن قال: إن الله يتكلم بصوت، وقال: إنه صوت أزلي أبدي أي صفة أزلية أبدية ليس فيه تعاقب الحروف فلا يُكَفَّر إن كان نيته كما

يقول، وإلا فهو كافر كسائر المشبهة. وأما أحاديث الصوت فليس فيها ما يحتج به في العقائد، وقد ورد حديث مختلف في بعض رواته وهو عبد الله بن محمد بن عقيل، روى حديثه البخاري بصيغة التمريض، قال: «ويُذكر»، وفيه: «فينادى بصوت فيسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ، أنا الملك أنا الديَّان»، وإنما ذكره البخاري بصيغة التمريض من أجل راويه هذا، قال الحافظ ابن حجر: «ونظر البخاري أدق من أن يعترض عليه بمثل هذا فإنه حيث ذكر الارتحال فقط جزم به لأن الإسناد حسن وقد اعتضد، وحيث ذكر طرفًا من المتن لم يجزم به لأن لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف فيها ولو اعتضدت»اهـ. أي لا يكفي ذلك في مسائل الاعتقاد وإن كان البخاري ذكر أوله في كتاب العلم بصيغة الجزم لأنه ليس فيه ذكر الصوت، إنما فيه ذكر رحيل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أُنَيْس من المدينة إلى مصر.

نقول: وكذا قال البيهقي في الأسماء والصفات، فليس فيها ما يصح الاحتجاج به لإثبات الصفات لأن حديث الصفات لا يقبل إلا أن يكون رواته كلهم متفقًا على توثيقهم، وهذه الروايات المذكورة في فتح الباري في كتاب التوحيد ليست على هذا الشرط الذي لا بدّ من حصوله لأحاديث الصفات كما ذكره صاحب الفتح في كتاب العلم. لكنه خالف في موضع بما أورده في كتاب التوحيد من قوله: بعد صحة الأحاديث يتعين القول بإثبات الصوت لله ويؤول على أنه صوت لا يستلزم المخارج.

ثم قال الكوثري: «وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ المنذري في

رسالة خاصة في تبيين بطلان الروايات في ذلك زيادة على ما يوجبه الدليل العقلي القاضي بتنزيه الله عن حلول الحوادث فيه سبحانه، وإن أجاز ذلك الشيخ الحراني تبعًا لابن ملكا اليهودي الفيلسوف المتمسلم، حتى اجترأ على أن يزعم أن اللفظ حادث شخصًا قديم نوعًا، يعني أن اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثًا حتمًا، لكن ما من لفظ إلا وقبله لفظ صدر منه إلى ما لا أول له فيكون قديمًا بالنوع، ويكون قدمه بهذا الاعتبار في نظر هذا المخرف، تعالى الله عن إفك الأفّاكين، ولم يدر المسكين بطلان القول بحلول الحوادث في الله جل شأنه وأن القول بحوادث لا أوّل لها هذيان، لأن الحركة انتقال من حالة إلى حالة، فهي تقتضي بحسب ماهيتها كونها مسبوقة بالغير، والأزل ينافي كونه مسبوقًا بالغير، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالًا، ولأنه لا وجود للنوع إلا في ضمن أفراده، فادعاء قدم النوع مع الاعتراف بحدوث الأفراد يكون ظاهر البطلان. وقد أجاد الرد عليه العلّامة قاسم في كلامه على المسايرة». اهـ

قلت: وقد ذكر الفقيه المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدي ورجم المعتدي أثناء ترجمة الحافظ ناصر السنة أبي الحسن علي بن أبي المكارم المقدسي المالكي ما نصه: «كان صحيح الاعتقاد مخالفًا للطائفة التي تزعم أنها أثرية، صنف كتابه المعروف بكتاب الأصوات أظهر فيه تضعيف رواة أحاديث الأصوات وأوهاهم، وحكى الشيخ تقي الدين شرف الحفاظ عن والده مجد الدين قال بأنه بلغ رتبة المجتهدين» اهـ.

فلا يصحُّ حملُ ما ورد في النصّ من النداء المضافِ إلى الله تعالى في حديث: «يَحشر الله العباد فيناديهم بصوت...» على الصوتِ على معنى خروجه من الله،

فتمسُّكُ المشبهة بالظاهر لاعتقاد ذلك تمويه لا يروج إلا عند سُخفاء العقول الذين حُرموا منفعة العقل الذي جعل الشرع له اعتبارًا، وهل عُرِفت المعجزة أنها دليل على صحة نبوة من أتى بها من الأنبياء إلا بالعقل؟

قال الشيباني في شرح الطحاوية ما نصه: «والحرف والصوت مخلوق خَلقه الله تعالى ليحصل به التفاهم والتخاطب لحاجة العباد إلى ذلك أي الحروف والأصوات، والبارئ سبحانه وتعالى وكلامه مستغن عن ذلك أي عن الحروف والأصوات، وهو معنى قوله: «ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر» اهـ.

قوله بنسبة الحركة في حق الله تعالى: قد ذكر في كتابه المنهاج ما نصه: «فإنا نقول إنه يتحرك وتقوم به الحوادث والأعراض فما الدليل على بطلان قولنا؟» اهـ.

وقال في الموافقة ناقلًا كلام الدارمي المجسم ما نصه: «لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة، وكل ميت غير متحرك لا محالة» اهـ.

وقال فيه أيضًا ما نصه: «وأئمة السنة والحديث على إثبات النوعين وهو الذي ذكره عنهم من نقل مذهبهم كحرب الكرماني وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين، وذكر حرب الكرماني أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن حنبل وإسحـق بن راهويه وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وقال عثمان بن سعيد وغيره: إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك،

وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات» اهـ.

قوله بالنزول في حق الله تعالى: ذكره في كتابه شرح حديث النزول فقال ما نصه: «لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب هي من ءاثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث صحيحة» اهـ. وقال في كتابه المنهاج ما نصه: «ثم إن جمهور أهل السنة يقولون: إنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل مثل ذلك عن إسحـق بن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته» اهـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول وكتابه الفتاوى ما نصه: «والقول الثالث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه» اهـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول أيضًا: «وحينئذ فإذا قال السلف والأئمة كحماد بن زيد وإسحـق بن راهويه وغيرهما من أئمة أهل السنة إنه ينزل ولا يخلو منه العرش لم يجز أن يقال: إن ذلك ممتنع» اهـ، ثم قال ما نصه: «وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش بل هو فوق العرش ويقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف»اهـ.

نقول: فليُنظر إلى هذه الأقوال من ابن تيمية وما ذلك منه إلا تمويه، فهو ينسب الرأي الذي يعجبه إلى أئمة أهل الحديث أو السلف وهم بريئون من ذلك، ولن يستطيع أن يثبت ذلك عن أحد من أئمة الحديث إلا أن يكون من المجسمة المنتسبة إلى الحديث كأمثال الذي قال: «ألزموني ما شئتم غير اللحية والعورة».

وليُعلم أن نفي الحركة والسكون عن الله هو ما أطبق عليه علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية لا يعلم في ذلك خلاف بل هو معنى قول الإمام الحافظ السلفي أبي جعفر الطحاوي في عقيدته: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» أليس من معاني البشر الحركة والسكون والجلوس، أليس تضمن تأويل الإمام أحمد بن حنبل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر] «جاءت قدرته» نفي الحركة والسكون عن الله والتحيز في العرش، فلو كان يعتقد المجيء على ظاهره لما أوَّل بل ترك اللفظ على ما هو عليه كما هو معتقد المشبهة، فإن لم تكن الحركة والسكون من معاني البشر فما هي معاني البشر، فإن الله جعل بعض العالم ساكنًا كالسموات السبع والعرش وجعل بعض العالم متحركًا دائمًا وهي النجوم، وجعل بعض العالم متحركًا تارة وساكنًا تارة كالملائكة والإنس والجن والدَّوَاب؛ فكيف يصح أن يوصف الخالق بأحدهما، فلو كان متصفًا بأحدهما لكان له أمثال كثير وذلك ينافي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى] فلو فهمت قول السلف في أحاديث الصفات: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، فما معنى الكيف إلا نفي صفات الخلق عن الله ومنها الحركة والسكون.

وليس معنى قول السلف: «بلا كيف» إثبات الحركة والسكون والتنقل لله تعالى على ما توهمه بعض ظواهر الآيات والأحاديث.

ويكفي في الرد عليه ما ذكره الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات نقلًا عن الحافظ أبي سليمان الخطابي ما نصه: «وقد زلَّ بعض شيوخ أهل الحديث ممن يُرجع إلى معرفته بالحديث والرجال، فحاد عن هذه الطريقة حين روى حديث النزول، ثم أقبل على نفسه فقال: إن قال قائل كيف ينزل ربنا إلى السماء؟ قيل له: ينزل

كيف يشاء، فإن قال: هل يتحرك إذا نزل؟ فقال: إن شاء يتحرك وإن شاء لم يتحرك، وهذا خطأ فاحش عظيم، والله تعالى لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدَث وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعالٍ عنهما: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[سورة الشورى]. فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يُدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطإ الفاحش» اهـ.

[خطبة الكتاب]

بِسم الله الرَّحمَن الرَّحِيم

الحَمد لله العَظِيم شَأنه القوي سُلطَانه القاهر ملكوته[١] الباهر جبروته[٢] الغَنِيّ عَن كل شَيء وكل شَيء مفتقر إِلَيهِ[٣]، فَلَا معول لشَيء من الكائنات إِلَّا عَلَيهِ[٤].

---

(١) عزه وسلطانه وعظمته. قَالَ الأَزهري: وَاللَّهُ القاهرُ القَهّار، قَهَرَ خَلْقَه بِسُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ وصَرَّفهم عَلَى مَا أَراد طَوْعًا وَكَرْهًا. وَقَالَ ابْنُ الأَثير: الْقَاهِرُ هُوَ الْغَالِبُ جَمِيعَ الخَلْقِ. **لسان العرب**، ابن منظور، (١٢٠/٥).

(٢) أي القاهر لكل شيء المقدر لكل شيء، القادر على كل شيء عز وجل.

(٣) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[سورة الإخلاص]، فالله تعالى غني عن العالمين، فهو المستغني عن كل ما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه، فلا يجتلب بخلقه نفعًا لنفسه ولا يدفع بهم عن نفسه ضرًا. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾[سورة الإخلاص].

(٤) لا رب إلا الله هو خالق كل شيء ومقدره وإليه ترجع الأمور سبحانه وتعالى.

أرسل مُحَمَّدًا صلى الله عَلَيهِ وَسلم بالمحجة البَيضَاء[١]، وَالملَّة الزهراء[٢]، فَأتى بأوضح البَرَاهِين[٣] ونور محجة السالكين[٤] وَوصف ربه تَعَالَى بِصِفَات الجَلَال وَنفى عَنهُ مَا لَا يَلِيق بالكبرياء والكمال[٥]، فتعالى الله الكَبِير المتعال عَمَّا يَقُوله أهل الغي والضلال[٦]، لَا يحملهُ العَرش بل العَرش وَحَملته محمولون بلطيف

(١) المحجة هي الجادة والمراد بقول المؤلف «المحجة البيضاء» هو الطريقة التي يجب على الناس أن يتبعوها وهي طريقة سيدنا محمد عليه الصلاة وأصحابه الطاهرين التي أمر الله سبحانه وتعالى أن نتبعها وأمر أن نقتدي فيها بحبيبه محمد فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأحزاب].

(٢) الطريقة الواضحة السليمة المعتدلة التي من سار عليها والتزم بها فاز فوزًا عظيمًا.

(٣) أي أوضح طريق النجاة للسالكين، فبين سبيل الهدى وجَنَّبهم طرق الغواية والردى.

(٤) أي سهل الله طريق السالكين في طريق الخير.

(٥) فالله تعالى موصوف بكل كمال يليق به منزه عن كل نقص في حقه، ليس كمثله شيء، لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء.

(٦) من نسبة التجسيم إليه والحركة والنزول بالانتقال والمسافة بينه وبين الخلق، ومن كونه في جهة من الجهات، ومن نسبة الضعف والحاجة إليه وغير ذلك والعياذ بالله تعالى من الكفر والضلال، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قدرته مقهورون فِي قَبضته[١]، أحَاط بِكُل شَيء علمًا[٢]، وأحصى كل شَيء عددًا[٣]، مطَّلع على هواجس الضمائر[٤] وحركات الخواطر[٥]، فسبحانه مَا أعظم شَأنه، وأعز سُلطَانه، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾[٦] [سورة الرحمن] لافتقارهم إِلَيهِ، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾[سورة الرحمن] لاقتداره عَلَيهِ.

---

(١) أي أن العرش وحملته محمولون بقدرة الله، جل الله عن أن يكون محمولًا لحامل، فالله تعالى هو رب العرش، خلقه بقدرته لا لحاجة إليه، والخالق لا يحتاج إلى مخلوقه، فلا يوصف تعالى بالجلوس ولا بالاستقرار ولا بالقعود ولا بشيء من صفات خلقه. ومن وصف الله بصفة من صفات البشر فقد كفر. فليحذر من أهل الضلال الذين منهم ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وأتباعه الوهابية الذين نسبوا لله القعود وأنه يقعد معه نبيه على العرش، نعوذ بالله من كفرهم ونسأله حسن الخاتمة.

(٢) عالم بكل ما كان وما يكون في هذا العالم وما لو كان كيف يكون لا يخفى عليه شيء، عالم بكل شيء ولا يخفى عليه شيء.

(٣) يعلم عدد كل شيء من إنس وملائكة وجن وسائر المخلوقات.

(٤) يعلم ما في صدور الناس وما يضمرون في قلوبهم.

(٥) كل ما يخطر في بال الإنسان منّا فالله مطلع عليه.

(٦) قال السيوطي في تفسير الجلالين: «يسأله من في السماوات والأرض» بنطق أو حال ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك، «كل يوم» وقت، «هو في شأن» أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك». وليس معنى كل يوم هو في شأن أن الله يغير مشيئته لدعاء الداعين، لأن الله أزلي أبدي ومشيئته أزلية لا تتغير لأحد. وقد فسّر الرسول صلى الله عليه وسلم الآية بقوله: «**يكشف كربًا ويغفر ذنبًا ويرفع قومًا ويضع آخرين**» رواه السيوطي، والذي يعتقد أن مشيئة الله تتغير لا يكون مسلمًا.

وصلى الله عَلَيهِ وَسلم على سيدنَا مُحَمَّد خَاتم أنبيائه ومُبلّغ أنبائه وعَلى آله وَصَحبه وَسلم.

[سبب تأليف هذا الكتاب وخطة البحث]

أما بعد، فَالَّذِي دَعَا إِلَى تسطير هَذِه النبذة[1] مَا وَقع فِي هَذِه المدَّة مِمَّا علقه بَعضهم فِي إِثبَات الجِهَة[2]، واغتر بهَا من لم يرسخ لَهُ فِي التَّعلِيم قدم[3]، وَلم يتَعَلَّق بأذيال المعرفَة[4]، وَلَا كبحه لجام الفَهم[5]، وَلَا استبصر بِنور الحِكمَة[6] فَأَحبَبت

---

(١) أي الذي دعاني إلى كتابة هذه الرسالة.

(٢) وهو ابن تيمية الذي كتب كتبًا فيها نسبة الجهة لله تعالى وتبعه بعض ضعفاء العقول، فانتدب المؤلف للرد عليه وتبكيته قيامًا بالواجب الذي افترضه الله على عباده، فبيّن مخالفته للصواب ونصح فأقام الحجة بواضح الأدلة والبراهين وذلك فيه نصرة الدين وإلجامًا للمجسمة الضالين المفترين، وهذا شأن العلماء الراسخين، ففي عمله هذا دفع لكيد الكائدين وزيغ الزائغين، فلا يعاب عليه بل فعله ممدوح لا يعيبه إلا من خالف الحق من المُفْرِطِين والمُفَرِّطين.

(٣) أي ظن بعض من ليس له باع في العلم أنهم على صواب فاغتر بهم وتبعهم أو أثنى عليهم أو نقل عنهم. فالحذر الحذر، وفي كلامه هذا إشارة إلى أهمية وحقية التحذير من أهل الضلال خوفًا وشفقة على العامي الذي يخشى عليه فتنتهم ويخشى عليه أن يزِلَّ أو يضل بسببهم لطف الله بنا معاشر المسلمين.

(٤) أي لم يتمسك بالعلم والدين، إما اتباعًا لهوى، أو لجهل بالدين. وكلاهما مهلك. ومن هنا يظهر أهمية تعلم وتعليم ما افترض الله تعالى على عباده من عقيدة أهل السنة والجماعة وكيفية أداء الواجبات واجتناب المحرمات.

(٥) أي الفهم الصحيح والسليم.

(٦) معناه لم ينظر نظر الحكيم المتبصر بمعرفة الأمور على حقائقها كما أمر الشرع بذلك.

أَن: أذكر عقيدة أهل السّنة وَالجَمَاعَة، ثمَّ أبين فَسَاد مَا ذكره[1] مَعَ أَنه لم يدع (دَعوَى)[2] إِلَّا نقضهَا وَلَا أطّد قَاعِدَة إِلَّا هدمها[3]، ثمَّ أستدلُ على عقيدة أهل السّنة وَمَا يتَعَلَّق بذلك وَهَا أَنا أذكر قبل ذَلِك مُقَدّمَة يُستضاء بهَا فِي هَذَا المَكَان فَأَقُول وَبِاللَّهِ المُستَعَان.

---

(١) أي ابن تيمية الحراني المجسم.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) أي عندما يثبت قاعدة ما من كثرة جهله وسوء فهمه وتناقضه يرجع ويهدم ما أثبته وبناه ويناقض نفسه، فتراه مرة يكفر جهمًا لقوله بفناء الجنة والنار ثم يعود ليقول مثل قوله والعياذ بالله تعالى، هذا حاله وحال من مشى خلفه.

[تمهيد]

مَذهَب الحشوية[١] فِي إِثبَات الجِهَة مَذهَب واه سَاقِط[٢]، يظهر فَسَاده من مُجَرّد تَصوره، حَتَّى (قَالَت)[٣] الأَئمَّة لَولَا اغترار العَامَّة بهم لما صرف إِلَيهِم عنان الفِكر، وَلَا قطر القَلَم فِي الرَّد عَلَيهِم[٤].

وهم فريقان: فريق لَا يتحاشى فِي إِظهَار الحشو: ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨﴾ [سورة المجادلة]، وفريق يتستر بِمذهب السّلف لِسُحتٍ[٥] يَأْكُلهُ، أَو

---

(١) الحشوية ـ بِفَتح الشين ـ وَسُمّوا حشوية؛ لأَنهم كَانُوا يَجلِسُونَ فِي حَلقَة الحسن البَصرِيّ أَمَامه فَلَمَّا أنكر كَلَامهم قَالَ: ردوهم إِلَى حَشو الحلقَة أَي: جَانبهَا. وَقَالَ ابن الصّلاح: فتح الشين غلط وَإِنَّمَا هُوَ بالإسكان.

وَقَالَ البرمَاوِيّ: الحشوية ـ بِسُكُون الشين ـ لِأَنَّهُ إِمَّا من الحشو؛ لأَنهم يَقُولُونَ بِوُجُود الحشو الَّذِي لَا معنى لَهُ فِي كَلَام المَعصُوم أَو لقَولهم بالتجسيم وَنَحو ذَلِك وَيُقَال أَيضًا بِالفَتح لقصة الحسن وَيُقَال فيهم غير ذَلِك. **التحبير شرح التحرير**، المرداوي الحنبلي، (ج ٣ / ص ٤٠٣).

(٢) أي مذهب ضعيف ركيك.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

(٤) مذهب المجسمة ظاهر البطلان لوهنه وضعفه، ولولا أن كثيرًا من عامة الناس اغتروا بهم وسمعوا لهم لما قام العلماء بالرد عليهم وتبيان حالهم.

(٥) السُّحْتُ والسُّحُتُ: كلُّ حرام قبيح الذِّكر؛ وقيل: هو ما خَبُثَ من المَكاسب وحَرُم فلَزِمَ عنه العارُ، وقَبيحُ الذِّكْر، كَثَمن الكلب والخمر والخنزير.

حطام يَأخُذهُ، أَو هوى يجمع عَلَيهِ الطغام[1] الجهلة والرعاع السفلة، لعلمه أَن إبلِيس لَيسَ لَهُ دأب إِلَّا خذلان أمة مُحَمَّد صلى الله عَلَيهِ وَسلم، وَلذَلِك لَا يجمع قُلُوب العَامَّة إِلَّا على بِدعَة وضلالة[2]، يهدم بهَا الدّين وَيفسد بهَا اليَقِين[3]، فَلم يسمع فِي التواريخ أَنه خزاه الله جمع غير خوارج أَو رافضة أَو ملاحدة أَو قرامطة[4]، وَأما السّنة وَالجَمَاعَة فَلَا تَجتَمِع إِلَّا على كتاب الله المُبين وحبله المتين[5]. وَفِي هَذَا الفَرِيق من يكذب على السَّابِقين الأَوَّلين من المُهَاجِرين وَالأَنصَار وَيَزعُم أَنهم يَقُولُونَ بمقالته، وَلَو أنفق ملء الأَرض ذَهَبًا مَا استَطَاعَ أَن يروج عَلَيهِم كلمة تصدق دَعوَاهُ. وتستّر هَذَا الفَرِيق بالسلف[6] حفظًا لرياسته

---

(١) أَوغَادُ النَّاسِ وأَرذَالُهم. **تاج العروس**، مرتضى الزَّبيدي، مادة (ط غ م)، (ج ٣٣ /ص ٢٢).

(٢) وذلك مصداق قوله تعالى إخبارًا عن حال إبليس الملعون: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾[سورة ص]. قال أبو السعود في تفسيره: «لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» أي ذريةَ آدمَ بتزيينِ المَعَاصي لهم، «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلَصِين» وهم الذين أخلصَهم الله تعالى لطاعتِه وعصمَهم من الغواية. وقرئ المخلِصين على صيغةِ الفاعلِ، أي الذينَ أخلصُوا قلوبَهم وأعمالَهم لله تعالى».

(٣) بالوساوس في قلوب الضعفاء ونصره أهل الضلال، أما المؤمن الكامل القوي فبعيد بإذن الله تعالى عن فتنته ووساوسه الدسيسة الخسيسة.

(٤) فرقة من الباطنية، نشأَت بالعراق واتسع سلطانها بالحجاز.

(٥) أي لا يستطيع أن يغوي جماعة أهل الحق لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

(٦) كحال المجسمة اليوم أطلقوا على أنفسهم اسم السلفية باعتبار أنهم بزعمهم ماضون في طريق السلف وما هم إلا ماضون بطريق أسلافهم من المجسمة وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والزمرة الضالة المضلة. والسلف الصالح منهم بريئون.

والحطام الَّذِي يجتلبه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ ﴿٩١﴾﴾ [سورة النساء] وَهَؤُلَاء يتحلون بالرياء والتقشف فيجعلون الرَّوث مُفَضَّضًا والكَنيف مُبَيَّضًا ويُزَهِّدُون فِي الذَّرَّة ليُحَصِّلُّوا الدُّرَّة[١].

أظهــــرُوا للنَّـــاس نســـكًا ... وعَلى المنقـــــــوش داروا[٢]

وَمذهب السّلف إِنَّمَا هُوَ التَّوحِيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه، والمبتدعة تزعم أَنَّهَا على مَذهَب السّلف.

وكل يـــدعونَ وصـــال ليـــلى ... وليـــلى لَا تقـــر لَهُـــم بـــذاكا[٣]

---

(١) والمعنى أن المشبهة أخزاهم الله يظهرون للناس الفقر والمسكنة والتواضع ويغرونهم بطريقة لبسهم ولحاهم وأشكالهم إيهامًا للناس أن الإسلام هو هذا تحقيقًا لمبتغاهم الدنيوي وبطرًا ورياء وحبًا للنفس لا يرجون ثوابًا ولا مغفرة ولا تقوىً، وما ذكره ابن جهبل رحمه الله إنما هو مثال ضربه فيهم لأنهم يزينون الباطل ويحسنونه للناس ليتمكنوا بذلك من الوصول إلى مبتغاهم وشهواتهم كمن يجمل الكنيف أي الخلاء وهو بحقيقة أمره خلاء مهما زين وجمل يبقى خلاء.

(٢) قاله العلاء بن الجارود وهو لمحمود الوراق، والمراد من إيراد هذا البيت أن المجسمة أظهرت للناس أنها تعمل الخير وأنها على الحق ولكن لم يكن همهم إلا الدنيا والمناصب والمال وهم يراؤون الناس وليسوا على حق ولا خير فيهم ولا هم على صواب. **العقد الفريد**، ابن عبد ربه الأندلسي، (ج٣/ص١٦٩).

(٣) الرواية المشهورة: وكل يدَّعي وصلًا بليلى وليلى لَا تقر لَهُم بذاكا.

وهو من عائر الشعر، أي الذي لم ينسب لقائل معين.

وَكَيف يعتَقد فِي السّلف أَنهم يَعتَقِدُونَ التَّشبِيه أَو يسكنون عِند ظُهُور أهل البدع[1] وَقد قَالَ الله: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢﴾ [سورة البقرة] وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [سورة آل عمران] وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [سورة النحل].

وَلَقد كَانَت الصَّحَابَة رَضِي الله عَنهُم لَا يَخُوضُونَ فِي شَيْء من هَذِه الأَشيَاء لعلمهم أَن حفظ الدهماء[2] أهم الأُمُور، مَعَ أَن سيوف حججهم مرهفة ورماحها مشحوذة[3]، وَلذَلِك لما نبغت الخَوَارِج واثبهم حبر الأمة وعالمها وابنا عَم رسولها

(١) أي يسكتون عن الرد عليهم وبيان سوء حالهم والتحذير منهم، فليس السكون والسكوت عن النهي عن المنكر دأب علماء أهل السنة بل هم يتبعون ما أمر الله، والله في كتابه أمر الناس أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وأن يبينوا الحق وأن لا يكتموه.

(٢) الدهماء: السواد الأعظم. **تاج العروس**، مرتضى الزَّبيدي، مادة (د هـ م)، (ج ٣٢/ص ١٩٤).

(٣) الصحابة تلقوا العلم من النبيّ صلّى الله عليه وسلم مباشرة فعندهم من الفهم والحفظ والعلم الواسع ما لا يوزن بأطنان الذهب والفضة وهم قادرون على قمع بدع أهل الضلال وكسرهم فحججهم كثيرة وعلومهم غزيرة واسعة.

أَمِير المُؤمِنِينَ عَلِيّ بن أبي طَالب[1] وَعبد الله بن عَبَّاس[2] ترجمان القرءان فاهتدى البَعض بالمناظرة وأصر البَاقُونَ عنادًا فتسلط عَلَيهِم السَّيف.

وَلَكِن حكم السَّيف فِيكُم مسلط فنرضى إِذا مَا أصبح السَّيف رَاضِيا

وَكَذَلِكَ لما نبغ القدر[3] وَنجم بِهِ معبد الجُهَنِيّ[4] قيّض الله تَعَالَى لَهُ زاهد الأمة وَابن فاروقها عبد الله (بن)[5] عمر بن الخطاب[6] رَضِي الله عَنهُمَا. وَلَو لم تنبغ هَاتَانِ البدعتان لما تَكَلَّمت الصَّحَابَة رَضِي الله عَنهُم فِي رد هَذَا وَلَا إِبطَال هَذَا، وَلم يكن دأبهم إِلَّا الحَث على التَّقوَى والغزو وأفعال الخَير، وَلذَلِك لم ينقل عَن سيد البشر صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَلَا عَن أحد من أَصحَابه رَضِي الله عَنهُم أَنه

---

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشيدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلامًا بعد خديجة. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (١/١١٥).

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (١/٢٩٤).

(٣) أي ظهر من تكلم بنفي القدر، أي خرجت الفرقة القدرية وهي التي تنفي القدر.

(٤) معبد بن عبد الله بن عليم الجهنيّ البصري: أول من قال بالقدر في البصرة. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني (ج ١٠/ص ٢٢٥).

(٥) ساقطة من بعض النسخ.

(٦) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. كان جريئًا جهيرًا. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (١/٢١٤).

وَقد صدر جمع النَّاس فِي مجمع عَام ثمَّ أَمرهم أَن يعتقدوا فِي الله تَعَالَى كَذَا وَكَذَا ذَلِك فِي أَحكَام شَتَّى، وَإِنَّمَا تكلم فِيهَا بِمَا يفهمهُ الخَاص وَلَا يُنكره العَام، وَبِاللَّهِ أقسم يَمِينًا برةً مَا هِيَ مرّة بل ألف ألف مرّة أَن سيد الرُّسُل صلى الله عَلَيهِ وَسلم لم يقل أَيهَا النَّاس اعتقدوا أَن الله تَعَالَى فِي جِهَة العُلُوّ، وَلَا قَالَ ذَلِك الخُلَفاء الراشدون وَلَا أحد من الصَّحَابَة، بل تركُوا النَّاس وَأمر[1] التعبدات وَالأَحكَام، لَكِن لما ظَهرت البدع قمعها السّلف، أما التحريك للعقائد والتشمير لإظهارها وَإِقَامَة ثائرها فَمَا فعلوا ذَلِك بل حسموا البدع عِند ظُهُورهَا[2].

(١) «و» بمعنى «مع».

(٢) وهذا المسلك كفيل بقمع البدع وانحسارها. وللأسف قل في زماننا هذا من ينكر على أهل البدع والضلال، فترى كثيرًا من أصحاب العلم والجاه في بيوتهم قابعون، وعن المحرفين للدين ساكتون بل بعضهم راضون، ويتساءلون لم هم مبتلون. ألم يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الناسَ إذا رأوا المنكرَ ولم يأخذوا على يدَي مَنْ يفعلُهُ أوشَكَ أن يَعُمَّهُمُ الله بعقابٍ منه قبلَ أن يموتوا**».

ثمَّ الحشوية إِذا بحثوا فِي مسَائِل أُصول الدّين مَعَ المُخَالفين تكلمُوا بالمعقول[١]، وتصرفوا فِي المَنقُول[٢]، فَإِذا وصلوا إِلَى الحشو تبلدوا وتأسوا[٣]، فتراهم لَا يفهمون بِالعَرَبِيَّةِ وَلَا بالعجمية. كلا وَالله لَو فَهموا لهاموا[٤]، وَلَكِن اعترضُوا

---

(١) أي طعنوا بالعقل ليصرفوا الناس عن الإحتكام إليه، فيسهل عليهم إضلال العامة، وذلك أن العقل يرد عليهم تجسيمهم وتشبيههم. وهذه طريقة أشباههم ممن يدينون بعقائد مردودة بالبديهة. وقد ذكر بعضهم أنه كان يدرس الفلسفة عند واحد من عبدة البقر، فأتت بقرة فراثت، فتركهم ذلك المدرس وصار يحمل روثها ويدلك وجهه وبدنه متبركًا به بزعمه. ثم رجع. فقال له أحد التلامذة: أنت يا أستاذ مع ما لك من العقل تفعل هذا؟! فأجابه: إن أمور الإيمان لا دخل للعقل بها. ولعل هذا يفهمنا كيف يفكر عبدة البشر والحجر والأجرام العلوية والأجسام الوهمية من مجسمة وغيرهم ممن اتخذوا ما هووه أو خافوه إلهًا. أما أهل السنة فهم لا يهملون العقل، بل هو عندهم شاهد للشرع، وذلك لأن الشرع لا يأتي بما يخالف العقل السليم، كما دلت على ذلك النصوص الشرعية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [سورة ءال عمران].

(٢) أي غيروا بالنصوص وتلاعبوا بها نصرًا لمذهبهم الفاسد.

(٣) وذلك الذي يحصل لهم من التبلد والتزعزع والضياع إنما هو بسبب وهن مذهبهم وأقوالهم وتناقضها وعدم رجوعها لصحيح الحديث والأصول السنية المعتبرة.

(٤) يقول لو فهمت المجسمة أتباع ابن تيمية الحق لفرحوا به وشغفوا به وتشبثوا به ولكنهم هاموا بضلالات جعلت قلوبهم قاسية كالحجارة.

بَحر الهوى فشقوه وعاموا[1]، وأسمعوا كل ذِي عقل ضَعِيف وذهن سخيف[2]، وخالفوا السّلف فِي الكَفّ عَن ذَلِك مَعَ العَوام[3]. وَلَقَد كَانَ الحسن البَصرِيّ[4]

---

(١) المراد أن المجسمة خالفت أهل السنة والجماعة وحاربتهم فمُنِعَت من خيرهم وبركاتهم، فقال ابن جهبل بسبب الفراغ الذي هم عليه والجهل يصيرون كالوعاء الفارغ الذي يطفو على وجه الماء.

(٢) وهذا دأبهم إلى اليوم قديمًا وحديثًا أنهم يلقون الشبهات والتمويهات على السخفاء والجهلاء وضعفاء العقول فيستميلونهم إلى بدعتهم وضلالتهم من التشبيه والتجسيم ثم يغرونهم ويحرضونهم على أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية ويسلطونهم عليهم بالسب والشتم والافتراءات وفي كثير من الأحيان بالضرب والقتل.

(٣) فالمشبهة المجسمة أتباع ابن تيمية ومن قبله من المجسمة ومن بعده كوهابية عصرنا أتباع محمد بن عبد الوهاب خالفوا أهل السنة والمنزهين سلفهم وخلفهم في حسن تدبيرهم تعليم الناس فأهل السنة تبدأ مع المبتدئ بتعليمه الشهادتين ومعانيها وما يلحق ذلك شيئًا فشيئًا ثم بصغار العلوم، ومن وجدت المشايخ أهليته أعطته أكثر فأكثر في العلوم، لكن بالنسبة للعامة حرص علماء أهل السنة أن يسهلوا عليهم وأن يعطوهم العلم على قدر أفهامهم فالفهم يختلف من شخص لآخر. أما المجسمة الوهابية فقد أدخلت خواصهم وعوامهم في معمعة وتشتت وارتباك فأعطتهم ما لا يعقله عاقل وقالت لهم: «الدين هكذا أنت اعتقده ولو لم تفهم، وإن لم تعتقده أنت زنديق كافر ضال»، وذلك كمن يقول لشخص: «إن اللبن أسود اعتقد هذا» مع علمه أن اللبن أبيض نعوذ بالله من سوء الأفهام.

(٤) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد: تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية وسكن البصرة. وعظمت

رَضِي الله عَنهُ إِذا تكلم فِي علم التَّوحِيد أخرج غير أَهله[١] وَكَانُوا رَحِمهم الله تَعَالَى لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ إِلَّا مَعَ أهل السّنة مِنهُم، إِذ هِيَ قَاعِدَة أهل التَّحقِيق، وَكَانُوا يضنون بِهِ على الأَحدَاث، وَقَالُوا الأَحدَاث هم المستقبلون الأُمُور المبتدئون فِي الطَّرِيق، فَلم يجربوا الأُمُور وَلم يرسخ لَهُم فِيهَا قدم، وَإِن كَانُوا أَبنَاء سبعين سنة[٢].

هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف في الحق لومة. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان (ج ٢ / ص ٦٩-٧٠).

(١) وذلك لأن في زمنه ظهرت بدع اعتقادية كبدعة واصل بن عطاء وهو من أصول المعتزلة وغيره ممن يحضرون دروس التوحيد لا للاستفادة بل ليردوا على أهله ويحرفوه، لهذا منعهم من حضور مجالسه. أما هو فكان يتكلم بالتوحيد وغيره من العلوم إرشادًا للمسترشدين. فكان رحمه الله لا يضع العلم عند غير أهله. وهذا فطنة منه وتنبيه لكيفية التعامل مع أمثال هؤلاء. ولكن بعض الناس تخفى أحوالهم على بعض العلماء أو يتغير حالهم بعد التعلم فيكون جلوسهم في حلقة هذا العالم فتنة لبعضهم. مثال ذلك محمد بن كرام السجستاني، درس على الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ثم خرج إلى بلاده وأظهر للناس زهدًا، ثم صار ينشر الضلال من تجسيم وغيره، وصار له أتباع عرفوا بالكرامية. وقد تبعه في بعض ضلالاته ابن تيمية. فأمثال هؤلاء لا يُعَلَّمون بل ولا يُجَالَسُون.

(٢) أفهام الناس مختلفة فمنهم غير المتعلم العامي ومنهم المتعلم الراسخ في العلم، فعلماء أهل السنة علموا الدين العقائد والأحكام بالقدر الكافي للكل مراعين حال الشخص، ثم من كان فيه أهلية للاستزادة من العلوم زادوه.

وَقَالَ سهل[1] رَضِي الله عَنهُ: لَا تطلعوا الأَحدَاث على الأَسرَار قبل (تمكنهم)[2] من اعتِقَاد أَن الإِله وَاحِد وَأَن الموحد فَرد صَمد منزه عَن الكَيفِيَّة[3] والأينية لَا تحيط بِهِ الأفكار وَلَا تكيفه الأَلبَاب[4].

---

(١) سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات. **طبقات الصوفية**، النيسابوري (ص ١٦٦).

(٢) ساقطة من بعض النسخ.

(٣) قال شيخُنا الإمام الحافظُ الهرريُّ رضي الله عنه: الكيفيّةُ هي الصِفات التي تقوم بالجِرم، واللهُ تعالى منزَّه عن كلِّ ذلك، فإذا ذُكر كلمة الكيفِيّة بهذا المعنى مضافةً إلى الله كان ذلك تشبيهًا له بخَلْقِه، وأما مَن ذَكَر لفظ الكيفيّة في بعض العباراتِ بمعنى الحقيقة فليس في ذلك تشبيهٌ للهِ بخَلقِه، كهذا البيت الذي يذكره بعض المؤلِّفين مِن أهل السُّنّة كابن الجوزي والزّركشِيّ:

حَقِيقةُ العَبْدِ ليسَ العبدُ يُدرِكُها فكيفَ كَيفِيّةُ الجبّارِ في القِدَمِ

وفي روايةٍ: «حَقِيقةُ النَّفْسِ ليسَ العبدُ يُدْرِكُها»، فقوله: «فكيفَ كَيفِيّةُ الجبّارِ في القِدَمِ»، معناه فكيفَ حقيقةُ الجبّارِ. وقال بعضُ الكَرّامِيّةِ وهُم فِرقةٌ مِنَ المجسِّمةِ: إن للهِ تعالى كيفيّةً لا يعرفها إلا هو، وهو قولٌ فاسِدٌ، لأنها عبارةٌ عن الهيئاتِ، وذلك مستحيل عليهِ تعالَى. اهـ.

(٤) أي ابدؤوا مع المبتدئين بما هو أولى لهم وذلك بتعليمهم أمور العقيدة من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الجهة والحيز والمكان والجسمية، ولا تشغلوهم ببعض العلوم التي هي للخاصة والتي مرتبتها دون ما ذكرناه أولًا. ولا بأس بإيراد شيء من نصيحة الحافظ ابن الجوزي لابنه فإنها قيّمة توضح كيفية التعليم والتعلم وما هو أولى بالتقديم. قال رحمه الله: "وأوّلُ ما ينبغِي النظرُ فيهِ معرفةُ اللهِ تعالى بالدليلِ، ومعلومٌ أنَّ مَنْ رأى السماءَ مرفوعةً والأرضَ موضوعةً وشاهدَ الأبنيةَ المحكمَةَ خصوصًا في جَسَدِ نفسِهِ علِمَ أنهُ لا بدَّ للصنعةِ مِنْ صانعٍ وللمبْنَى مِنْ بانٍ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ١٦﴾ [سورة الرعد]. ثمَّ يتأملُ دليلَ صدقِ

وَهَذَا الفَرِيق لَا يَكتَفِي من إِيمَان النَّاس إِلَّا باعتقاد الجِهَة وَكَأَنَّهُ لم يسمع الحَدِيث الصَّحِيح عَن النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم: «**أمرت أَن أقَاتل النَّاس حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَه إِلَّا الله**[1]» الحَدِيث[2].

أَفلا يَكتَفِي[3] بِمَا اكتفى بِهِ نَبِيّهم صلى الله عَلَيهِ وَسلم حَتَّى إِنَّه يَأمر الزمنى[4] بالخوض فِي بَحر لَا سَاحل لَهُ وَيَأْمُرهُم بالتفتيش عَمَّا لم يَأْمُرهُم رَسُول

الرسولِ ﷺ إليهِ وأكبرُ الدلائلِ القرءانُ الذي أعجزَ الخلْقَ أن يأتُوا بسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ فإذا ثبَتَ عندَهُ وجودُ الخالقِ جلَّ وعلا وصدقُ الرسولِ ﷺ وجَبَ تسليمُ عنانِهِ إلى الشرعِ. ثمَّ يجبُ عليهِ أنْ يعرفَ ما يجبُ عليهِ مِنَ الوضوءِ والصلاةِ والزكاةِ إنْ كانَ لهُ مالٌ، والحجّ ـ أي إن كان مستطيعًا ـ وغيرِ ذلكَ مِنَ الواجباتِ. فإذا عرفَ قدْرَ الواجبِ قامَ بِهِ. فينبغِي لِذِي الهمَّةِ أنْ يترقَّى إلى الفضائلِ فيتشاغلَ بحفظِ القرءانِ وتفسيرِهِ وبحديثِ الرسولِ ﷺ وبمعرفةِ سِيَرِهِ وسِيَرِ أصحابِهِ والعلماءِ بعدَهُمْ ليتخيَّرَ مرتبةَ الأعْلى فالأعْلى ولا بُدَّ مِنْ معرفةِ ما يُقوِّمُ بهِ لسانُهُ مِنَ النحوِ ومعرفةِ طرفٍ مستعملٍ مِنَ اللغةِ.

(١) هذا الحديث فيه أنّ الرسول لا يحكم بإسلام الشخص الذي يريد الدخول بالإسلام إلا بالشهادتين.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، (ج ٤/ص ٤٨) **وسنن الترمذي**، الترمذي، (ج ٥/ص ٧١٧).

(٣) أي ابن تيمية.

(٤) جمع زَمِن أي مبتلى بَيّنُ الزمانة. **مختار الصحاح للرازي**، مادة (ز م ن)، (ص ١٣٧).

الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم بالتفتيش عَنهُ وَلَا أحد من أَصحَابه رَضِي الله عَنهُم[1]، وَلَا تنازل وَاكتفى[2] بِمَا نقل عَن إِمَامه[3] الإِمَام أَحْمد بن حَنبَل[4] رَضِي الله عَنهُ.

---

(١) هذا كلام في ذم ابن تيمية وتصريح من ابن جهبل أن ابن تيمية ما وافق النبي ولا الصحابة ولا من تبعهم حيث إنه أمر ابن تيمية الناس باعتقاد أن الله في جهة وإن لم يفعل كان على زعمه كافرًا على خلاف ما أمر النبي به والصحابة من اعتقاد الشهادتين والتنزيه، وهو تشنيع كذلك من ابن جهبل رحمه الله على ابن تيمية في ما يأمر به الجهلة من الخوض في بحور الهلاك والفساد الذي يزدادون فيه غرقًا لما يأمرهم به من التشبيه والتجسيم والخروج على القرءان والسنة والإجماع.

(٢) معطوف على الفعل السابق قبله «أفلا يكتفي بما اكتفى به نبيهم».

(٣) أي من ينسب ابن تيمية له نفسه وإلى مذهبه زورًا وبهتانًا، وابن حنبل وفضلاء الحنابلة برءاء منه وهو خصمهم يوم القيامة أمام العباد.

(٤) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي نزيل بغداد أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة، ثقة حافظ فقيه حجة صاحب المذهب. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (ج ١/ص ٤٧٨).

[عقيدة الإمام أحمد بن حنبل في الصفات]

حَيثُ قَالَ ـ الإمام أحمد ـ: «لَا يُوصف الله تَعَالَى إِلَّا بِمَا وصف بِهِ نَفسه أَو وَصفه بِهِ رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم، لَا نتجاوز القُرءان والحَدِيث، ونعلم أَن مَا وصف الله بِهِ من ذَلِك فَهُوَ حق لَيسَ فِيهِ لَغو وَلَا أُحَاجٍ[1] بل مَعنَاهُ يعرف من حَيثُ يعرف مَقصُود المُتَكَلّم بِكَلَامِهِ وَهُوَ مَعَ ذَلِك ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى] فِي نَفسه المقدسة المَذكُورَة بأسمائه وَصِفَاته وَلَا فِي أَفعاله، فَكَانَ يَنبَغِي أَن الله سُبحَانَهُ لَهُ ذَات حَقِيقِيَّة[2] وله أفعال حَقِيقِيَّة وَكَذَلِكَ لَهُ صِفَات حَقِيقِيَّة وَهُوَ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى] لَا فِي ذَاته وَلَا فِي صِفَاته وَلَا فِي أَفعاله، وكل مَا أوجب نقصًا أَو حدوثًا فَإِن الله عز وَجل منزه عَنهُ حَقِيقَة[3]، فَإِنَّهُ سُبحَانَهُ مُستَحقّ للكمال الَّذِي لَا غَايَة فَوقه وممتنع عَلَيهِ الحُدُوث لِامتِنَاع العَدَم عَلَيهِ

---

(١) القرءان معجز وفصيح وهو أصح كتاب فلا يصح أن يكون فيه لغط أو غلط أو إشكال بل هو متعاضد غير متناقض، فلا يجوز الطعن فيه بأنه مستغلق لا يفهم وليس فيه بيان، وحال الوهابية والمجسمة أنهم إذا وجدوا من يوضح للناس معاني الآيات على غير فهمهم مما يوافق الصواب وتؤيده لغة العرب نهوه وزعموا ان هذا مما لا يعقل معناه، وإذا غابوا عن أهل العلم شرحوها بما فيه تكذيب لمحكم القرءان لأنهم فهموه على غير معناه، فغاصوا بالمحظور والممنوع فضلوا وأضلوا.

(٢) هنا تأنيث اللفظ، والله تعالى لا يوصف بالذكورية ولا بالأنوثة، فمن قال ذات الله هي يريد تأنيث اللفظ لا الذات والأحسن أن يقال ذات الله المقدس هو.

(٣) والجهة والحيز والمكان والنزلة والنقلة والاستواء الحقيقي والقعود والجلوس والدنو الحقيقي وأي تشبيه لله بخلقه هو نقص لا يجوز على الله وهذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة.

واستلزام الحُدُوث سَابِقَة العَدَم[1] وافتقار المُحدث إِلَى مُحدث وَوُجوب وجوده بِنَفسِهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى». هَذَا نَص إِمَامه فَهَلا اكتفى بِهِ[2].

وَلَقَد أَتى إِمَامه[3] فِي هَذَا المَكَان بجوامع الكَلم، وسَاق أَدِلَّة المُتَكَلِّمين على مَا يَدعِيهِ هَذَا المارق، بِأَحسَن رد وأوضح معَان، مَعَ أَنه لم يَأمر بِمَا أَمر هَذَا الفَرِيق[4].

---

(١) الله كان قبل خلق المكان بلا مكان وبعد خلق المكان الله بلا مكان، ولا يجري عليه زمان كان بلا مكان وهو الآن على ما عليه كان.

(٢) ذكر الشيخ ابن حجر الهيتمي أن الإمام أحمد كان من المنزهين لله تعالى عن الجهة والجسمية، ثم قال ابن حجر ما نصه: «وما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبُهتان وافتراء عليه». **الفتاوى الحديثية**، ابن حجر الهيتمي، (ص ١٤٤).

(٣) أي الذي يزعم ابن تيمية الانتساب إليه والإمام منه بريء، بل من تبع الإمام أحمد من فضلاء الحنابلة فقد قال الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه»: «كان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ». وقد ذكر سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام: «أن عقيدته ـ أي عقيدة أبي الحسن الأشعري ـ اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو ابن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري».

(٤) هذا دليل واضح وصريح أن ابن حنبل سني مسلم، وأتباعه سنة، وأن ابن تيمية مجسم ضال انتسب إلى الحنابلة بهتانًا وزورًا.

[عقيدة الإمام الشافعي في الصفات]

وَقد قَالَ الشَّافِعِي[1] رَضِي الله عَنهُ سَأَلت مَالِكًا[2] عَن التَّوحِيد فَقَالَ مَحَال أَن نظن بِالنَّبِيِّ صلى الله عَلَيهِ وَسلم أَنه علم أمته الِاستِنجَاء وَلم يعلمهُم التَّوحِيد، وَقد قَالَ صلى الله عَلَيهِ وَسلم: «**أمرت أَن أقَاتل النَّاس حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَه إِلَّا الله**». الحَدِيث، فَبين مَالك[3] رَضِي الله عَنهُ أَن المَطلُوب من النَّاس فِي التَّوحِيد هُوَ مَا

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (ج ١/ص ٤٣٣-٤٣٤).

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أبو عبد الله إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (ج ١ / ص ٣٩٦).

(٣) الإمام مالك منزه كذلك فقد قال عندما سئل رحمه الله عن نزول الرب عزّ وجلّ، فقال: «ينزل أمره تعالى كل سحر، فأما هو عزّ وجلّ فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو»، وكذا أتباعه هم منزهون فقد قال الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي في تفسيره: «والله جلَّ ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأنَّ في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز»، وقال القاضي أبو بكر محمد الباقلاني المالكي الأشعري ما نصه: «ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه، فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام ولا القعود، لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [سورة الشورى] وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [سورة الإخلاص] ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك».

اشتَمَل عَلَيهِ هَذَا الحَدِيث وَلم يقل من التَّوحِيد اعتِقَاد أَن الله تَعَالَى فِي جِهَة العُلُوّ[١].

وَسُئِلَ الشَّافِعِي[٢] رَضِي الله عَنهُ عَن صِفَات الله فَقَالَ: «حرَام على العُقُول أَن تمثل الله تَعَالَى، وعَلى الأوهام أَن تحد، وعَلى الظنون أَن تقطع، وعَلى النُّفُوس أَن تفكر، وعَلى الضمائر أَن تعمق، وعَلى الخواطر أَن تحيط، إِلَّا مَا وصف بِهِ نَفسه على لِسَان نبيه صلى الله عَلَيهِ وَسلم[٣]».

---

(١) قال الإمام الشافعي رضي الله عنه ما نصه: «إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته». **إتحاف السادة المتقين**، مرتضى الزَّبيدي، (ج ٢ / ص ٢٤).

(٢) الشافعي على التنزيه وكذا من انتسب إليه فقد قال أبو سليمان الخطابي في شرحه على البخاري عند شرح حديث النزول ما نصه: «إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا»، وقد قال الإمام ابن حجر: «وقال الشيخ البيضاويّ: لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسمية والتحيُّز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه».

(٣) أي لا نقول إلا بالمنقول والمعقول أما ما خالف الأصول فهو مردود غير مقبول، أي لا نقول في حق الله إلا بالمنقول من قرءان وحديث وبما يوافق العقل، أما ما خالف الأدلة النقلية السمعية أو الأدلة العقلية فلا نرضى به.

[تنزيه الصحابة وأتباع النبي من أهل السنة والجماعة عن التجسيم]

وَمن تقصى وفتش وَبحث وجد أَن الصَّحَابَة رَضِي الله عَنهُم وَالتَّابِعين والصدر الأول لم يكن دأبهم غير الإمسَاك عَن الخَوض فِي هَذِه الأُمُور وَترك ذكرهَا فِي المشَاهد وَلم يكُونُوا يدسونها إِلَى العَوام، وَلَا يتكَلَّمُونَ بهَا على المنابر وَلَا يوقعون فِي قُلُوب النَّاس مِنهَا هواجس كالحريق المشعل[1]، وَهَذَا مَعلُوم بِالضَّرُورَةِ من سيرهم، وعَلى ذَلِك بنينَا عقيدتنا، وأسسنا نحلتنا، وسيظهر لَك إِن شَاءَ الله تَعَالَى موافقتنا للسلف، وَمُخَالفَة المُخَالف[2] طريقتهم، وَإِن ادّعى الِاتِّبَاع، فَمَا سلك غير الابتداع.

---

(١) أي أن الصحابة والتابعين غايروا ابن تيمية الحراني وفرقته حيث التزموا حدودهم ولم يتعدوها كما فعلت فرق المجسمة والوهابية بإلقائهم على الناس شبه واهية مثل قولهم: نحن نرفع أيدينا إلى السماء لأن الله في السماء، وقولهم: إذا لم يكن الله في الأرض كان في السماء، تغليبًا للوهم على العقل والعياذ بالله تعالى، أما أهل السنة والجماعة علموا الناس أن الله موجود أزلًا وأبدًا بلا مكان ولا جهة وأنه منزه عن صفات المخلوقين والمكان موافقين بذلك النقل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى]، وموافقين بذلك العقل أن الخالق لو كان في مكان وتحده جهة لكان مشابهًا للخلق وذلك دليل عجز والعجز محال على الخالق فتقرر في العقل كذلك تنزيه الله وهذا ما أجمع عليه علماء السنة أجمعون.

(٢) أي ابن تيمية.

وَقول المُدَّعِي[١]: «إِنَّهم أظهرُوا هَذَا وَيَقُول علّم النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم كل شَيء حَتَّى الخراءة[٢]، وَمَا عَلَّم هَذَا المُهِمّ». هَذَا بهرج[٣] لَا يمشي على الصَّيرَفِي النقاد، أَو مَا علم أَن الخراءة يحتاج إِلَيهَا كل وَاحِد وَرُبمَا تكَرَّرت الحَاجة إِلَيهَا فِي اليَوم مَرَّات، وَأي حَاجَة بالعوام إِلَى الخَوض فِي الصِّفَات، نعم الَّذي يحتَاجُونَ إِلَيهِ من التَّوحِيد قد تبين فِي حَدِيث «**أمرت أَن أقَاتل النَّاس**»[٤].

ثمَّ هَذَا الكَلَام من المُدَّعِي يهدم بُنيَانه ويهد أَركَانه فَإِن النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم علم الخراءة تَصرِيحًا وَمَا علّم النَّاس أَن الله تَعَالَى فِي جِهَة العُلُوّ وَمَا ورد من العَرش وَالسَّماء فِي الاستوَاء قد بنى المُدَّعِي مبناه وأوثق عرى دَعوَاهُ على أَن المُرَاد بهما شَيء وَاحِد وَهُوَ جِهَة العُلُوّ، فَمَا قَالَه هَذَا المُدَّعِي لم يُعلمهُ النَّبِي صلى الله

---

(١) ابن تيمية.

(٢) أي ءاداب الحدث، وفيه إشارة إلى ما في حديث مُسلِم وأحمدَ واللَّفظ له عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ يَسْتَهْزِئُ: إِنِّي لَأَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّى الْخِرَاءَةَ. قُلْتُ: أَجَلْ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَلَا نَسْتَنْجِيَ بِأَيْمَانِنَا وَلَا نَكْتَفِيَ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ لَيْسَ فِيهَا رَجِيعٌ وَلَا عَظْمٌ».

(٣) البَهرَجُ الدِّرهَمُ المُبطَلُ السِّكّةِ وكلّ مَردودٍ عِندَ العَرَبِ بَهرَجٌ. **تاج العروس**، مرتضى الزَّبيدي، مادة (بهرج)، (ج ٥ / ص ٤٣٣).

(٤) النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر الشهادتين كافيًا للدخول في الإسلام، أي النطق بهما مع اعتقاد معناهما. والنبي ما قال لأحد اعتقد أن الله في جهة للدخول في الإسلام والعياذ بالله، بل اعتقاد أن الله في جهة واشتراط ذلك هو كذب وافتراء على ديننا فليحذر وهو كفر.

عَلَيهِ وَسلم أمته وعلمهم الخرأة، فَعِندَ المُدَّعِي يجب تَعلِيم العَوام حَدِيث الجِهَة[1]، وَمَا علمهَا رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم. وَأما نَحن فَالَّذِي نقُوله أَنه لَا يخاض فِي مثل هَذَا، ونسكت عَنهُ كَمَا سكت رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَأَصحَابه ويسعنا مَا وسعهم، وَلذَلِك لم يُوجد منا أحد يَأمر العَوام بِشَيء من الخَوض فِي الصِّفَات[2] وَالقَوم قد جعلُوا دأبهم الدُّخُول فِيهَا وَالأَمر بهَا فليت شعري من الأَشبَه بالسلف.

---

(١) ابن تيمية لا يعتبر الشخص مسلمًا إذا لم يقر بالجهة والعياذ بالله تعالى، وهذا منه كفر لأن فيه حكم بكفر جميع المسلمين وذلك لأنهم لا يثبتون الجهة لله. وهو أظهر دليل على كفر وضلال ابن تيمية الحراني وخروجه عن مذهب السنة والجماعة.

(٢) مراد المؤلف أن عددًا من العلماء اختاروا التأويل الإجمالي وهو صرف الآية عن ظاهرها الموهم للتشبيه، مع ترك الخوض في تعيينِ معنىً تفصيليًا مما تقتضيه لغة العرب ويليق بجلال الله وعظمته ولا يتناقض مع الآيات الأخرى. وهذا مسلك التفويض. وليس مراده أن لا نعلم التوحيد والعقيدة للناس بل مراده أن لا نخوض في ذلك بآرائنا إلى حد التيه والضياع والوقوع في الضلالة.

أمثلة على بعض من أوّل تأويلًا إجماليًا:

قال أبو حامد الغزالي: «العلم بأنه تعالى استوى على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء».

وقال أيضًا: «وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته».

قال الفقيه الحنفي ملا علي القاري ما نصه: «أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع في أزمنتهم يفوضون علمها ـ يعني آيات الصفات ـ إلى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن ظاهرها الذي

[عقيدة أهل السنة]

وَهَا (نَحن)[١] نذكر عقيدة أهل السّنة فَنَقُول: عقيدتنا أَن الله تعالى قديم أزلي لَا يشبه شَيئًا وَلَا يُشبههُ شَيء لَيسَ بجِهَة وَلَا مَكَان[٢] وَلَا يجرِي عَلَيهِ وَقت وَلَا

لا يليق بجلال ذاته، وأكثر الخلف يؤولونها بحملها على محامل تليق بذلك الجلال الأقدس والكمال الأنفس لاضطرارهم إلى ذلك لكثرة أهل الزيغ والبدع في أزمنتهم».

قال الحافظ العراقي ما نصه: «تكرر ذكر وجه الله تعالى في الكتاب والسنة وللناس في ذلك كغيره من الصفات مذهبان مشهوران أحدهما إمرارها كما جاءت من غير كيف فنؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء وأن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، وثانيهما تأويلها على ما يليق بذاته الكريم».

قال أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري عند كلامه على المتشابه ما نصه: «فلأصحابنا في ذلك طريقان أحدهما الإعراض عن التأويل والإيمان بها كما جاءت، والإيمان بها صحيح وإن لم يُعرف معناها».

(١) ساقطة من بعض النسخ.

(٢) قال اللغوي أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى ٥٠٢ هجري، ما نصه: «المكان عند أهل اللغة الموضع الحاوي للشيء». المفردات في غريب القرءان للراغب الأصفهاني، مادة م ك ن (ص ٤٧١). وقال العلّامة كمال الدين أحمد بن حسن البَياضي الحنفي المتوفى ١٠٩٨ هجري، ما نصه: «المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم». **إشارات المرام**، البياضي، (ص ١٩٧).

وقال الشيخ يوسف بن سعيد الصفتي المالكي المتوفى ١١٩٣ هجري، ما نصه: «قال أهل السنة المكان هو الفراغ الذي يحُلّ فيه الجسم». **حاشية الصفتي**، نواقض الوضوء، (ص ٢٧).

وقال الشيخ سلامة القضاعي العزامي الشافعي المتوفى ١٣٧٦ هجري، ما نصه: «المكان هو الموضع الذي يكون فيه الجوهر على قدره والجهة هي ذلك المكان». **فرقان القرءان،** مطبوع مع كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، (ص ٦٢).

وقال الشيخ المحدث الفقيه العلّامة الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي رحمه الله ما نصه: «المكان هو ما يأخذه الحجم من الفراغ». **إظهار العقيدة السنية،** (ص ١٦٤- ١٦٥).

كَانَ وَلَا زمَان[1] وَلَا يُقَال لَهُ أَين وَلَا حَيث، يرى لَا عَن مُقَابلَة وَلَا على مُقَابلَة، كَانَ وَلَا مَكَان، كَون المَكَان ودبر الزَّمَان وَهُوَ الآن على مَا عَلَيهِ كَانَ[1].

---

(١) قال الإمام الحافظ المجتهد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى (٣١٠ هجري)، ما نصه: «القول في الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل كل شيء، وأنه هو المحدِث كل شيء بقدرته تعالى ذِكره فمن الدلالة على ذلك أنه لا شيء في العالم مشاهَد إلا جسم أو قائم بجسم، وأنه لا جسم إلا مفترِق أو مجتمع، وأنه لا مفترِق منه إلا وهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله، ولا مجتمع منه إلا وهو موهوم فيه الافتراق، وأنه متى عدِمَ أحدهما عدم الآخر معه، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الافتراق، فمعلوم أن اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن. وإذا كان الأمر فيما في العالم من شيء كذلك، وكان حكم ما لم يُشاهد وما هو من جنس ما شاهدنا في معنى جسم أو قائم بجسم، وكان ما لم يخلُ من الحدث لا شك أنه محدَث بتأليف مؤلِّف له إن كان مجتمعًا، وتفريق مفرّق له إن كان مفترِقًا؛ وكان معلومًا بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعًا ومفرّقه إن كان مفترقًا؛ مَن لا يشبهه ومن لا يجوز عليه الاجتماع والافتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات الذي لا يشبهه شيء، وهو على كل شيء قدير. فبيِّنٌ بما وصفنا أن بارىء الأشياء ومحدِثها كان قبل كل شيء، أي وقبل الزمان والمكان وغيرهما من المخلوقات، وأن الليل والنهار والزمان والساعات محدثات، وأن محدِثها الذي يُدبرها ويُصرّفها قبلها ومن ضرورة العقل أن يكون خالق الزمان والمكان والجهة لا يجري عليه زمان، ولا ينحل في الأماكن بعد خلقه الزمان والمكان والجهة، لأن التغير من صفات المخلوقات فتنبه إذ من المحال أن يكون شيء يُحدث شيئًا إلا ومحدثه قبله، وأن في قوله تعالى ذِكره: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الغاشية] لأبلغ الحجج وأدلّ الدلائل لمن فكر بعقل واعتبر بفهم على قِدَم بارئها، وحدوث كل ما جانسها، وأن لها خالقًا لا يشبهها». **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، (ج ١ / ص ٢٥).

ثم قال الإمام الطبري: «فتبيّن إذًا أن القديم بارىء الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كل شيء، وهو الكائن بعد كلّ شيء، والأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، وأنه كان ولا وقت ولا زمان ولا ليل ولا نهار، ولا ظلمة ولا نور ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا نجوم، وأن كل شيء سواه محدَث مدبّر مصنوع، انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا مُعين ولا ظهير، سبحانه من قادر قاهر». **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، (ج ١/ ص ٢٦).

وقال أيضًا عند تفسير قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [سورة الحديد] «لا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۝١٦﴾ [سورة ق]». **جامع البيان**، (مجلد ١٣، جزء ٢٧ ص ٢١٥).

أي أن القُرب المسافي منفيٌّ عن الله، فالذي في رأس الجبل والذي في أسفل الوادي، هما بالنسبة إلى الله تعالى من حيث المسافة على حدٍّ سواء لأن الله تعالى منزه عن القرب الحسّي أي القرب بالمسافة، أما القرب المعنوي فلا ينفيه هذا الإمام ولا غيره من علماء المسلمين.

فهذا دليل ءاخر أن السلف كانوا ينزهون الله عن الجهة.

(١) قال الصحابي الجليل والخليفة الراشد سيدنا عليٌّ رضي الله عنه المتوفى ٤٠ هجري، ما نصه: «كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان» أي بلا مكان. **الفرق بين الفِرَق**، أبي منصور البغدادي، (ص ٣٣٣).

وقال أيضًا: «إن الله تعالى خلق العرش إظهارًا لقدرته لا مكانًا لذاته». **الفرق بين الفِرَق**، أبي منصور البغدادي، (ص ٣٣٣).

وقال أيضًا: «من زعم أن إلهَنا محدود فقد جهل الخالق المعبود» والمحدود هو ما كان له حجم صغيرًا أو كبيرًا. **حلية الأولياء**، الأصبهاني، ترجمة علي بن أبي طالب (ج ١ / ص ٧٣).

وقال التابعي الجليل الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم المتوفى ٩٤ هجري، ما نصه: «أنت الله الذي لا يَحويك مكان» وقال أيضًا: «أنت الله الذي لا تُحَدُّ فتكونَ محدودًا». **إتحاف السادة المتقين**، مرتضى الزَّبيدي، (ج ٤ / ص ٣٨٠).

[عقيدة مشايخ الطرق رضي الله عنهم]

هَذَا مَذهَب أهل السّنة وعقيدة مَشَايِخ الطَّرِيق رَضِي الله عَنهُم[١].

قَالَ الجُنَيد[٢] رَضِي الله عَنهُ «مَتى يتَّصل من لَا شَبيه لَهُ وَلَا نَظِير لَهُ بِمن لَهُ شَبيه وَنَظِير [هيهات][٣]»[٤].

---

(١) هذا ما يقتضيه العقل السليم فالمكان والزمان مخلوقان لله تعالى فلا يحتاج إلى المكان ولا يجري عليه الزمان، النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه، والعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع إذ أن الشرع لا يأتي إلا بمجوّزات العقل كما قال الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي «الشرع إنما يَرِدُ بمجوّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا». **الفقيه والمتفقه**، للخطيب البغدادي، (ص ٩٤).

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز أبو القاسم صوفي من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه. وقال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ولكونه مصونًا من العقائد الذميمة محميّ الأساس من شُبه الغلاة سالمًا من كل ما يوجب اعتراض الشرع. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (ج ١/ص ٥١٨-٥١٩).

(٣) أي بَعُدَ أن يكون هناك مشابهة بين الخالق والمخلوق هذا محال.

(٤) قال الجنيد: متى يتصل من لا شبيه لَهُ ولا نظير لَهُ بمن لَهُ شبيه ونظير هيهات هَذَا ظن عجيب. **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري (ص ٢٨).

وكما قيل ليحيي بن معَاذ الرَّازِيّ[1] أخبرنَا عَن الله عز وَجل، قَالَ: إِلَه وَاحِد، فَقيل لَهُ: كَيفَ هُوَ؟ فَقَالَ: مَالك قَادر[2]، فَقيل أَين هُوَ؟ فَقَالَ: بالمرصاد[3] (1)، فَقَالَ

---

(١) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازيّ أبو زكريا: واعظ زاهد لم يكن له نظير في وقته. من أهل الري. أقام ببلخ ومات في نيسابور. **طبقات الصوفية**، النيسابوري (ص ٩٨-١٠٣).

(٢) لا يقال عن الله كيف، أراد أن ينبه السائل على خطأ سؤاله لأن الله ليس له كيف ولا يسأل عنه بكيف، فقد قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: «إن الذي كيّف الكيف لا كيف له وإن الذي أيّن الأين لا أين له». ذكره أبو إسحاق الإسفراييني في كتابه التبصير في الدين، وقال أيضًا: «بل جلّ أن يُكَيَّف المُكَيِّفُ للأشياء»، وقال: «بل هو بلا كيفية»، وقال: «سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات». وقال الإمام أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) ما نصه: «فإن قال قائل وكيف هو قيل له إن أردت الكيفية التركيب والصورة والجنسية فلا صورة له ولا جنس فنخبرك عنه». وذلك في كتابه التمهيد. وقال ابن الحاج المالكي (ت ٧٣٧هـ) ما نصه: «جلّ جلاله عن الصورة والكيفية». وذلك في كتابه «المدخل». وقال الإمام أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ما نصه: «إن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية». وذلك فيما رواه الإمام أبو بكر البيهقي رضي الله عنه في «الأسماء والصفات».

(٣) ومراده تنبيه السائل وزجره عن هذا السؤال بقوله: «بالمرصاد» لأن الله تعالى لا يسأل أين هو لأنه موجود أزلًا وأبدًا بلا مكان فقال له بالمرصاد ليعلم السائل أن الله محيط وعالم بكل شيء ولا تحويه الجهات، قال العلامة البَيَاضي الحنفي في إشارات المَرَام ممزوجًا بالمتن ما نصه: «الخامس ما أشار إليه «وقال في الفقه الأبسط كان الله تعالى ولا مكان كان قبل أن يخلُق الخلقَ كان ولم يكن أينٌ» أي مكان «ولا خَلقٌ ولا شيءٌ وَهُوَ خَالِقُ كُلّ شيء» مُوجِدٌ له بعد العدم فلا يكون شيءٌ من المكان والجهة قديمًا وفيه إشارات:

السَّائِل: لم أَسأَلك عَن هَذَا، فَقَالَ: مَا كَانَ غير هَذَا كَانَ صفة المَخلُوق[٢]، فَأَما صفته فَمَا أخبرت عَنهُ[٣].

الأولى: الاستدلال بأنه تعالى لو كان في مكان وجهة لزم قِدمَهُما وأن يكون تعالى جسمًا لأن المكان هو الفراغ الذي يشغَلُه الجسم، والجهة اسمٌ لمنتَهى مأخَذِ الإشارةِ ومقصِدِ المتحرك فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل ذلك مستحيل كما مر بيانه وإليه أشار بقوله: «كان ولم يكن أينٌ ولا خَلْقٌ ولا شيءٌ وهو خالق كل شيء» وبطل ما ظنه ابن تيمية منهم من قِدَمِ العرش كما في شرح العَضُدِيَّة.

الثانية: الجواب بأن لا يكون البارئ تعالى داخل العالم لامتناع أن يكون الخالق داخلًا في الأشياء المخلوقة ولا خارجًا عنه بأن يكون في جهة منه لوجوده تعالى قبل خلق المخلوقات وتحقق الأمكنة والجهات، وإليه أشار بقوله «هو خالق كل شيء» وهو خروج عن الموهوم دون المعقول.

الثالثة: الجواب بأن كونَ القائم بنفسه هو المتحيز بالذات غير مسلَّم بل هو المستغني عن محل يقوم به كما في شرح المواقف وإليه لوح بقوله كان الله ولا مكان».

(١) وذلك أخذًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾[سورة الفجر]، قال المفسرون في معناها: قال النسفي: «وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لإرصاده العباد وأنهم لا يفوتونه وأنه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر». وقال السيوطي في الجلالين: «يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها».

(٢) أي لا يليق بالله أن يسأل عنه بكيف وأين، الأينية والكيفية تطلق للمخلوق أما الله سبحانه وتعالى فلا كيفية له ولا أينية تعالى عن الجهات والمكان والحيز سبحانه وتعالى.

(٣) **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري، (ص ٢٨).

وكما سَأَلَ ابن شاهين[1] الجُنَيد رَضِي الله عَنهُمَا عَن معنى «مَعَ» فَقَالَ «مَعَ» على مَعنيين، مَعَ الأَنبِيَاء بالنصرة والكلاءة قَالَ الله تَعَالَى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [سورة طه] وَمَعَ العَالم بِالعلمِ والإحاطة قَالَ الله تَعَالَى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [سورة المجادلة]. فَقَالَ ابن شاهين: مثلك يصلح دَالًا للأمة على الله[2][3].

وَسُئِلَ ذُو النُّون المصرِيّ[4] رَضِي الله عَنهُ عَن قَوله تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه] فَقَالَ: أثبت ذَاته وَنفى مَكَانَهُ فَهُوَ مَوجُود بِذَاتِهِ والأشياء بِحِكمَتِهِ كَمَا شَاءَ[5][6].

---

(١) عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين أبو حفص واعظ علامة كان من حفاظ الحديث. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (ج ٥ / ص ٤٨٠).

(٢) أي مثلك يا جنيد تصلح إمامًا للناس وقدوة لأنك اقتديت بسيد الخلق عقيدة وسيرة صلى الله تعالى عليه ورضي الله عن الجنيد.

(٣) **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري، (ص ٢٨).

(٤) ثوبان بن إبراهيم الإخميميّ المصري أبو الفَيَّاض أو أبو الفيض: أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل مصر. نوبيّ الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية. **طبقات الصوفية**، النيسابوري، (ص ٢٧).

(٥) **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري، (ص ٢٨-٢٩).

(٦) وقال الصوفي الزاهد ذو النون المصري المتوفى ٢٤٥ هجري، ما نصه:

«ربي تعالى فلا شيء يحيط به	وهو المحيط بنا في كل مرتصد
لا الأين والحيث والتكييف يدركه	ولا يحد بمقدار ولا أمد

وَسُئِلَ عَنهُ الشبلي[1] رَضِي الله عَنهُ فَقَالَ: الرَّحمَن لم يزل، وَالعرش مُحدث، وَالعرش بالرحمن استوَى[2].

وَسُئِلَ عَنهَا جَعفَر بن نضير[3] فَقَالَ: استوَى علمه بِكُل شَىء، وَلَيسَ شَىء أقرب إِلَيهِ من شَىء[4].

وكيف يدركه حد ولم تره عين — وليس له في المثل من أحد
أم كيف يبلغه وهم بلا شبه — وقد تعالى عن الأشباه والولد»

حلية الأولياء، الأصبهاني، ترجمة ذي النون المصري، (ج ٩/ص ٣٨٨).

(١) دلف بن جحدر الشبلي: ناسك، كان في مبدإ أمره واليًا في دنباوند من نواحي رستاق الريّ، وولي الحجابة للموفق العباسيّ، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة فاشتهر بالصلاح. **وفيات الأعيان**، لابن خلكان (ج ٢ / ص ٢٧٣).

(٢) **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري، (ص ٢٩).

(٣) جعفر بن محمد بن نصير أَبُو محمد الخلدي: شيخ الصوفية في أيامه ببغداد وأعلمهم بالحديث. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (ج ١ / ص ٥٤٧).

(٤) **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري، (ص ٢٩).

وَقَالَ جَعفَر الصَّادِق[1] رَضِي الله عَنهُ: «من زعم أَن الله فِي شَىء أَو من شَىء أَو على شَىء فقد أشرك، إِذ لَو كَانَ فِي شَىء لَكَانَ محصورًا، وَلَو كَانَ على شَىء لَكَانَ محمُولًا، وَلَو كَانَ من شَىء لَكَانَ مُحدثًا[2]».

وَقَالَ مُحَمَّد بن مَحبُوب خَادِم أبي عُثمَان المغربي: قَالَ لي أَبُو عُثمَان المغربي[3] يَومًا: يَا مُحَمَّد لَو قَالَ لَك قَائِل أَين معبودك أيش تَقول؟ قلت: أَقُول حَيثُ لم يزل، قَالَ: فَإِن قَالَ فَأَينَ كَانَ فِي الأَزَل، أيش تَقول؟ قلت: حَيثُ هُوَ الآن. يَعنِي أَنه كَانَ وَلَا مَكَان فَهُوَ الآن كَمَا كَانَ. قَالَ: فارتضى ذَلِك مني وَنزع قَمِيصه وأعطانيه[4].

---

(١) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي أبو عبد الله الملقب بالصادق كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس، وكان جريئًا عليهم، صدَّاعًا بالحقّ. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (ج ١/ص ٣٩١).

(٢) **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري، (ص ٢٩).

(٣) الإِمَامُ القُدوَةُ شَيخُ الصُّوفِيَّةِ أَبُو عُثمَانَ سَعِيدُ بنُ سَلَّامٍ المغرِبِيُّ القَيرَوَانِيُّ نزيلُ نيسَابُور. سَافرَ وَحَجَّ وَجَاورَ مُدَّةً وَلَقِيَ مشَايخَ مِصرَ وَالشَّام. **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، (ج ٤ / ص ٣٩٤).

(٤) **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري، (ص ٢٤-٢٥).

وَقَالَ أَبُو عُثْمَان المغربي: كنت أعتقد شَيئًا من حَديث الجِهَة فَلَمَّا قدمت بَغدَاد زَالَ ذَلِك عَن قلبِي فَكتبت إِلَى أَصحَابِي بِمَكَّة أَنِّي أسلمت جَدِيدًا(١)، قَالَ فَرجع كل من كَانَ تَابعه عَن ذَلِك.

فَهَذِهِ كَلِمَات أَعلَام أهل التَّوحِيد وأئمة جُمهُور الأمة سوى هَذِه الشرذمة الزائغة وكتبهم طافحة بذلك وردهم على هَذِه المنازعة لَا يكَاد يحصر، وَلَيسَ غرضنا بذلك تقليدهم لمنع ذَلِك فِي أُصول الديانَات بل إِنَّمَا ذكرت ذَلِك ليعلم أَن مَذهَب أهل السّنة مَا قدمنَاهُ(٢).

---

(١) **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري، (ص ٢٥) والعبارة «أني أسلمت الآن إسلامًا جديدًا».

(٢) قال الإمام المجتهد أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه المتوفى ١٥٠هجري، أحد مشاهير علماء السلف إمام المذهب الحنفي ما نصه: «والله تعالى يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كميّة، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة». **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، (ص ١٣٦ – ١٣٧).

وقال أيضًا في كتابه الوصية: «ولقاء الله تعالى لأهل الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهةٍ حقٌّ». **الوصية**، أبي حنيفة (ص ٤)، ونقله ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص ١٣٨).

وقال أيضًا: «قلتُ أرأيتَ لو قيل أين الله تعالى؟ فقال - أي أبو حنيفة - يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خَلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء». الفقه الأبسط ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثري (ص ٢٠). ونقل ذلك أيضًا المحدث الفقيه الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي في كتابه الدليل القويم (ص ٥٤).

وقال أيضًا: «ونقر بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لَمَا قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. كتاب الوصية لأبي حنيفة ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثري (ص ٢)، وذكره الشيخ الهرري في كتابه الدليل (ص ٥٤)، وملاّ علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص ٧٠) عند شرح قول الإمام «ولكن يده صفته بلا كيف».

وهذا رد صريح على المشبهة المجسمة أدعياء السلفية الذين يزعمون أن السلف لم يصرحوا بنفي الجهة عن الله تعالى. فإن أبا حنيفة رأس من رؤوس السلف حيث إنه تلقّى العلم عن التابعين، والتابعون تلقوا العلم عن الصحابة رضي الله عنهم، فاحفظ هذا أخي المسلم فإنه مهم في رد افتراءات المشبهة على علماء السلف.

وقال الإمام الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفي المتوفى ٣٢١ هجري، في رسالته العقيدة الطحاوية ما نصه: «وتعالى ـ أي الله ـ عن الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ، لا تحويه الجهات السِتُّ كسائر المبتدعات». (ص١٥). والإمام الطحاوي هو من علماء السلف، قال في أول رسالته: «هذا ذكرُ بيانِ عقيدةِ أهل السُنةِ والجماعة» (ص٧)، أي أن هذه هي عقيدة السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين في تنزيه الله عن المكان والجهة والجسمية، وكلام الطحاوي في غاية الأهمية فهو من علماء الحديث ومن علماء الفقه وهو حنفيٌّ أيضًا. وهذه العقيدة تدرس في أنحاء الأرض في المعاهد والجامعات الإسلامية.

[قول أهل السنة في ءايات الصفات]

ثمَّ إن قولنَا إن آيَات الصِّفَات وأخبارها، على من يسمعها وظائف التَّقدِيس[1]، وَالإِيمَان بِمَا جَاءَ عَن الله تَعَالَى وَعَن رَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم، على مُرَاد الله تَعَالَى وَمُرَاد رَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم، والتصديق وَالِاعتِرَاف بِالعَجزِ وَالسُّكُوت والإمساك عَن التَّصَرُّف فِي الأَلفَاظ الوَارِدَة وكف البَاطِن عَن التفكر فِي ذَلِك، واعتقاد أَن مَا خَفِي عَلَيهِ مِنهَا لم يخف[2] عَن الله وَلَا عَن رَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم، وَسَيَأتِي شرح هَذِه الوظائف إِن شَاءَ الله تَعَالَى.

فليت شعري فِي أي شَيْء نخالف السّلف، هَل هُوَ فِي قَولنَا كَانَ وَلَا مَكَان، أَو فِي قَولنَا إِنَّه تَعَالَى كوّن المَكَان، أَو فِي قَولنَا وَهُوَ الآن على مَا عَلَيهِ كَانَ، أَو فِي قَولنَا تقدس الحق عَن الجسمية ومشابهتها، أَو فِي قَولنَا يجب تَصدِيق مَا قَالَه الله تَعَالَى وَرَسُوله بِالمَعنَى الَّذِي أَرَادَ، أَو فِي قَولنَا يجب الِاعتِرَاف بِالعَجزِ، أَو فِي قَولنَا نسكت عَن السُّؤَال والخوض فِيمَا لَا طَاقَة (لنا)[3] بِهِ، أَو فِي قَولنَا يجب إمسَاك اللِّسَان عَن تَغيِير الظَّوَاهِر بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقصَان.

---

(١) أي يلتزم بتقديس الله وتعظيمه وتنزيهه عن الجسمية والأعضاء والجوارح والحركات والسكنات والاتصال والانفصال والكيفية والكمية والقعود والجلوس وعن كل ما كان من صفات المخلوقين. أي الإيمان بها، كما سيبين العلّامة ابن جهبل في كتابه.

(٢) المعروف أن هذا الفعل «خفي» يتعدى بـ«على» فيقال لم يخف «عليه».

(٣) ساقطة من بعض النسخ.

وليت شعري فِي مَاذَا وافقوا هم السّلف هَل فِي دُعَائِهِم إِلَى الخَوض فِي هَذَا والحث على البَحث مَعَ الأَحدَاث (المغترين)[1] والعوام الطغام الَّذين يعجزون عَن غسل محل النجو[2] وَإِقَامَة دعائم الصَّلَاة، أَو وافقوا السّلف فِي تَنزِيه البَارِي سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَن الجِهَة. وَهل سمعُوا فِي كتاب الله أَو أثارة من علم[3] عَن السّلف أَنهم وصفوا الله تَعَالَى بِجِهَة العُلُوّ وَأَن كل مَا لا يصفه بِهِ[4] فَهُوَ ضال مضل من فراخ[5] الفلاسفة والهنود واليونان ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ۝٥٠﴾ [سورة النساء][6].

---

(١) في بعض النسخ «الغِرْيَنُ»، والغِرْيَنُ: الحُمْقُ. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (غرن)، (ج ٣٥ / ص ٤٧٤).

(٢) النَّجوُ مَا يَخرُجُ مِنَ البَطنِ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة (ن ج ا)، (ص ٣٠٥).

(٣) أي ما يؤثر من العلم. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف الراء / فصل الألف)، (ج ٤ / ص ٧).

(٤) أي أن كل من لا يصفه.

(٥) جمع فرخ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة (ف ر خ)، (ص ٢٣٦).

(٦) هذا الفصل تبكيت للمشبهة وابن تيمية وإظهار ابن جهبل أن السلف برءاء منهم ومن عقائدهم وتصريح بجهل المشبهة وسوء حالهم وأن ما جاءوا به هو دين جديد ما أنزل الله به من سلطان.

[بيان فساد عقيدة ابن تيمية]

وَنحن الآن نبتدئ بإفساد مَا ذكره، ثمَّ بعد ذَلِك نُقِيم الحجَّة على نفي الجِهَة والتشبيه، وعَلى جَمِيع مَا يَدعِيهِ وَبِاللَّهِ المُستَعَان.

فَأَقُول: ادّعى[1] أَولًا أَنه يَقُول بِمَا قَالَ الله وَرَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَالسَّابِقُونَ الأَولونَ من المُهَاجِرين وَالأَنصار رَضِي الله عَنهُم[2]، ثمَّ إِنَّه قَالَ مَا لم يقلهُ الله وَلَا رَسُوله وَلَا السَّابِقُونَ الأَولونَ من المُهَاجِرين وَالأَنصار وَلَا شَيئًا مِنهُ. فَأما الكتاب وَالسّنة فسنبين مُخَالفته لَهما، وَأما السَّابِقُونَ الأَولونَ من المُهَاجِرين وَالأَنصَار، فَذكره لَهُم فِي هَذَا الموضع استِعَارَة للتهويل، وَإِلَّا فَهُوَ لم يُورد من أَقوَالهم كلمة وَاحِدَة لَا نفيًا وَلَا إِثبَاتًا. وَإِذا تصفحت كَلَامه عرفت ذَلِك اللَّهُمَّ إِلَّا أَن يكون مُرَاده بالسابقين الأَوَّلين من المُهَاجِرين وَالأَنصار مَشَايِخ عقيدته دون الصَّحَابَة[3]، وَأخذ بعد هَذِه الدَّعوَى فِي مدحه صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَفِي مدح دينه وَأَن أَصحَابه أعلم النَّاس بذلك، وَالأَمر كَمَا قَالَه، وَفَوق مَا قَالَه[4]، وَكَيف المدائح تستوفي مناقبه، وَلَكِن كَلَامه كَمَا قَالَ أَمِير المُؤمنِينَ عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ: «كلمة حق أُرِيد بهَا بَاطِل»[5].

---

(1) ابن تيمية.

(2) **الحموية**، (ص ١٧٧).

(3) كالكرامية والجهمية وغيرهم من أولي التشبيه.

(4) أي أعلى مما قاله ابن تيمية وهم أعلى منه فلا يتستر بالمدح وهو جاهل جويهل ضال مضل عدو لله والرسول وعدو للدين.

(5) **صحيح ابن حبان**، (ج ١٨/ ص ٣٨٧).

ثمَّ أَخذ[1] بعد ذَلِك فِي ذمّ الأَئمَّة وأعلام الأمة حَيثُ اعتَرَفُوا بِالعَجزِ عَن إدرَاكه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ أَن سيد الرُّسُل صلى الله عَلَيهِ وَسلم قَالَ: «**لَا أحصي ثَنَاء عَلَيك أَنت كَمَا أثنيت على نَفسك**»[2]. وَقَالَ الصّديق[3] رَضِي الله عَنهُ: العَجز عَن دَرك الإِدرَاك إِدرَاك[4].

وتجاسر المُدَّعِي على دَعوَى المعرفَة وَأَن ابن الحيض[5] قد عرف القَدِيم على مَا هُوَ عَلَيهِ، وَلَا غرور وَلَا جهل أعظم مِمَّن يَدعِي ذَلِك، فنعوذ بِالله من الخذلان.

ثمَّ أَخذ بعد ذَلِك فِي نِسبَة مَذهَب جُمهُور أمة مُحَمَّد صلى الله عَلَيهِ وَسلم إِلَى أَنه مَذهَب فراخ الفلاسفة وَأَتبَاع اليونان والهنود، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾ [سورة الزخرف].

ثمَّ قَالَ[6]: «كتاب الله تَعَالَى من أَوله إِلَى آخِره، وَسنة رَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم من أَولهَا إِلَى آخرهَا، ثمَّ عَامَّة كَلَام الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ، ثمَّ كَلَام سَائِر الأَئمَّة،

---

(١) أي ابن تيمية.

(٢) **صحيح ابن حبان**، (ج ٥/ص ٢٥٩) و**السنن الصغرى**، البيهقي (ج ١ / ص ٢٥٨).

(٣) عبد الله بن أبي قُحَافَة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلم من الرجال وأحد أعاظم العرب. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (ج ١/ص ٨٩).

(٤) **شرح الشفا**، ملا علي القاري، (ج ١/ص ٥٢٤).

(٥) مراده بهذه الكلمة الاستخفاف والاستهزاء بابن تيمية الذي وصف الأزلي الأبدي القديم أي الله بصفات الحدوث والمخلوقين فكان متجاسرًا بذلك على تكذيب القرءان وعقيدة الأنبياء وخرج بذلك عن البراهين العقلية الواضحة.

(٦) الكلام لابن تيمية.

مَمْلُوء بِمَا هُوَ إِمَّا نَص وَإِمَّا ظَاهر فِي الله تَعَالَى أَنه فَوق كل شَيْء وعَلى كل شَيْء وَأَنه فَوق العَرْش وَأَنه فَوق السَّمَاء[1].

وَقَالَ فِي أثناء كَلَامه وأواخر مَا زَعمه: «إِنَّه فَوق العَرْش حَقِيقَة»[2] وَقَالَهُ فِي مَوضِع آخر عَن السّلف».

---

(١) الحموية، (ص ٢٠١).

(٢) قول المشبهة: «إنَّ الله بذاته في جهة فوق» هذا تعطيل أي إنكار لوجود الخالق لأنهم اعتقدوا في جسم من الأجسام أنه فوق العرش وأنه هو الله وبذلك فقد أثبتوا الألوهية لأمر متوهم يزعمون أنَّه فوق العرش ولا وجود له وبذلك فقد عبدوا غير الله فصاروا عبدة الأجسام والصور، وأما الله سبحانه فليس جسمًا وليس متحيزًا في السماء أو العرش ولا في أي جهة من الجهات لأنه هو ربها وخالقها وهو موجود قبلها ولا يحتاج إليها، لأن الشيء الذي له مكان هو عاجز مخلوق محتاج لهذا المكان والمحتاج لا يكون إلهًا ويكون له مخصص خصصه بأن يكون في هذا المكان بدل غيره والشيء الذي له مكان:

١. إما أن يكون أكبر من المكان فيكون مبعضًا بعضه في المكان وبعضه خارج هذا المكان، والتبعض والتجزؤ صفة الجسم ولذلك قال سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما «نوحده ولا نبعضه»، وقال تعالى في ذم المشركين الكافرين المجسمة: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الزخرف].

٢. وإما أن يكون أصغر من المكان فيكون محصورًا وهذا فيه إثبات المساحة والمسافة وصغر الحجم وأنَّ المكان يحيط به ويحاصره وهذه صفة الأجسام والمخلوقين العاجزين.

٣. وإما أن يكون بقدر المكان وهذا معناه أنَّه مماثل للمكان والمكان مثله والإله لا مثل له قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة النحل] ومن كان له مثل أو أمثال فهو مخلوق لا شك، والمخلوق لا يستطيع أن يخلق نفسه ولا غيره.

وبما أن العالم موجود ووجود العالم معروف بالحس والمشاهدة والله موجود ليس جسمًا

ولا مكان له لأنه لو كان في مكان أو كان جسمًا لم يكن مستطيعًا ولا قادرًا على إيجاد العالم ولكان العالم معدومًا ولم يكن مشاهدًا لأن الجسم لا يخلق شيئًا، وبما أن العالم موجود ومحسوس ومشاهد ثبت بالدليل العقلي والسمعي أن موجده لا يشبهه بوجه من الوجوه فثبت بهذا أن الله منزه عن الجسمية وعن صفاتها وعن التحيز والحلول في الجهات والأماكن.

ثم إن الذي يقول الله جسم أو حجم أو كمية أو هو في جهة الفوق أو بذاته على العرش أو يسكن السماء يلزمه على قوله أن يكون الجسم والحجم والمخلوق هو الخالق للكون وللعالم وهذا كفر صراح بواح، ويلزمه على قوله أن يكون الله حادثًا مخلوقًا عاجزًا ضعيفًا، له بداية ليكون في المكان، والمكان مخلوق، وتجوز عليه النهاية، وإنا لنتعجب!! كيف يكون الأزلي الأبدي على زعم وهابية زماننا والمجسمة والمشبهة السابقين حال في شيء حادث مخلوق له بداية وهو العرش والسماء والمكان فقولهم هذا ساقط باطل يدل على سخافة عقولهم وعلى أنهم لا يميزون بين الخالق والمخلوق وبذلك يكونون قد اعتقدوا الألوهية والربوبية في المخلوقين.

والاحتمال الآخر على مقتضى قولهم أن يكون المكان أزليًا مع الله ليكون الله فيه وهذا شرك وهراء لأنهم بذلك يثبتون شريكًا لله في الأزلية وهذا تكذيب لقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ۝٣﴾[سورة الحديد].

ثم قول الوهابية وقبلهم ابن تيمية وابن بطة والذهبي وابن عبد البر وابن قيم الجوزية وأضرابهم من كل المجسمة والمشبهة السابقين واللاحقين الذي يقولون: «إنَّ الله كان متسفلًا ثم لما خلق العرش استقر عليه» هو وصف لله بالحدوث والاحتياجية والتغير والاستقرار والقعود والجلوس والتحول من حال إلى حال وفيه إثبات المكان له والحركة والسكون والزيادة والنقصان، وكل هذه الصفات الحادثة راجعة في الأصل إلى وصفهم لله تعالى بصفتان من صفات خلقه وهما العلو المكاني والحسي والاستقرار، وهما مستحيلان على رب العالمين، لأنهما أي علو المسافة والاستقرار:

---

١. يستدعيان أن الله تعالى كان متسفلًا ثم ارتفع.

٢. ويستدعيان أن الله مخلوق له بداية لم يكن موجودًا ثم غيره أوجده.

٣. ويستدعيان الاستقرار وهذا أمر متعلق باستقرار واتصال جسم أعلى بجسم أسفل وهو إثبات المكان لله.

٤. ويستدعيان احتياج الله لغيره وهو المكان ليكون مستقرًا فيه أو عليه.

٥. ويستدعيان أزلية المكان وغيره كالتغير والصفات المخلوقة الحادثة والحق الذي لا مرية فيه ـ أي شك ـ أن الله وحده هو الأزلي الأبدي لا شريك له في ذلك.

٦. ويستدعيان حلول الله في الكائنات في العرش والمكان، وهو أمر محال بإجماع أهل السنة والجماعة بل هو كفر بإجماع الأنبياء والأولياء وكل المسلمين كما نقل هذا الإجماع الحافظ السيوطي.

٧. ويستدعيان أن الله يوصف بالحركة والانتقال وهو أمر محال على الله.

٨. ويستدعيان نسبة العجز إلى الله حيث إن التحرك والانتقال والمباشرة يدل على الاحتياج وعلى الحدوث ويقتضي عدم التمكن من الفعل في شأن نفسه أو في شأن غيره إلا بالحركة والمباشرة، وعدم وجود هذا التمكن إلا بالحركة فيصير بذلك عاجزًا عن تحصيل ما يريد إلا بالحركة، والحركة صفة مخلوقة لأنها تقوم بالمخلوق وهذا مستحيل على الله تعالى.

٩. ويستدعيان التغير على الله من حال إلى حال والله أزلي أبدي يغير في المخلوقات بمشيئته الأزلية التي لا تتغير فهو سبحانه يغير ولا يتغير.

١٠. ويستدعيان أزلية الأحوال وأزلية التغير وأزلية المكان وأزلية المخلوق وأزلية الأجسام وهذا تكذيب لله وللأنبياء وللقرءان والإسلام.

١١. ويستدعيان حدوث صفاتٍ لله تعالى لم يكن متصفًا بها في الأزل ولم يأت بها الشرع ولا ورد بها التوقيف.

١٢. ويستدعيان حدوث ذات الله وصفاته وهذا من أشنع وأبشع الكفر.

فليت شعري أَين هَذَا فِي كتاب الله تَعَالَى على هَذِه الصُّورَة الَّتِي نقلهَا عَن كتاب ربه وَسنة نبيه صلى الله عَلَيهِ وَسلم، وَهل فِي كتاب الله تَعَالَى كلمة مِمَّا قَالَه حَتَّى يَقُول إِنَّه فِيه نَص، وَالنَّص هُوَ الَّذِي لَا يحْتَمل التَّأْوِيل أَلْبَتَّة وَهَذَا مُرَاده، فَإِنَّهُ جعله غير الظَّاهِر لعطفه لَهُ عَلَيهِ[1]، وَأي آيَة فِي كتاب الله تَعَالَى نَص بِهَذَا

---

١٣. ويستدعيان أنَّ الله تعالى مجعول لجاعل مخلوق لخالق وهذا يؤدي إلى الدور والتسلسل.

١٤. ويستدعيان أنَّ المخلوق خلق الله لأنهَّ لو كان حادثًا مخلوقًا لكان موجده ومحدثه مخلوقًا أيضًا لأنهم وصفوا الخالق بالجسمية والاستقرار والمكان، وإذا كانت هذه صفة الخالق فإن كان الخالق بزعمهم هو الله أو غيره وقد وصفوه بصفات المخلوقين فقد قالوا بأن المخلوق خلق الخالق وتنزه الله عن قولهم.

١٥. ويستدعيان أنَّ الله تعالى محمول من قبل خلقه لأنهم بوصفهم له بالاستقرار والجلوس فيكون محمولًا من قبل العرش أو الكرسي أو المكان الذي يستقر فيه أو عليه وهذه صفة المخلوق فالمخلوق يحمل مخلوقًا آخر كما في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[سورة الحاقة]، فالملائكة مخلوقون يحملون العرش المخلوق ولو كان الله تعالى مستقرًا على العرش على قول الوهابية والمجسمة لكانت الملائكة والعرش يحملون الله وهذا دليل الاحتياج والعجز والضعف ويستدعيان أن الله حادث له بداية وتجوز عليه النهاية والفناء والموت وتقدس الله وتنزه عن كل صفات الحدوث والتغير والتبدل والإحساس والشعور واللذة والألم والانبساط والانزعاج والتطور وتنزه عن القعود والجلوس والشكل والحجم والكمية والصورة والأعضاء والجوارح والأدوات والحلول في مكان واحد أو في كل الأماكن.

(١) لقد كفّر الإمام المجتهد أبو حنيفة المتوفى ١٥٠ هجري، رضي الله عنه، من ينسب المكان لله تعالى، فقال في كتابه «الفقه الأبسط» ما نصه: «من قال لا أعرف ربي

الاعتبار[1]. فأول مَا استدلَّ بِهِ قوله تعَالَى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[2] [سورة فاطر] فليت شعري أَي نص فِي الآيَة أَو ظَاهر على أَن الله تعَالَى فِي السَّمَاء أَو على العَرش. ثمَّ نِهَايَة مَا يتمَسَّك بِهِ أَنه يدل على علو يفهم من الصعُود. وهيهات زل حمَار العلم فِي الطين فَإِن الصعُود فِي الكَلَام كَيفَ يكون حَقِيقَة مَعَ أَن المَفهُوم فِي الحَقَائِق

في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض». **الفقه الأبسط**، ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثري، (ص ١٢).
ووافقه على ذلك ابن عبد السلام المتوفى ٦٦٠ هجري، في كتاب «حلّ الرموز»، فقال ما نصه: «لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا، ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مُشَبِّه». وارتضاه الشيخ ملّا علي القاري الحنفي وقال ما نصه: «ولا شك أن ابن عبد السلام من أجلّ العلماء وأوثقهم، فيجب الاعتماد على نقله». نقله ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر بعد أن انتهى من شرح رسالة الفقه الآكبر (ص ١٩٨).
وقال الإمام الحافظ الفقيه الحنفي أبو جعفر الطحاوي السَّلَفي المتوفى ٣٢١ هجري، ما نصه: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر». **العقيدة الطحاوية**، (ص ١٣).

(١) معناه لا يوجد في القرءان نص في إثبات الجهة لله تعالى ولا حتى في الحديث ولا في كلام الصحابة والصالحين.

(٢) قال أهل السنة والجماعة: «هذا من المتشابه الّذي يعلم معناه الرّاسخون، فالكلم الطّيّب هو كلا إله إلّا الله والعمل الصّالح يشمل كلّ عمل صالح يتقرّب به إلى الله كنحو الصّلاة والصّدقة وصلة الرّحم، فالمعنى أنّ كلّ ذلك يصعد إلى الله أي يتقبّله، هذا ليس فيه أنّ الله له حيّز يتحيّز فيه ويسكنه، فالسّماء محلّ كرامة الله أي المكان الّذي هو مشرّف عند الله لأنّها مسكن الملائكة، هذا التّفسير موافق للآية المحكمة: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ١١﴾ [سورة الشورى]».

أَن الصعُود من صِفَات الأَجسَام فَلَيسَ المُرَاد إِلَّا القبُول وَمَعَ هَذَا لَا حد وَلَا مَكَان.

وأتبعها[1] بقوله تَعَالَى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[2] [سورة آل عمران].

---

(١) ابن تيمية.

(٢) قال الرازي في الآية رادًا على المشبهة المجسمة قاصمًا ظهورهم: «لما تبين له من سوء حالهم وخطرهم على الأمة الإسلامية، ونقول: قد وفق الله سبحانه وتعالى الرازي أن عرف الحق ونصر أهله فأيده الله بالبراهيين العقلية والسمعية حفظًا لهذه الأمة الإسلامية من زيغ الباطل وكَدرات وشبه المشبهة المجسمة كابن تيمية وابن عبد البر والذهبي سلفهم وخلفهم فقال رحمه الله: «والمشبهة يتمسكون بهذه الآية في إثبات المكان لله تعالى وأنه في السماء، وقد دللنا في المواضع الكثيرة من هذا الكتاب بالدلائل القاطعة على أنه يمتنع كونه تعالى في المكان فوجب حمل اللفظ على التأويل، وهو من وجوه:

- **الوجه الأول**: أن المراد إلى محل كرامتي، وجعل ذلك رفعًا إليه للتفخيم والتعظيم ومثله قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴿٩٩﴾﴾[سورة الصافات] وإنَّما ذهب إبراهيم ﷺ من العراق إلى الشام وقد يقول السلطان: ارفعوا هذا الأمر إلى القاضي، وقد يسمى المجاور جار الله ومعنى جار الله أي جار بيته الحرام وهذا يطلق على المجاور للكعبة في مكة وببيت الله أي البيت المشرف عند الله الذي بني لتوحيد الله ولتعظيمه وليس معناه أنَّ الله حال فيه أو يسكنه، والمراد من كل ذلك التفخيم والتعظيم، وقد سبق شرحها في الحاشية فكذا هاهنا.

- **الوجه الثالث**: أنَّ بتقدير القول بأنَّ الله في مكان لم يكن ارتفاع عيسى إلى ذلك سببًا لانتفاعه وفرحه بل إنما ينتفع بذلك لو وجد هناك مطلوبه من الثواب والرَّوح ـ أي الرحمة ـ والراحة والريحان، وإذا كان لا بد من إضمار ما ذكرناه لم يبق في الآية دلالة على إثبات المكان لله تعالى».

وَمَا أَدرِي من أَين استنبط من هَذَا الخَبَر أَن الله تَعَالَى فَوق العَرش من هَذِه الآيَة[1]؟ هَل ذَلِك بِدلَالَة المُطَابقَة؟ أَو التضمن؟ أَو الِالتِزَام[2]؟ أَو هُوَ شَيء أَخذه بطرِيق الكَشف والنفث فِي الروع[3]؟ وَلَعَلَّه اعتقد أَن الرّفع إِنَّمَا يكون فِي العُلُوّ فِي الجِهَة، فَإِن كَانَ كَمَا خطر لَهُ فَذَاك أَيضًا لَا يعقل إِلَّا فِي الجسمية والحَدية[4]،

---

(١) حصل تكرار في قوله «من هذه الآية» بعد قوله «من هذا الخبر».

(٢) الدّلالَةُ كونُ اللَّفظِ متَى أُطلِقَ أَو أُحِسَّ فُهِم مِنهُ مَعناهُ للعِلم بوَضعِه. وَهِي مُنقَسِمة إِلَى المُطابَقة والتَّضمُّن والالتِزام لأنّ اللفظَ الدالَّ بالوَضعِ يَدُلُّ على تمام مَا وُضِع لَهُ بالمُطابَقة وعلَى جُزئِه بالتَّضمُّن إِن كَانَ لَهُ جزءٌ وعلَى مَا يُلازِمه فِي الذِّهن بالالتِزام كالإنسان فَإِنَّهُ يدلُّ على تمامِ الحَيَوان الناطقِ بالمطابَقةِ وعَلى أحدِهما بالتَّضمُّن وعَلى قابِلِ العِلم بالالتِزام كَمَا هُوَ مُفصَّلٌ فِي مَوضعِه. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (د ل ل)، (ج ٢٨ / ص ٤٩٨).

(٣) الروع هو النفس. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف العين المهملة / فصل الراء)، (ج ٨ / ص ١٣٧). وإنما قال له ذلك من باب الرد عليه والإشارة إلى فساده أنه ليس نبيًا ولا وليًا ولا عالمًا ولا له منزلة ولا مرتبة إنما هو ضال مضل وضاع في كتاب الله.

(٤) قال ابن الجوزي ما نصه: «واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر] وبقوله ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [سورة الأنعام] وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن الفوقية الحسية إنما تكون لجسم أو جوهر وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال فلان فوق فلان ثم إنه كما قال تعالى ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ قال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ فمن حملها على العلم حمل خصمُه الاستواء على القهر، وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه وقد ملأهُ والأشبَه أنه مماس للعرش والكرسي موضِعُ قدميه. قلت: المماسة إنما تقع بين جسمين وما أبقى هذا في التجسيم بقية». **الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب**، (ص ٦).

وَإن لم يقل بهما فَلَا حَقِيقَة فِيمَا استدلَّ بِهِ وَإِن قَالَ بهما فَلَا حَاجَة إِلَى المغالطة. وَلَعَلَّه لم يسمع الرّفع فِي المرتبَة، والتقريب فِي المكانة من استِعمَال العَرب وَالعرف، وَلَا فلَان رفع الله شَأْنه[1].

وأتبع ذَلِك قَوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[2] [سورة الملك] وَخص هَذَا المُستَدلّ[3] ﴿مَّن﴾ بِاللَّه تَعَالَى وَلَعَلَّه لم يجوز أَن المُرَاد بِهِ مَلَائِكَة الله تَعَالَى، وَلَعَلَّه يَقُول إِن المَلَائِكَة لَا تفعل ذَلِك، وَلَا أَن جِبرِيل عَلَيهِ السَّلَام خسف بِأَهْل سدوم[4] فَلذَلِك استدلَّ بِهَذِهِ الآيَة. ولعلها هِيَ النَّص الَّذِي أَشَارَ إِلَيهِ وَأتبعهُ

---

(١) يشير ابن جهبل إلى جهل ابن تيمية حيث إنه مع كل علمه وحفظه لم يفهم أن الرفع والعلو تأتي بمعنى المكانة والدرجات العالية، وذلك كقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ ٢٥٣﴾ [سورة البقرة]. في الآية كلمة رفع فهل المراد رفع بعضهم فوق بعض بالمسافة أو بالمكانة والدرجات.

(٢) أي الملائكة. قال الرازي في تفسيره: «اعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأنَّ كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطًا به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئًا حقيرًا بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال، ولأنه تعالى قال: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ١٢﴾ [سورة الأنعام] فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكًا لنفسه وهذا محال، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل».

(٣) أي ابن تيمية.

(٤) مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم. **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، (ج ٣ / ص ٢٠٠).

بقوله تَعَالَى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾(١) [سورة المعارج] والعروج والصعود شَيء وَاحِد، وَلَا دلَالَة فِي الآية على أَن العروج إِلَى سَمَاء وَلَا عرش، وَلَا شَيء من الأَشيَاء الَّتِي ادَّعَاهَا بِوَجه من الوُجُوه، لِأَن حَقِيقَته المستعملة فِي لُغَة العَرَب فِي الِانتِقَال فِي حق الأَجسَام، إِذ لَا تعرف العَرَب إِلَّا ذَلِك، فليت لَو أظهره واستراح

---

(١) قال البيضاوي في تفسيره: «﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم أو مراتب الملائكة أو في السموات فإن الملائكة يعرجون فيها»، وقال الرازي في تفسيره: «المسألة الثانية: احتج القائلون بأن الله في مكان، إما في العرش أو فوقه بهذه الآية من وجهين:

الأول: أن الآية دلت على أن الله تعالى موصوف بأنه ذو المعارج وهو إنَّما يكون كذلك لو كان في جهة فوق.

والثاني: قوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ فبين أن عروج الملائكة وصعودهم إليه، وذلك يقتضي كونه تعالى في جهة فوق.

والجواب: لما دلت الدلائل على امتناع كونه تعالى في المكان والجهة ثبت أنه لا بد من التأويل، فأما وصف الله بأنه ذو المعارج فقد ذكرنا الوجوه فيه، وأما حرف «إلى» في قوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ فليس المراد منه المكان بل المراد انتهاء الأمور إلى مراده كقوله: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ١٢٣﴾ [سورة هود] المراد الانتهاء إلى موضع العزّ والكرامة كقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩﴾ [سورة الصافات] ويكون هذا إشارة إلى أنَّ دار الثواب أعلى الأمكنة وأرفعها».

من كِتمَانه. وأردفه بقوله تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[1] [سورة النحل] وَتلك أَيضًا لَا دلَالَة فِيهَا عَلى سَمَاء وَلَا عرش وَلَا أَنه فِي شَيْء من ذَلِك حَقِيقَة.

ثمَّ الفَوقِيَّة ترد لمعنيين:

أَحدهمَا: نِسبَة جسم إِلَى جسم بِأَن يكون أَحدهمَا أَعلَى وَالآخر أَسفَل بِمَعنى أَن أَسفَل الأَعلَى من جَانب رَأس الأَسفَل وَهَذَا لَا يَقُول بِهِ من لَا يجسم، وَبِتَقدِير أَن يكون هُوَ المُرَاد وَأَنه تَعَالَى لَيسَ بجسم فَلم لَا يجوز أَن يكون ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾

---

(١) قال الإمام فخر الدين الرازي: «المسألة الثانية: قالت المشبهة قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ۝٥٠﴾ هذا يدل على أن الإله تعالى فوقهم بالذات.

واعلم أنّا بالغنا في الجواب عن هذه الشبهة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۝١٨﴾[سورة الأنعام] والذي نزيده هاهنا أن قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ۝٥٠﴾ معناه يخافون ربهم من أن ينزل عليهم العذاب من فوقهم، وإذا كان اللفظ محتملًا لهذا المعنى سقط قولهم، وأيضًا يجب حمل هذه الفوقية على الفوقية بالقدرة والقهر كقوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ۝١٢٧﴾[سورة الأعراف] والذي يقوي هذا الوجه أنه تعالى لما قال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ۝٥٠﴾ وجب أن يكون المقتضى لهذا الخوف هو كون ربهم فوقهم لما ثبت في أصول الفقه أنّ الحكم المترتب على الوصف يشعر بكون الحكم معللًا بذلك الوصف، فإذا ثبت هذا فنقول هذا التعطيل ـ قولهم هذا مؤداه التعطيل والإنكار لوجود الله ـ إنّما يصح لو كان المراد بالفوقية الفوقية بالقهر والقدرة لأنها هي الموجبة للخوف، أما الفوقية بالجهة والمكان فهي لا توجب الخوف بدليل أن حارس البيت فوق المَلِك بالمكان والجهة مع أنه أخسّ عبيده فسقطت هذه الشبهة».

صلَة ل ﴿يَخَافُونَ﴾ وَيكون تَقدِير الكَلَام يَخَافُونَ من فَوقهم رَبهم[1]، أَي أَن الخَوف من جِهَة العُلُوّ، وَأَن العَذَاب يَأتِي من تِلكَ الجِهَة.

وَثَانِيهمَا[2]: بِمَعنى المرتبَة كَمَا يُقَال الخَلِيفَة فَوق السُّلطَان وَالسُّلطَان فَوق الأَمِير وكما يُقَال جلس فلَان فَوق فلَان وَالعلم فَوق العَمَل والصباغة فَوق الدباغة[3].

---

(١) الجار والمجرور وكذا الظرف يحتاج كل منهما إلى فعل أو ما يشبه الفعل ليتعلق به ويكون الجار والمجرور أو الظرف متممًا لمعنى الفعل أو ما يشبه الفعل حين يتعلق به ويسمى الجار والمجرور المتعلق صلة للفعل أو ما يشبه الفعل الذي يتمم معناه.

(٢) الفوقية التي أرادها هنا بقوله ثانيها علو الرتبة والمكانة لا علو المكان.

(٣) قال الشيخ أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم المعروف بابن القشيري المتوفى ٥١٤ هجري، عند بيان جواز تأويل الاستواء بالقهر ما نصه: «ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام] بذلك أيضًا حتى يقال كان مقهورًا قبلَ خلقِ العباد، هيهاتَ، إذ لم يكن للعباد وجودٌ قبلَ خلقِه إيّاهم، بل لو كان الأمر على ما توهمَه الجهلةُ مِن أنه استواءٌ بالذاتِ لأشعر ذلك بالتغيُّر واعوجاج سابقٍ على وقتِ الاستواء، فإن الباريء تعالى كان موجودًا قبلَ العرش. ومَن أنصفَ عَلِمَ أنّ قولَ مَن يقول: العرشُ بالربِّ استوى أمثلُ مِن قول مَن يقول: الربُّ بالعرشِ استوى، فالربُّ إذًا موصوفٌ بالعُلُو وفوقية الرتبةِ والعظمةِ منزهٌ عن الكون في المكان وعن المحاذاة» ثم قال: «وقد نَبَغَت نابغةٌ من الرّعاعِ لولا استنزالُهم للعوامِ بما يقربُ مِن أفهامهم ويُتصوّرُ في أوهامِهم لأَجللتُ هذا المكتوب عن تلطيخه بذكرهم. يقولون: نحن نأخذُ بالظاهر ونجري الآيات الموهمةَ تشبيهًا والأخبارَ المقتضية حدًا وعُضوًا على الظاهر ولا يجوز أن نطرقَ التأويلَ إلى شيء مِن ذلك، ويتمسكون بقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [سورة ءال عمران]. وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضرُّ على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعَبَدةِ الأوثانِ، لأن ضلالاتِ الكفارِ

وَقد وَقع ذَلِك فِي قَوله تَعَالَى حَيثُ قَالَ: ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ [سورة الزخرف] وَلم يطلع أحدهم على أكتاف الآخر، وَمن ذَلِك قَوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [سورة الأعراف] وَمَا ركبت القبط أكتاف بني إِسرَائِيل وَلَا ظُهُورهم(١).

ظاهرةٌ يَتَجَنَّبُها المسلمون، وهؤلاء أَتَوا الدينَ والعوامّ مِن طريقٍ يَغتَرُّ به المُستَضعفُون، فأَوحَوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأَحَلُّوا في قلوبهم وصفَ المعبودِ سبحانَه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاءِ والاستواء بالذات والترددِ في الجهات، فمن أَصغى إلى ظاهرهم يبادرُ بوهمِه إلى تخيّلِ المحسوسات فاعتقدَ الفضائحَ فسالَ به السيلُ وهو لا يَدري». **تبصرة الأدلة في أصول الدين**، النسفي، (ج ١ / ص ١٧٤- ١٨٣).

وقال الشيخ العلّامة المحدث عبد الله الهرري في إثبات تنزيه الله عن المكان والجهة ما نصه: «والله تعالى متنزه أيضًا عن الجهات والأماكن إذ الجهات والأماكن خَلقُهُ أحدثها بعد أن لم تكن فلا يوصف تعالى بالفوقية بالحيز والمكان فلو كان فوق العالم بالحيز والمكان لكان محاذيًا له والمحاذي للجسم إمّا أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر منه مساحة، وما يقدر بالمساحة محتاج لمن خصه بها والمحتاج حادث، ولو كان مُقدّرًا بالمِساحة لصحت الألُوهِيّةُ للشمس ونحوها من الكواكب. وأمّا رفع الأيدي والوجوه إلى السماء عند الدعاء فلأنها قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصّلاة تستقبل بالصّدر، وفي رفع اليد والرأس إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والعظمة». **الدليل القويم على الصراط المستقيم**، الهرري (ص ٣٥).

(١) معناه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [سورة الأعراف] والذي ورد على لسان فرعون حيث قال السادة من قوم فرعون لفرعون أَتَدَعُ موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا الناس في أرض «مصر» بتغيير دينهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادتك وعبادة آلهتك؟ فقال فرعون سنُقتّل أبناء بني إسرائيل ونستبقي نساءهم أحياء للخدمة وإنَّا عالون عليهم بقهر المُلكِ والسلطان.

وَأَردَفَ[1] ذَلِك بقوله تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[2] [سورة طه] وَورد هَذَا فِي كتاب الله فِي سِتَّة مَوَاضِع من كِتَابه[1] وَهِي عُمدَة المشبهة وَأقوى معتمدهم حَتَّى إِنَّهُم كتبوها على بَاب جَامع همذان[2].

---

(١) ابن تيمية.

(٢) قال فخر الدين الرازي في تفسيره رادًا على من قال الاستواء لله هو استواء حقيقي ولا نؤول الاستواء على القهر والغلبة قال:

«**المسألة الثانية**: المشبهة تعلقت بهذه الآية في أن معبودهم جالس على العرش وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه:

أحدها: أنَّه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيًا عنه فهو بالصفة التي لم يزل عليها إلا أن يزعم زاعم ـ هذا كفر صريح ـ أنه لم يزل مع الله عرش.

وثانيها: أنَّ الجالس على العرش لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش فيكون في نفسه مؤلفًا مركبًا وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلِف والمركِب وذلك محال.

وثالثها: أن الجالس على العرش إمَّا أن يكون متمكنًا من الانتقال والحركة أو لا يمكنه ذلك

- فإن كان الأول فقد صار محل الحركة والسكون فيكون محدثًا لا محالة.
- وإن كان الثاني كان كالمربوط بل كان كالزَّمِن بل أسوأ منه فإنَّ الزمن إذا شاء الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم.

ورابعها: هو أنَّ معبودهم إما أن يحصل في كل مكان أو في مكان دون مكان فإن حصل في كل مكان لزمهم أن يحصل في مكان النجاسات والقاذورات وذلك لا يقوله عاقل، وإن حصل في مكان دون مكان افتقر إلى مخصص يخصصه بذلك المكان فيكون محتاجًا وهو على الله

محال.

وخامسها: أنَّ قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] يتناول نفي المساواة من جميع الوجوه بدليل صحة الاستثناء فإنَّه يحسن ـ أي هذا على زعم الذين يصفونه بهذه الصفات فعلى زعمهم يكون كذلك ـ أن يقال ليس كمثله شيء إلا في الجلوس وإلا في المقدار وإلا في اللون وصحة الاستثناء تقتضي دخول جميع هذه الأمور تحته، فلو كان جالسًا لحصل من يماثله في الجلوس فحينئذٍ يبطل معنى الآية.

وسادسها: قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧﴾ [سورة الحاقة] فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم وذلك غير معقول لأنَّ الخالق هو الذي يحفظ المخلوق أمَّا المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله.

وسابعها: أنَّه لو جاز أن يكون المستقر في المكان إلهًا فكيف يعلم أنَّ الشمس والقمر ليسا بإله لأنَّ طريقنا إلى نفي إلهية الشمس والقمر أنهما موصوفان بالحركة والسكون وما كان كذلك كان محدثًا ولم يكن إلهًا فإذا أبطلتم هذا الطريق انسد عليكم باب القدح في إلهية الشمس والقمر.

وثامنها: أنَّ العالم كرة ـ أي كالكرة وهذا للتشبيه ولا يعني أنَّها بشكل الكرة تمامًا ـ فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى ساكني ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس، فلو كان المعبود مختصًا بجهة فتلك الجهة وإن كانت فوقًا لبعض الناس لكنها تحت لبعض آخرين، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء.

وتاسعها: أجمعت الأمة على أن قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص] من المحكمات لا من المتشابهات فلو كان مختصًا بالمكان لكان الجانب الذي منه يلي ما على يمينه غير الجانب الذي منه يلي ما على يساره فيكون مركبًا منقسمًا فلا يكون أحدًا في الحقيقة فيَبطُل قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص].

وعاشرها: أنَّ الخليل عليه السلام قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦﴾ [سورة الأنعام] ولو كان

المعبود جسمًا لكان آفلًا أبدًا غائبًا أبدًا فكان يندرج تحت قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ فثبت بهذه الدلائل أنَّ الاستقرار على الله تعالى محال».

ثم قال في موضع آخر: «المراد من الاستواء الاستيلاء قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

فإن قيل هذا التأويل غير جائز لوجوه.

أحدها: أن الاستيلاء معناه حصول الغلبة بعد العجز وذلك في حق الله تعالى محال.

وثانيها: أنَّه إنَّما يقال فلان استولى على كذا إذا كان له منازع ينازعه، وكان المستولي عليه موجودًا قبل ذلك، وهذا في حق الله تعالى محال، لأنَّ العرش إنَّما حدث بتخليقه وتكوينه.

وثالثها: الاستيلاء حاصل بالنسبة إلى كل المخلوقات فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة.

والجواب: أنا إذا فسرنا الاستيلاء **بالاقتدار** زالت هذه المطاعن بالكلية».

ونقول في نقض هذه الشبه التي يلقونها: وأما دعوى المجسمة تفسير استوى باستولى وقهر يقتضي سبق المغالبة فهو مردود بقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ١٨﴾ [سورة الأنعام]، فلم توهم هذه الآية سبق المغالبة وحيث لا إيهام هنا فلا إيهام هناك.

وأما اعتراضهم على ذلك بقولهم: «إن الله قاهر لكل شىء فلا فائدة من تخصيص العرش بالذكر».

فيرد عليهم بأنَّ الله قاهر للعرش وهو أعظم المخلوقات فهو قاهر لما دون العرش بالأولى وقد قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ فلم يقتض ذلك أنَّ الله ليس ربًا لما سوى العرش بل الله رب العالمين كما في قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [سورة الفاتحة].

قال تقي الدين السبكي ما نصه: «فالمقْدم على هذا التأويل ـ أي على تفسير الاستواء بالاستيلاء ـ لم يرتكب محذورًا ولا وصف الله بما لا يجوز عليه».

فلنصرف العِنَايَة إِلَى إيضاحها فَنَقُول إِمَّا أَنهم يعزلون العقل بِكُل وَجه وَسبب، وَلَا يلتفتون إِلَى مَا سمي فهمًا وإدراكًا فمرحبًا بفعلهم وَبقول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]، وَإِن تعدوا[3] هَذَا إِلَى أَنه مستو على العَرْش[4] فَلَا حبًّا وَلَا كَرَامَةً[5] فَإِن الله تَعَالَى مَا قَالَه، مَعَ أَن عُلَمَاء البَيَان كالمتفقين على أَن فِي اسم الفَاعِل من الثُّبُوت مَا لَا يفهم من الفِعل.

وبذلك فسّرها أبو نصر القشيري فقال: «ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٨﴾ [سورة الأنعام] بذلك أيضًا حتى يقال كان مقهورًا قبل خلق العباد، هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنّه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيير واعوجاج سابق على وقت الاستواء، فإنّ البارئ تعالى كان موجودًا قبل العرش، ومن أنصف علم أنَّ قول من يقول العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول: الرب بالعرش استوى ـ العرش بالرب استوى معناه العرش بإيجاد الله تعالى تمَّ أما استوى الله بالعرش لا يصح لأنه يُشعر بالنقص والنقص على الله مستحيل ـ فالرب إذًا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منزّه عن الكون في المكان وعن المحاذاة».

(١) (سورة الأعراف / ٥٤)، (سورة يونس / ٣)، (سورة الرعد / ٢)، (سورة الفرقان / ٥٩)، (سورة السجدة / ٤)، (سورة الحديد/ ٤).

(٢) مدينة في إيران.

(٣) أي تجاوزوه.

(٤) أي على المعنى الحِسّيّ على عزمهم.

(٥) يعني ابن جهبل إما أن يقفوا عند لفظ الآية استوى ولا يعدلوا عن الفعل الماضي إلى اسم الفاعل المشتق منه «مستو»، لأن المعنى يتغير، فمرحبًا بذلك، وإما أن يغيروا اللفظ إلى

وَإِن قَالُوا: هَذَا يدل على أَنه فَوقه، فقد تركُوا مَا التزموه، وبالغوا فِي التَّنَاقُض والتشهي والجرأة، وَإِن قَالُوا: بل نبقي العقل ونفهم مَا هُوَ المُرَاد.

فَنَقُول لَهُم: مَا هُوَ الاستوَاء فِي كَلَام العَرَب؟ فَإِن قَالُوا الجُلُوس والاستقرار، قُلنَا: هَذَا مَا تعرفه[1] العَرَب إِلَّا فِي الجِسم، فَقولُوا يَستَوِي جسم على العَرش، وَإِن قَالُوا جُلُوس واستقرار، نسبته إِلَى ذَات الله تَعَالَى كنسبة الجُلُوس إِلَى الجِسم، والعرب لَا تعرف هَذَا حَتَّى يكون هُوَ الحَقِيقَة، ثمَّ العَرَب تفهم استِوَاء القدح الَّذِي هُوَ ضد الاعوجاج، فوصفوه بذلك وتبرءوا مَعَه من التجسيم، وسدوا بَاب الحمل على غير الجُلُوس وَلَا يسدونه فِي قَوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2] [سورة

«مستو» فلا مرحبًا بهذا التغيير، بعد افتراض أنهم لم يقبلوا بإعمال العقل في النص، فلا مرحبًا ولا كرامة لأن المعنى الذي تريده المشبهة هو معنى الاستقرار والجلوس وهذا معارض للقرءان.

(١) أي لا تعرفه.

(٢) هذه الآية تحمل على العلم كما قال أهل العلم ولا تحمل على ظاهرها لأنَّها لو حملت عليه لكان فيها أنَّ الله في الأرض معنا أين ما كنّا في البيت أو في الحديقة أو حتى من يحملها على ظاهرها يقول الله حال في هذه الأرض حال في القاذورات وفي النجاسات وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا وهذا لا يقوله صاحب فهم سليم وهذه الآية دليل على أنَّ التأويل ليس تعطيلًا فأنتم أنفسكم يا مشبهة تحملونها على العلم وهذا تأويل وصرف لها عن ظاهرها فلم تؤولون هذه وتحملون بقية الآيات المتشابهة على ظواهرها فتقعون في التشبيه والتجسيم والتضارب والتناقض وتقولون التأويل تعطيل وقد أولتم ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۝٤﴾ وعلى هذا فأنتم معطلة على زعمكم حيث أولتم هذه الآية وأنتم كاليهود الذين قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۝٨٥﴾[سورة البقرة] فتنطبق عليكم الآية يعني تؤولون آية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾

على العلم ولا تؤولون الاستواء بالقهر ولا تؤولون سائر الآيات الموهمة تشبيهًا لله التي لها وجه يليق بالله كما قال العلماء على اختلاف العصور بل كما فسرها الرسول فأنتم يا مشبهة خالفتم الرسول عليه الصلاة والسلام وخالفتم الأمة الإسلامية جمعاء فيا فضيحتكم ويا خزيكم، وأنتم داخلون تحت آية ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ۝٧﴾[سورة آل عمران] وهاكم **نقل الإجماع على التأويل** من أقوال مفسرين معتبرين:

قال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ۝٤﴾ معناه بقدرته وعلمه وإحاطته، وهذه آية **أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها**، وأنها مخرجة عن معنى لفظها المعهود، ودخل في الإجماع من يقول بأن المشتبه كله ينبغي أن يمر ـ أي لا يحمل على الظاهر بل يؤول تأويلًا إجماليًا مع كمال التنزيه ـ ويؤمن به ولا يفسر **فقد أجمعوا على تأويل هذه لبيان وجوب إخراجها عن ظاهرها** ـ وكذا في كل نص متشابه لا يجوز حمله على الظاهر ـ قال سفيان الثوري معناه: علمه معكم، وتأولهم هذه حجة عليهم في غيرها».

قال الرازي: «**المسألة الثانية**: قال المتكلمون: هذه المعية إما بالعلم وإما بالحفظ والحراسة، وعلى التقديرين **فقد انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيز**، فإذن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ **لا بد فيه من التأويل وإذا جوزنا التأويل في موضع وجب تجويزه في سائر المواضع**.

المسألة الثالثة: اعلم أن في هذه الآيات ترتيبًا عجيبًا، وذلك لأنَّه بيَّن بقوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ ۝٣﴾[سورة الحديد] كونه إلهًا لجميع الممكنات والكائنات، ثم بيَّن كونه إلهًا للعرش والسموات والأرضين. ثم بيَّن بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ۝٤﴾ كونه عالمًا بظواهرنا وبواطننا، فتأمَّل في كيفية هذا الترتيب، ثم تأمَّل في ألفاظ هذه الآيات فإن فيها أسرارًا عجيبة وتنبيهات على أمور عالية».

الحديد]، وَقوله تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ١٦﴾[1] [سورة ق]، وَلَا تَقولُوا مَعَهم بِالعلمِ، وَإِن قُلتُم ذَلِك فَلم تُحِلُّونَه عَامًا وتُحَرِّمونَه عَامًا[2] وَمن أَين لكم أَن لَيسَ الاستوَاء فعلًا من أَفعاله تَعَالَى فِي العَرش، فَإِن قَالُوا: لَيسَ هَذَا كَلَام العَرَب، قُلنَا: وَلَا كَلَام العَرَب استوَى بِالمَعنَى الَّذِي تقولونه بِلَا جسم[3].

---

(١) حبل الوريد عرق العنق، معنى الآية أنه أقرب من العبد من نفسه أي من حيث العلم أي أن الله أعلم من العبد من نفسه، العبد لا يعرف من نفسه إلا بعض الشيء أما الله يعلم كل ما فيه، العبد الواحد لا يعرف كم عدد شعر رأسه والأمور الداخلية أشد خفاءً فمعنى الآية نحن أعلم بالعبد من نفسه.

(٢) أي لمَ تأخذون بظاهر النص في «الاستواء» وتفسرونه بالجلوس، بينما تفسرون «المعية» بالعلم والحفظ؟

(٣) قال الإمام المجتهد أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه المتوفى ١٥٠ هجري، أحد مشاهير علماء السلف إمام المذهب الحنفي ما نصه: «ونقر بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لَمَا قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا». **كتاب الوصية**، ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثري (ص ٢)، وذكره الشيخ الهرري في كتابه الدليل القويم (ص ٥٤)، وملّا علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص ٧٠) عند شرح قول الإمام «ولكن يده صفته بلا كيف».

وهذا رد صريح على المشبهة المجسمة أدعياء السلفية ويزعمون أن السلف لم يصرحوا بنفي الجهة عن الله تعالى. فإن أبا حنيفة رأس من رؤوس السلف الذين تلقّى العلم عن التابعين، والتابعون تلقوا العلم عن الصحابة رضي الله عنهم، فاحفظ هذا أخي المسلم فإنه مهم في رد افتراءات المشبهة على علماء السلف.

وَلَقَد رام المُدَّعِي التفلت من شرك التجسيم بِمَا زَعمه من أَن الله تَعَالَى فِي جِهَة وَأَنه استَوَى على العَرش استِوَاء يَلِيق بجلاله.

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي المتوفى ٤٥٨ هجري، ما نصه: «قال أبو سليمان الخطابي وليس معنى قول المسلمين إن الله استوى على العرش هو أنه مماس له، أو متمكِّن فيه، أو متحيّز في جهة من جهاته، لكنه بائن من جميع خلقه، وإنما هو خبر جاء به التوقيف، فقلنا به، ونفينا عنه التكييف إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى]». **السنن الكبرى**، النسائي، (ج ٣ / ص ٣).

قال الكوثري: «بائن بمعنى أنه غير ممازج للخلق، لا بمعنى أنه متباعد عن الخلق بالمسافة، تعالى الله عن القرب والبعد الحسّيين والبينونة الحسّية فليس في ذلك ما يطمع المجسمة في كلامه».

وقال الحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشهير بابن عساكر الدمشقي المتوفى ٥٧١ هجري، في بيان عقيدته التي هي عقيدة أبي الحسن الأشعري، نقلًا عن القاضي أبي المعالي بن عبد الملك الجويني ما نصه: «قالت النجارية إن البارئ سبحانه بكل مكان من غير حلول ولا جهة. وقالت الحشوية والمجسمة إنه سبحانه حالّ في العرش وإن العرش مكان له وهو جالس عليه ـ وهي عقيدة ابن تيمية وأتباعه المجسمة ـ فسلك طريقة بينهما فقال كان ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه». **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، (ص ١٥٠).

وقال أيضًا في تنزيه الله عن المكان والجهة ما نصه:

خَلَقَ السماءَ كما يشاء ... بلا دعائمَ مُستقِلّه

لا للتحيز كي تكونَ ... لذاته جهةً مُقِلّه

ربٌّ على العرش استوى ... قهرًا وينزلُ لا بنُقلَه

انظر **مقدمة تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، (ص ٢).

فَنَقُول لَهُ: قد صرت الآن إِلَى قولنَا فِي الاستوَاء وَأما الجِهَة فَلَا تلِيق بالجلال. وَأخذ على المُتَكَلِّمين قَولهم إِن الله تَعَالَى لَو كَانَ فِي جِهَة فإِمَّا أَن يكون أكبر أَو أَصغر أَو مُسَاوِيًا وكل ذَلِك محَال[1].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه: «فمعتَقَد سلف الأئمة وعلماءِ السنة من الخلف أن الله منزهٌ عن الحركة والتحول والحلول ليس كمثله شيء» اهـ.
وقال الإمام أبو القاسم الأنصاري النيسابوري شارح كتاب الإرشاد لإمام الحرمين بعد كلام في الاستدلال على نفي التحيز في الجهة عن الله تعالى ما نصه: «ثم نقول سبيل التوصل إلى دَركِ المعلومات الأدلةُ دون الأوهام ورُبَّ أمرٍ يَتوصل العقل إلى ثبوته مع تقاعد الوهم عنه، وكيف يدرِكُ العقلُ موجودًا يحاذي العرشَ مع استحالة أن يكون مثلَ العرش في القدر أو دونه أو أكبرَ منه وهذا حكمُ كل مختَص بجهة. ثم نقول الجوهر الفرد لا يتصور في الوهم وهو معقول بالدليل وكذلك الوقت الواحد والأزل والأبد وكذلك الروح عند من يقول إنه جسم، ومن أراد تصوير الأرض والسماء مثلًا في نفسه فلا يَتصور له إلا بعضُها، وكذلك تصوير ما لا نهاية له من معلومات الله تعالى ومقدوراته، فإذا زالت الأوهام عن كثير من الموجودات فكيف يُطْلَبُ بها القديم سبحانه الذي لا تشبهه المخلوقات فهو سبحانه لا يُتصور في الوهم فإنه لا يُتصور إلا صورةٌ ولا يُتقَدّرُ إلا مُقدَّرٌ قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] ومن لا مِثلَ له لا يتمثل في الوهم، فمن عرفه عرفه بنعت جلاله بأدلة العقول وهي الأفعال الدالة عليه وعلى صفاته، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [سورة النجم] إليه انتهى فكر من تفكَّر هذا قول أُبيِّ بنِ كعب وعبدِ الرحمـن بن أبي نُعْم، وروى أُبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا فِكْرَةَ في الرب**»، وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا ذُكر الله تعالى فانتهوا**» وقال: «**تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق**».
فإن قيل كيف يعقل موجود قائم بالنفس ليس بداخلِ العالم ولا خارجٍ منه. قلنا عرفتم استحالة ذلك ضرورةً أم دلالةً وقد أوضحنا معنى مباينته بالنفس، وهكذا الجواب عن قولهم

خلق الله العالم في نفسه أم مباينًا عنه. قلنا: خلقه على مقدار نفسه أو أكبر منه أو أصغر أو فوق نفسه أو تحته. ثم نقول: حروف الظروف إنما تستعمل في الأجرام المحدودة وكذلك الدخول والخروج من هذا القبيل وكذلك المماسة والمباينة وقد أجبنا عن المباينة. فإن قالوا: كيف يُرى بالأبصار من لا يتحيز ولا يقوم بالمتحيز. قلنا: الرؤية عندنا لا تقتضي جهةً ولا مقابَلةً وإنما تقتضي تعيينَ المرئي وبهذا تتميز عن العلم فإن العلم يتعلق بالمعدوم وبالمعلوم على الجملة تقديرًا وكذلك لا تقتضي اتصال شعاع بالمرئي فهي كالعلم أو في معناه. فإن قيل ألستم تقولون الإدراكُ يقتضي نفس المدرَك قلنا لا يقتضى تَعَيُّنَهُ ولا تحديده. فإن قالوا كيف يُدرَك وجود الإله سبحانه قلنا لا كيفيةَ للأزلي ولا حيث لهُ وكذلك لا كيفية لصفاته ولا سبيل لنا اليومَ إلى الإخبار عن كيفية إدراكه ولا إلى العلم بكيفية إدراكه وكما أن الأكمَهَ الذي لا يُبصِرُ الألوان إذا سُئل عن المَيْز بين السواد والبياض والإخبار عن كيفيتهما فلا جواب له كذلك نعلم أن من لا جهة له لا يُشار إليه بالجهة. فإن قالوا من أبصر شيئًا يمكنه التمييز بين رؤيته لنفسه وبين رؤيته ما يراه فإذا رأيتم الإله سبحانه كيف تميزون بين المرئيين قلنا من لا جهة له لا يُشار إليه بالجهة ومن لا مثل له لا إيضاح له بالمثال ومن لا أَشْكَالَ له فلا إِشْكَال فيه.

ثم نقول لهم: أنتم إذا رأيتم الإله كيف تميّزون بينه وبين العرش وهو دونه سبحانه بالرؤية أتميّزون بينهما بالشكل والصورة أم باللون والهيئة ومِن أصلكم أن المرئي شرطُه أن يكون في مقابلة الرائي وكيف يَرى القديمُ سبحانه نفسَه، وكيف يَرى الكائنات مع استتار بعضها ببعض فلا يَرى على هذا الأصل بطونَ الأشياء وهذا خلاف ما عليه المسلمون، وإذا كان العرش دونه فلا يَحجبه عنّا حالةَ الرؤية، قال الأستاذ أبو إسحق: من رأى الله تعالى فلا يَرى معه غيرَه ـ أي في حال رؤيته للحق ـ فاندفع السؤال على هذا الجواب اهـ.

قَالَ[1]: فَلم يفهموا من قول الله تعَالَى ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [سورة طه] إِلَّا مَا يثبتون لأي جسم كَانَ على أَي جسم كَانَ، قَالَ: وَهَذَا اللَّازِم تَابع لهَذَا الْمَفْهُوم، وَأما استِوَاء يَلِيق بِجلَال الله فَلَا يلزمه شَيْء من اللوازم.

فَنَقُول لَهُ أتَمِيمِيًّا مرّةً وقَيسِيًّا أُخرَى[2] إِذا قلت استَوَى استِوَاء يَلِيق بِجلَال الله فَهُوَ مَذهَب الْمُتَكَلِّمين وَإِن قلت استِوَاء هُوَ استِقرَار واختصاص بِجِهَة دون أُخرَى، لم يجد ذَلِك مخلصًا من الترديد الْمَذكُور.

والاستواء بِمَعنى الِاستِيلَاء، أشهد لَهُ فِي هَذِه الآيَة، أَنَّهَا لم ترد قطّ إِلَّا فِي إِظهَار العظمة وَالقُدرَة وَالسُّلطَان وَالملك، وَالعرب تكني بذلك عَن الملك فَيَقُولُونَ فلَان استَوَى على كرسِي المملكة وَإِن لم يكن جلس عَلَيهِ مرّة وَاحِدَة ويريدون بذلك الملك.

وَأما قَولهم: فَإِن حملتم الاستوَاء على الِاستِيلَاء لم يبق لذكر العَرش فَائِدَة، فَإِن ذَلِك فِي حق كل الْمَخلُوقَات فَلَا يخْتَص بالعرش، فَالْجَوَاب عَنهُ أَن كل الموجودات لمّا حواها العَرش كَانَ الِاستِيلَاء عَلَيهِ استِيلَاء على جَمِيعهَا، وَلَا كَذَلِك غيره،

---

(١) ابن تيمية.

(٢) كأنك قلت أتحوَّلُ تَميميًّا مرّةً وقَيسِيًّا أخرى. فأنت فى هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له وهو عندك فى تلك الحال في تلون وتنقُّلٍ، وليس يَسأله مسترشِدًا عن أمرٍ هو جاهلٌ به، ليفهِّمَه إيّاه ويُخبِرَه عنه، ولكنه وبّخه بذلك. **الكتاب**، سيبويه (ج ١ / ص ٣٤٣).

وَأَيضًا فكناية العَرَب السَّابِقَة ترجحه. وَقد تقدم الكَلَام عَن السّلف فِي معنى الاستوَاء كجعفر الصَّادِق، وَمن تقدم[1].

---

(١) قال الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي الأشعري المتوفى ٥٠٥ هجري، ما نصه: «الأصل السابع: العلم بأنّ الله تعالى منـزه الذات عن الاختصاص بالجهات، فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدّام أو خلف، وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خَلق الإنسان إذ خَلَق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رِجلًا، والآخر يقابله ويسمى رأسًا، فحدث اسم الفوق لما يَلي جهة الرأس واسم السُفل لما يَلي جهة الرِّجل، حتى إنّ النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتًا وإن كان في حقنا فوقًا. وخلَق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى في الغالب، فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينًا والأخرى شمالًا، وخلَق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرّك إليه فحدث اسم القدّام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها، فالجهات حادثة بحدوث الإنسان» ثم قال: «فكيف كان في الأزل مختصًا بجهة والجهة حادثة؟ أو كيف صار مختصًا بجهة بعد أن لم يكن له؟ أبأن خلَق العالم فوقه، ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس، والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس، أو خَلَق العالم تحته، فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رِجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرِّجل؛ وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المعقول من كونه مختصًا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العَرَض، وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عَرَضًا فاستحال كونه مختصًا بالجهة؛ وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطًا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيًا له، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدرٍ ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبِّر، فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء، وفيه أيضًا إشارة إلى ما هو وصف للمدعوّ

وَقَولهم استَوَى بمعنى استولى إِنَّمَا يكون فِيمَا يدافع عَلَيهِ. قُلنَا: واستوى بمعنى جلس أَيضًا إِنَّمَا يكون فِي جسم، وَأَنتُم قد قُلتُم إِنَّكُم لَا تَقولُونَ بِهِ. وَلَو وصفوه تَعَالَى بالاستواء على العَرش لما أَنكَرنَا عَلَيهِم ذَلِك، بل نعدهم[1] إِلَى مَا يشبه التَّشبِيه أَو هُوَ التَّشبِيه المَحذُور، وَالله المُوفق.

من الجلال والكبرياء تنبيهًا بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء، فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء». إحياء **علوم الدين**، الغزالي، كتاب قواعد العقائد، الفصلَ الثالث، الأصل السابع (ج ١ / ص ١٢٨).

(١) هكذا وردت في المطبوعة، وفي المخطوطة بدون نقط.

وَاستدلَّ[1] بقوله تَعَالَى: حِكَايَة عَن فِرعَون ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[1] [سورة غافر].

---

(1) ابن تيمية.

(١) **نقض استدلال ابن تيمية بعقيدة فرعون:** ابن تيمية نصر عقيدته بقول فرعون والله ذمَّ فرعون في القرءان بقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ۝٩٧﴾ [سورة هود] أي ليس أمره برشد وصواب، وإنما هو غي وضلال وقال النسفي في كتابه «مدارك التأويل»: «هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه إلى أمره وهو ضلال مبين وذلك أنه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان ومثله بمعزل عن الألوهية وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط» فهذا حال ابن تيمية حيث إنه ترك قول الأنبياء محمد وموسى عليهما السلام بل الذي قاله موسى كما في الآية الكريمة: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤﴾ [سورة الشعراء] فلاحظوا إلى قول الله عن موسى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وما قال «الله في السموات» كما كذبت المجسمة على القرءان وعلى موسى. وانظروا الى ما أخبر الله تعالى عن فرعون قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ لأنه في الأصل هو لا يؤمن بالله ولا يعتقد بوجوده فلم يقل «أين الله» لأنه لا يعترف بوجوده، فكيف يسأل عن مكانه، فقد غوى وضل السبيل من انجر خلف فرعون الذي قال الله عنه: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [سورة النازعات] وإني لأتعجب فأنى يكون هذا يا ابن تيمية سؤال فرعون لموسى عن مكان الله تعالى بزعمك؟ وأين قول موسى كما كذبت عليه وافتريت أنه قال إن الله في السماء؟ فهذا لا وجود له في كل آيات القرءان، لا في منطوقها ولا في مفهومها وإنما هو محض تَقَوُّلٍ منك على موسى وفي حقيقة الأمر افتريت أيضًا على إمامك فرعون في هذه الكفرية وقلت إنه أنكرها على موسى فأنت أخذت هذا من موسى لأنه قاله لفرعون وأنكره فرعون على موسى، وفي حقيقة الأمر لا فرعون سأله عن هذا ولا موسى قاله، بل الذي قاله موسى عن

الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولم يقل إن الله بذاته في السماء، فما أوقحك في الكذب على الله وعلى موسى وعلى كتاب الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] أي ليس له شبيهًا أحد وليس له مثيلًا أحد وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سورة مريم] فالأشاعرة والماتريدية هم مجموع أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم موافقون لما في القرءان ولما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ولإجماع الأمة، وأما انتم أيها المشبهة فقد خرقتم وخالفتم الإجماع وهل بعد الإجماع إلا الضلال؟!.

قال الإمام الأستاذ الكبير الأصولي أبو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: «وأجمعوا ـ أي أهل السنة ـ على أنه ـ تعالى ـ لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان».

ولبيان مزيد استدلال وإظهار رداءة فهمه للآية انظروا إلى ما قاله القشيري في تفسيره «لطائف الإشارات» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۝٣٧﴾ [سورة غافر]: «السبب ما يتوصّل به إلى الشيء أي لعلّي أصل إلى السماء فأطّلع إلى إله موسى. ولو لم يكن من المضاهاة بين من قال إن المعبود في السماء وبين الكافر إلا هذا لكفى به خزيًا لمذهبهم وقد غلط فرعون حين توهّم أنّ المعبود في السماء، ولو كان في السماء لكان فرعون مصيبًا فى طلبه من السماء، وفي قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ۝٣٧﴾ [سورة غافر] أخبر أنّ اعتقاده بأنّ المعبود في السماء خطأ، وأنّه بذلك مصدود عن سبيل الله».

فهذا كلام القشيري الموحد المنزه الذي قال في الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى]: «لأنه فاطر السماوات والأرض، ولأنه لا مثل يضارعه، ولا شكل يشاكله. والكاف في «كمثله» صلة أي ليس مثله شيء.

ويقال: لفظ «مثل» صلة ومعناه ليس كهو شيء. ويقال معناه ليس له مثل إذ لو كان له مثل لكان كمثله شيء وهو هو، فلما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ فمعناه ليس له مثل، والحق لا

فليت شعري كَيفَ فهم من كَلَام فِرعَون أَن الله تَعَالَى فَوق السَّموَات، وَفَوق العَرش يطّلع إِلَى إِلَه مُوسَى. أما أَن إِلَه مُوسَى فِي السَّموَات، فَمَا ذكره[1] وعَلى تَقدِير فهم ذَلِك من كَلَام فِرعَون، فَكيف يستَدلّ بِظَنّ فِرعَون وفهمه، مَعَ إِخبَار الله

شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أحكامه.

وقد وقع قوم في تشبيه ذاته بذات المخلوقين فوصفوه بالحد والنهاية والكون في المكان، وأقبح قولًا منهم من وصفوه بالجوارح والآلات فظنوا أن بصره في حدقة، وسمعه في عضو، وقدرته في يد ـ أي جارحة ـ إلى غير ذلك.

وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده فقالوا: ما يكون من الخلق قبيحًا فمنه قبيح، وما يكون من الخلق حسنًا فمنه حسن!! وهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه، والحق مستحق للتنزيه دون التشبيه، مستحق للتوحيد دون التحديد، مستحق ـ لوصفه بما وصف به نفسه بلا كيفية ـ دون التعطيل والتمثيل».

ولما قاله أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط في قول الله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ٣٨﴾[سورة القصص]: «أوهم قومه إن إله موسى يمكن الوصول إليه والقضاء عليه وهو عالم متيقن أن ذلك لا يمكن له، وقومه لجهلهم وغباوتهم وإفراط عمايتهم يمكن ذلك عندهم».

ولما قاله البغوي في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨﴾[سورة القصص]: وإني لأظن موسى من الكاذبين في ادعائه في زعمه أن للأرض إلهًا غيري وأنه رسوله.

فبعد هذا وبعد كل ما بيناه هلّا أوضح لي أحد كيف لشخص يعرف من هو فرعون وسمع عنه يستدل بقوله وكلامه ويأخذ عقيدته منه زاعمًا أنه فهم ذلك من موسى وهو محض تَقوُّلٍ وافتراء على موسى عليه السلام فما هذا إلا لفرط جهله أعاذنا الله وإياكم من الجهل وسوء الفهم والغواية في الدين.

(١) علمًا أن الآية ما فيها إثبات أن إله موسى في السماء.

تَعَالَى عَنهُ أَنه زُيّنَ لَهُ سوء عمله وَأَنه حاد عَن سَبِيل الله عز وَجل، وَأَن كَيده فِي ضلال، مَعَ أَنه لما سَأَلَ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَام وَقَالَ وَمَا رب السَّمَوَات[1]؟ لم يتَعَرَّض مُوسَى عَلَيهِ السَّلَام للجهة بل لم يذكر إِلَّا أخص الصِّفَاتِ وَهِي القُدرَة على الاختراع، وَلَو كَانَت الجِهَة ثَابِتَة لَكَانَ التَّعرِيف بهَا أولى، فَإِن الإِشَارَة الحسية من أقوى المعرفات حِسًّا وَعُرفًا[2]، وَفرعَون سَأَلَ بِلَفظَة «مَا» فَكَانَ الجَواب بالتحيز أولى من الصّفة، وَغَايَة مَا فهمه من هَذِه الآيَة وَاستدلَّ بِهِ فهم فِرعَون[3] فَيكون عُمدَة هَذِه العقيدة كَون فِرعَون ظَنّهَا فَيكون هُوَ مستندها.

فليت شعري لم لَا ذكر النِّسبَة إِلَيهِ[4] كَمَا ذكر أَن عقيدة سَادَات أمة مُحَمَّد صلى الله عَلَيهِ وَسلم الَّذين خالفوا اعتِقَاده فِي مَسأَلَة التحيز والجهة، الَّذين ألحقهم

---

(١) السؤال المعني جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣﴾ [سورة الشعراء]، وجاء جوابه بعد ذلك ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾ [سورة الشعراء].

(٢) معناه لو كان الله يتحيز في الجهة لكان جواب موسى عليه السلام لفرعون بالإشارة الحسية إلى الجهة أقوى من تحرير الأدلة العقلية وأخصر طريقًا، ولكن موسى ذكر بعضًا من صفات الله. وما عدول موسى عن الإشارة الحسية إلى الطريق التي سلكها، إلا لأنه يعتقد أن الله لا يتحيز في الجهة.

(٣) أي ما فهمه ابن تيمية من الآية هو ما فهمه فرعون عمومًا وهو أنه توهم أن الله يتحيز في السماء فسلك مسلك فرعون، وليس ما يعتقده موسى عليه السلام.

(٤) معناه لمَ لَم يصرح ابن تيمية باتباعه لفرعون في عقيدته في نسبة الجهة والتحيز إلى الله كما زعم أن أتباع النبي من العلماء والأئمة هم أتباع الفلاسفة وأنهم أخذوا عقيدتهم عن الجهمية التي تلقت هي بدورها عقيدتها عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم. والسحر مستحيل أن يؤثر على عقل النبيّ.

بالجهمية مُتَلَقَّاة من لبيد بن الأعصم اليَهُودِيّ الَّذِي سحر النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم، وَختم الآيَات الكَرِيمَة بالاستدلال بقوله ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [سورة فصلت] ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [سورة الأنعام] وَمَا فِي الآيَتَينِ لَا عرش وَلَا كرسِي وَلَا سَمَاء وَلَا أَرض بل مَا فيهمَا إِلَّا مُجَرّد التَّنزِيل، وَمَا أَدرِي من أَي الدلالات استنبطها المُدَّعِي، فَإِن السَّمَاء لَا تفهم من التَّنزِيل، فَإِن التَّنزِيل قد يكون من السَّمَاء، وَقد يكون من غَيرهَا، وَلَا تَنزِيل القُرءان كَيفَ يفهم مِنهُ النُّزُول[1]، الَّذِي هُوَ انتِقَال من فَوق إِلَى أَسفَل، فَإِن العَرَب لَا تفهم ذَلِك فِي كَلَام سَوَاء كَانَ من عرض أَو غير عرض، وكما تطلق العَرَب النُّزُول على الِانتِقَال، تطلقه على غَيره، كَمَا جَاءَ فِي كِتَابه العَزِيز: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة الحديد] قَوله تَعَالَى:

---

(١) قال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي المتوفى ٤٥٨ هجري، ما نصه: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول حديث النـزول قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه صحيحة، وورد في التنـزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ [سورة الفجر] والنـزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما تقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوًا كبيرًا. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدلٍّ من أعلى إلى أسفل وانتقالٍ من فوق إلى تحت، وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه، وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده، وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء، لا يتوجه على صفاته كيفية، ولا على أفعاله كميّة سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». **السنن الكبرى**، النسائي (ج ٣/ص ٣).

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [سورة الزمر] وَلم ير أحد قطّ قِطعَة حَدِيد نازلة من السَّمَاء فِي الهَوَاء وَلَا جملًا يحلق من السَّمَاء إِلَى الأَرض. فَكَمَا جوّز هُنَا أَن النُّزُول غير الِانتِقَال من العُلُوّ إِلَى السّفل[1] فليجوزه هُنَاكَ.

هَذَا آخر مَا استدلّ[2] بِهِ من الكتاب العَزِيز وَقد ادّعى أَولًا أَنه يَقُول مَا قَالَه الله وَأَن مَا ذكره من الآيَات دَلِيل على قَوله إِمَّا نصًّا وَإِمَّا ظَاهرًا[3].

وَأَنت إِذا رَأَيت مَا ادَّعَاهُ وأمعنت النّظر فِيمَا قُلنَاهُ واستقريت هَذِه الآيَات لم تَجِد فِيهَا كلمة على وفق مَا قَالَه أَوّلًا، وَلَا نصًّا وَلَا ظَاهرًا أَلبَتَّة، وكل أَمر بعد كتاب الله تَعَالَى وَالدَّعوَى عَلَيهِ خلل.

ثمَّ استدلّ من السّنة بِحَدِيث المِعرَاج[4] وَلم يرد فِي حَدِيث المِعرَاج أَن الله فَوق السَّمَاء، أَو فَوق العَرش حَقِيقَة، وَلَا كلمة وَاحِدَة من ذَلِك، وَهُوَ لم يسرد

---

(١) لأن النزول في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ﴾[سورة الحديد] وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [سورة الزمر] لا يحمل على الانتقال في المكان.

(٢) ابن تيمية.

(٣) يعني هنا ما قاله ابن تيمية في كتابه المسمى «الفتوى الحموية» فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه فوق كل شيء وعليٌّ على كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء... إلخ». **الحموية**، (ص ٢٠١).

(٤) ابن تيمية والمجسمة والوهابية تستدل بالأحاديث الواردة في المعراج لإثبات أن الله في السماء وحججهم باطلة وداحضة.

حَدِيث المِعرَاج وَلَا بَين الدّلَالَة مِنهُ حَتَّى نجيب عَنهُ، فَإِن بَيَّن وَجه الِاستِدلَال عَرَّفنَاهُ كَيفَ الجَواب[1].

---

(١) كان ﷺ قَدْ رَأى جِبريلَ عليه السلامُ في المرةِ الأولى في مكةَ على هيئتِهِ الأصليةِ، فَغُشيَ عليهِ، أمَّا في هذهِ الليلةِ المباركةِ فقدْ رءاه للمرةِ الثانيةِ على هيئتِهِ الأصليةِ فلمْ يُغْشَ عليهِ إذْ إنَّهُ ازدادَ تمكُّنًا وقُوّةً.

فقد روى مسلمٌ عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] قالت: «**إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ**». وليسَ معنى هاتينِ الآيتينِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم]، أن الله دنا منَ الرسولِ حتى قربَ منهُ بالمسافةِ قَدْر ذراعينِ أو أقلّ، والذي يعتقدُ هذا يضِلُّ بتكذيبه لشريعة الله. أما المعنى الصحيحُ فهو أنّ جبريل دنا منْ سيدِنا محمدٍ ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي جبريلُ في دنوّه مِنْ سيدِنا محمدٍ ﷺ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي ذراعين ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي بلْ أقربَ، وهناكَ ظَهرَ له بهيأتِهِ الأصليةِ وله سِتُّمائةِ جناحٍ، وكلُّ جناحٍ يَسُدُّ ما بين الأرضِ والسماءِ.

روى مسلمٌ عن الشَعْبِيّ عَن مَسْرُوقٍ قال: كنتُ مُتَّكِئًا عندَ عائشةَ رضي الله عنها فقالتْ: «يا أبا عائشةَ، ثلاثٌ مَنْ تكلمَ بواحدةٍ مِنهنَّ فقد أَعْظَمَ على اللهِ الفِريَةَ!» قلتُ: مَا هُنَّ؟ قالت: «مَنْ زَعَمَ أن محمّدًا ﷺ رأى ربَّهُ فقدْ أعظمَ على اللهِ الفِرْيَةَ». قال: وكنتُ متكئًا فجلستُ، فقلتُ: يا أمَّ المؤمنينَ أَنْظِريني ولا تَعْجَليني، ألم يَقُلِ اللهُ عزَّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [سورة التكوير]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [سورة النجم]، فقالت: أنا أوّلُ هذهِ الأمةِ سألَ عَنْ ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: «**إنما هو جبريلُ، لَمْ أَرَهُ على صورتِهِ التي خُلِقَ عليها غيرَ هاتينِ المرتينِ، رأيتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السماءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بينَ السماءِ والأرضِ**». فقالت: أَوَلَمْ تَسمعْ أَنّ اللهَ يَقولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [سورة الأنعام]؟ أوَ لَمْ تَسمعْ أَنّ الله يقولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ

وَاستدلَّ[1] بنزول المَلَائِكَة من عِند الله تَعَالَى.

وَالجَوَاب عَن ذَلِك أَن نزُول المَلَائِكَة من السَّمَاء إِنَّمَا كَانَ لِأَن السَّمَاء مقرهم، والعندية لَا تدل على أَن الله فِي السَّمَاء، لِأَنَّهُ يُقَال فِي الرُّسُل الآدَمِيّين إِنَّهُم من عِند الله، وَإِن لم يَكُونُوا نزلُوا من السَّمَاء، على أَن العندية قد يُرَاد بهَا الشّرف والرتبة[2]. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ٢٥﴾ [سورة ص] وتستعمل

يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ٥١﴾ [سورة الشورى]؟ قالت: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شيئًا من كتابِ اللهِ فقدْ أعظَمَ على اللهِ الفِرْيَةَ، واللهُ يقولُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ٦٧﴾ [سورة المائدة]، قالت: وَمَنْ زَعَمَ أنهُ يُخْبِرُ بما يكونُ في غَدٍ فقدْ أعظمَ على اللهِ الفِرْيَةَ، واللهُ يقولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ٦٥﴾ [سورة النمل]. أي لا يعلم الغيب كلّه إلا الله، وهذا فيه ردٌّ على القائلين أن الرسول يعلم كل ما يعلمه الله، وهؤلاء ساووا الرسول بالله عزَّ وجلّ، والله تعالى لا يساويه أحد من خلقه في صفة من صفاته، فهو وحده العالِم بكل شيء، والقادر على كل شيء، لا يشاركه في ذلك ولا في سائر صفاته أحد من خلقه كائنًا من كان، وقد قال الرسول ﷺ: **«يَا أيُّها الناسُ، عليكُمْ بتقواكُمْ، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيطانُ، أنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، عبدُ اللهِ ورسُولُهُ، واللهِ ما أُحِبُّ أنْ ترفعُونِي فوقَ منزِلَتِي الَّتي أنزلني اللهُ عزَّ وجلَّ»**.

(١) ابن تيمية.

(٢) قال الشيخ علي بن خلف المشهور بابن بطال المالكي ٤٤٩ هجري، أحد شُرّاح صحيح البخاري ما نصه: «غرض البخاري في هذا الباب الرد على الجهمية المجسمة في تعلقها بهذه الظواهر، وقد تقرر أن الله ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه، فقد كان ولا مكان، وإنما أضاف المعارج إليه إضافة تشريف، ومعنى الارتفاع إليه اعتلاؤه ـ أي تعاليه ـ مع تنزيهه عن المكان». **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (ج ١٣ / ص ٤١٦).

فِي غير ذَلِك كَمَا قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم حِكَايَة عَن ربه عز وَجل «**أَنا عِند ظن عَبدِي بِي**[1]»[2].

وَذكر[3] عروج المَلَائِكَة وَقد سبق وَرُبمَا شدّ فقار ظَهره وقوى مُنَّة متنه بِلَفظَة «إِلَى رَبهم» وَأَن «إِلَى» لانتِهَاء الغَايَة، وَأَنَّهَا فِي قطع المَسَافَة، وَإِذا سكت عَن هَذَا لم يتَكَلَّم بِكَلَام العَرَب، فَإِن المَسَافَة لَا تفهم العَرَب مِنهَا إِلَّا مَا تنتقل فِيهِ الأَجسَام، وَهُوَ يَقُول إِنَّهُم لَا يَقُولُونَ بذلك، وَقد قَالَ الخَلِيل صلى الله عَلَيهِ وَسلم ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [سورة الصافات]، وَلَيسَ المُرَاد بذلك الِانتِهَاء الَّذِي عناه المُدَّعِي بالِاتِّفَاقِ، فَلم يجترئ على ذَلِك فِي كتاب الله تَعَالَى، وَلَا يُجَاب بِهِ فِي خبر

---

(١) قال القاضي عياض: «قيل معناه بالغفران له إذا استغفر والقبول إذا تاب والإجابة إذا دعا والكفايةِ إذا طلب الكفاية، وقيل المراد به الرجاءُ وتأميل العفو وهذا أصح» اهـ.

وقال ابن الملقِّن: «يريد أنه يخشى ويرجو أن لا ينقطع الرجاء عند الذنب، وهذا لا يتوجه إلا إلى المؤمنين خاصة، أي أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، وفي التنزيل ءايات تشهد أنّ عباده المؤمنين وإن أسرفوا على أنفسهم أنه عند ظّنهم به من المغفرة والرحمة وإن أَبطَأَت حِينًا وتراخت وقتًا لإنفاذ ما خُتِمَ به على مَن سَبَقَ عليه إنفاذ الوعيد تَحِلَّةَ القَسم» اهـ.

(٢) **جامع الأحاديث**، السيوطي (ج ٢٤ / ص ١٩٧).

(٣) ابن تيمية.

الوَاحِد. وَذكر[١] قَوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم: «**أَلا تأمنوني وَأَنا أَمِين من فِي السَّمَاء يأتيني خبر من فِي السَّمَاء صباحًا وَمَسَاء**[٢]»[٣].

وَلَيسَ المُرَاد بـ«من» هُوَ الله تَعَالَى، وَلَا ذكر النَّبِيّ صلى الله عَلَيهِ وَسلم ذَلِك وَلَا خصّه بِهِ، ومن أَين للمُدَّعِي أَنه لَيسَ المُرَاد بِـ«من» المَلَائِكَة فَإِنَّهُم أَكثر المَخلُوقَات علمًا بِاللَّه تَعَالَى، وأشدهم اطِّلاعًا على القرب، وهم يعلمُونَ أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم أَمِين، وَهُوَ عِندهم فِي هَذِه الرُّتبَة[٤]. فَليَعلَم المُدَّعِي أَنه لَيسَ فِي الحَدِيث مَا يَنفِي هَذَا وَلَا مَا يثبت مَا ادَّعَاهُ.

---

(١) ابن تيمية.

(٢) فالمَقْصُودُ بِه الملائِكَةُ أَيضًا وإِنْ أُرِيد بِه الله فَمعْنَاهُ الذي هُوَ رَفِيعُ القَدْرِ جدًّا. وقوله: «وأنا أمينُ من في السماء» أي مؤتَمَنٌ مُصَدَّقٌ عند الملائكَةِ، ومعناه يعتقدون أنه أمينٌ صادقٌ في إبلاغِ الوحي.

(٣) **صحيح ابن حبان،** (ج ١ / ص ٢٠٥).

(٤) قال المتكلم سيف الدين الآمدي المتوفى ٦٣١ هجري، ما نصه: «وما يروى عن السلف من ألفاظ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن إجرائها على ظواهرها والإيمان بتنزيلها وتلاوة كل ءاية على ما ذكرنا عنهم، وبيّن السلف الاختلاف في الألفاظ التي يطلقون فيها، كل ذلك اختلاف منهم في العبارة، مع اتفاقهم جميعًا في المعنى أنه تعالى ليس بمتمكن في مكان ولا متحيز بجهة، ومن اشتغل منهم بتأويل يليق بدلائل التوحيد قالوا في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [سورة الزخرف] أراد به ثبوت الألوهية في السماء لا ثبوت ذاته، وكذا في هذا قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام] أي ألوهيته فيهما لا ذاته، وكذا في قوله ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[سورة الملك] ألوهيته إلا أن ألوهيته أضمرت بدلالة ما سيق من الآيات، وقوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ

رَابِعُهُمْ﴾[سورة المجادلة] أي يعلم ذلك ولا يخفى عليه شيء، وقوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[سورة ق] أي بالسلطان والقدرة، وكذلك القول بأنه فوق كل شيء أي بالقهر على ما قال تعالى ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأنعام] وقالوا في قوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[سورة فاطر] إن الله تعالى جعل ديوان أعمال العباد في السماء، والحفظة من الملائكة فيها فيكون ما رفع إلى هناك رفعًا إليه، وهذا كما في قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[سورة الواقعة] وقوله: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾[سورة الواقعة] قالوا ملك الموت وأعوانهُ، والمجسمة لا يمكنهم أن يقولوا إنه بالذات عند كل محتضر، ولا أن يقولوا: إنه بالذات في السماء، لما يلزمهم القول بجعله تحت العرش وتحت عدد من السموات، فوقعوا بهواهم في مثل هذه المناقضات الفاحشة فيكون معنى قوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [سورة فاطر] كما في قوله تعالى خبرًا عن إبراهيم صلوات الله عليه ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾[سورة الصافات] أي إلى الموضع الذي أمرني ربي أن أذهب إليه، وقالوا في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [سورة الأعراف] يعني الملائكة، أنّ المراد منه قرب المنزلة لا قُرب المكان، كما قال في موسى ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾[سورة الأحزاب] وقال تعالى ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾[سورة ص]، قال المفسرون وأئمة الهدى أي أولو القوة في الدين والبصارة في الأمر، ولم يفهم أحد من السلف والخلف منه الأيدي الجارحة مع كونهم موصوفين حقيقة بالأبصار الجارحة والأيدي الجارحة، فكيف فهمت المشبهة من قوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[سورة ص] اليدين الجارحتين، ومن قوله ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾[سورة طه] العين الجارحة، ومن الخبر المروي «إن الصدقة تقع في كف الرحمن» الكف الجارحة مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[سورة الإخلاص] وقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[سورة المؤمنون] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾[سورة العنكبوت]،

ثمَّ ذكر[1] حَدِيث الرّقية: «**رَبنَا الله الَّذِي فِي السَّمَاء**[2] **تقدس اسمك**[3] **أمرك فِي السَّمَاء وَالأَرض كَمَا رزقك فِي السَّمَاء**»[4] الحَدِيث.

فما فهموا من تلك المتشابهات إثبات الجسم والجوارح والصورة إلا لخبث عقيدتهم وسوء سريرتهم. وبالله العصمة من الخذلان». **أبكار الأفكار**، الآمدي (ص ١٩٤ ـ ١٩٥)، مخطوط.

(١) ابن تيمية.

(٢) قال ابن الملك: عبارة عن علو شأنه ورفعته، لأنه منزه عن المكان. **شرح مصابيح السنة**، (٣١٨/٢).

(٣) قال الطيبي: «ربنا» مبتدأ، «الله» خبره، «الذي» صفة مادحة عبارة عن مجرد العلو والرفعة، لأنه منزه عن المكان، ومن ثمة نزه اسمه عما لا يليق فيلزم منه تقديس المسمى بطريق الأولى. **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح**، (١٣٤٥/٤).

(٤) ورد في السنن الكبرى للنسائي بهذا اللفظ: رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسمُكَ أَمرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ كَمَا رَحمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجعَل رَحمَتَكَ فِي الأَرضِ اغفِر لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنزِل رَحمَةً مِن رَحمَتِكَ وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ فَيَبرَأَ. **السنن الكبرى**، النسائي (ج ٩ / ص ٣٨١) كذلك في **سنن أبي داود**، (ج ٤ / ص ١٢). ورواه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين** ثم قال: «قد احتج الشيخان بجميع رواة هذا الحديث غير زيادة ابن محمد، وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث». قال البخاري والنسائي وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال ابن حبان: منكر الحديث جدًا، يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك، فإسناد هذا الحديث ضعيف وكيف يستدل ابن تيمية لنصر عقيدته بحديث ضعيف؟؟ وبعض العلماء من أهل السنة اشترط التواتر في الخبر للاحتجاج به في الاعتقاديات كالآمدي ولا عبرة بما يَنفرد به، واشترط الخطابي المشهورَ للاحتجاج في أمور العقائد دون الآحاد وبهذا قال علماء المذهب الحنفي فهذان يُحتج بهما أي المشهورِ والمتواترِ في العقائد كما يُحتج بهما

وَهَذَا الحَدِيث بِتَقدِير ثُبُوته[1] فَالَّذِي ذكره النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم فِيهِ: «رَبنَا الله الذِي فِي السَّمَاء تقدس اسمك» مَا سكت النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم على «فِي السَّمَاء»، فلأي معنى نقف نَحن عَلَيهِ، ونجعل: «**تقدس اسمك**» كَلَامًا مستأنفًا هَل فعله رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم هَكَذَا أَو أَمر بِهِ.

وَعند ذَلِك لَا يجد المُدَّعِي مخلصًا إِلَّا أَن يَقُول الله تقدس اسمه فِي السَّمَاء وَالأَرض فَلم خصصت السَّمَاء بِالذكر.

فَنَقُول لَهُ: مَا معنى تقدس؟ إِن كَانَ المُرَاد بِهِ التَّنزِيه من حَيثُ هُوَ تَنزِيه فَذَلِك لَيسَ فِي سَمَاء وَلَا أَرض، إِذ التَّنزِيه نفي النقائص، وَذَلِكَ لَا تعلق لَهُ بجرباء وَلَا غبراء[2]، فَإِن المُرَاد أَن المَخلُوقَات تقدس وتعترف بالتنزيه، فَلَا شكّ أَن أهل السَّمَاء مطبقون على تنزيهه تَعَالَى كَمَا أَنه لَا شكّ أَن فِي أهل الأَرض من لم ينزه وَجعل لَهُ ندًّا وَوَصفه بِمَا لَا يَلِيق بجلاله، فَيكون تَخصِيص السَّمَاء بِذكر التَّقدِيس فِيهَا لانفراد أَهلهَا بالإطباق على التَّنزِيه، كَمَا أَنه سُبحَانَهُ لما انْفَرد فِي الملك فِي يَوم الدّين عَمَّن يتَوَهَّم ملكه، خصصه بقوله تَعَالَى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [سورة

في الأحكام، أما ما نزل عنهما فلا يُحتج به في العقائد إلا في الأحكام، وهذا ابن تيمية المخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة يحتج بالضعيف لنصر عقيدته الفاسدة نعوذ بالله من سوء الفهم.

(١) يشير إلى التردد في قبول الحديث.

(٢) الجرباء: السماء، سميت بذلك لما فيها من الكواكب، وقيل سميت بذلك لموضع المجرة كأنها جربت بالنجوم. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف الباء / فصل الجيم)، (ج١ / ص ٢٦٠). والغبراء: الأرض. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف الراء / فصل الخاء المعجمة)، (ج ٤ / ص ٢٤٥).

الفاتحة] وكما قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بعد[1] دمار من ادّعى الملك: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ [سورة غافر].

وَأعَاد هَذَا المُدَّعِي[2] الحَدِيث من أوله وَوصل إِلَى أَن قَالَ فَليقل: «**رَبنَا الله الَّذِي فِي السَّمَاء**» قَالَ وَذكره ووقف على قَوله فِي السَّمَاء[3].

فليت شعري هَل جوّز أحد من العلمَاء أَن يفعل مثل هَذَا؟ وَهل هَذَا إِلَّا مُجرّد إِيهَام أَن سيد المُرسلين صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَعَلَيهِم قَالَ: «**رَبنَا الله فِي السَّمَاء**»[4].

---

(١) قال القرطبي نقلًا عن النَّحَّاس: «وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ مَا رَوَاهُ أَبُو وَائِلٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ مِثْلَ الْفِضَّةِ لَمْ يُعْصَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَيْهَا، فَيُؤْمَرُ مُنَادٍ يُنَادِي «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» فَيَقُولُ الْعِبَادُ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ: «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ». فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ هَذَا الْجَوَابَ سُرُورًا وَتَلَذُّذًا، وَيَقُولُهُ الْكَافِرُونَ غَمًّا وَانْقِيَادًا وَخُضُوعًا. فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا وَالْخَلْقُ غَيْرُ مَوْجُودِينَ فَبَعِيدٌ، لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَالْقَوْلُ صَحِيحٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَيْسَ هُوَ مِمَّا يُؤْخَذُ بالقياس ولا بالتأويل». **تفسير القرطبي**، (٦٢١/٨). وفي طي كلام القرطبي تنبيه إلى أن كلام الله أزلي ليس حادثًا بحدوث المخلوقات، وردٌ لما قد يتوهمه قاصر في العلم من أن الله يكلمهم بكلام حادث، فلله درُّه.

(٢) ابن تيمية.

(٣) بعد أن ذكر ابن تيمية الحديث في «الحموية» عاد وذكر رواية أخرى للحديث ووقف على قول النبيّ: «ربّنا الذي في السماء» إيهامًا للسامع والقارئ أن الله يتحيز في السماء. انظر **الحموية**، (ص ٢٠٦).

(٤) **السنن الكبرى**، النسائي (ج ٩ / ص ٣٨١) **وسنن أبي داود**، (ج ٤ / ص ١٢).

وَأما حَدِيث الأوعال[1] وَمَا فِيهِ من قَوله: «**وَالعرش فَوق ذَلِك كُله وَالله فَوق ذَلِك كُله**[2]»[3]. فَهَذَا الحَدِيث قد كثر مِنهُم إِيهَام العَوام أَنهم يَقُولُونَ بِهِ، ويروجون

---

(١) الأَوْعَالُ والوُعُول: الأَشرافُ والرؤُوس يشبَّهون بالأَوْعَال الَّتِي لَا تُرى إِلا فِي رؤُوس الجِبَالِ. وَفِي الحَدِيثِ فِي تَفْسِيرِ قولِهِ: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [سورة الحاقة]، قِيلَ: ثمانيةُ أَوْعَالٍ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف اللام / فصل الواو)، (ج ١١ / ص ٧٣١). أَي مَلَائِكَةٍ عَلَى صُورَةِ الأَوْعَالِ وهو حديث ضعيف.

(٢) ورد في لفظ هذا الحديث الضعيف الذي يستدل به الجهلة لإثبات التجسم في حق الله تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا: «ثمَّ فَوْقَهُ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ مَا بَيْنَ أَظْلَافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ الْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ اللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ»، قال القاري المنزه في شرح قوله: «ثُمَّ اللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ» في المرقاة: «ثُمَّ اللَّهُ» أَيْ: وَسِعَةُ عِلْمِهِ أَوِ اتِّسَاعُ قُدْرَتِهِ فِي مُلْكِهِ «فَوْقَ ذَلِكَ». وقال الشيرازي في «المفاتيح شرح المصابيح»: «إشارة إلى العرش؛ يعني: الله سبحانه فوق العرش علوًا بالشأن لا بالمكان، تعالى عما يقول الجاهلون». وقال الكرماني في شرح المصابيح: «إشارة إلى العرش؛ أي: الله سبحانه وتعالى فوق العرش حكمًا وعظمةً وعُلُوًّا، لا بالمكان تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرًا». وقال ابن رسلان في شرح سنن أبي داود: «أي: حكمه وعظمته وقدرته فوق ذلك العرش، لا بحسب المكان تعالى الله عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا».

(٣) روى البيهقي في كتابه الأسماء والصفات (ج ٢ / ص ٣١٧) ما نصه: «كَمَا أَخبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذبَارِيُّ أنا أَبُو بَكرِ بنُ دَاسَةَ ثنا أَبُو دَاوُدَ ثنا عَبدُ الأَعلَى بنُ حَمَّادٍ وَمُحَمَّد بنُ المُثَنَّى وَمُحَمَّدُ ابنُ بَشَّارٍ وَأَحمَدُ بنُ سَعِيدٍ الرِّبَاطِيُّ قَالُوا: ثنا وَهبُ بنُ جَرِيرٍ قَالَ أَحمَدُ: كَتَبتُهُ مِن نُسخَتِهِ وَهَذَا لَفظُهُ فَذَكَرَ نَحوَ إِسنَادِ أَبِي الأَزهَرِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: جَهِدَتِ الأَنفُس وَضَاعَتِ العِيَالُ وَنُهِكَتِ الأَموَالُ وَهَلَكَتِ المَوَاشِي. وَقَالَ فِي الجَوَّابِ: «إِنَّ عَرشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ: مِثلُ القُبَّةِ عَلَيهِ وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحلِ بِالرَّاكِبِ». قَالَ: وَقَالَ ابنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: إِنَّ اللَّهَ

عَزَّ وَجَلَّ فوقَ عَرشِهِ وَعَرشُهُ فوقَ سَمَاوَاتِهِ وَسَاقَ الحَدِيثَ. وَقَالَ عَبدُ الأَعلَى وَابنُ المُثَنَّى وَابنُ بَشَّارٍ عَن يَعقُوبَ بنِ عُتبَةَ وَجُبَيرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ جُبَيرٍ عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَالحَدِيثُ بِإِسنَادِ حَدِيثِ أَحمَدَ بنِ سَعِيدٍ هُوَ الصَّحِيحُ وَافَقَهُ عَلَيهِ جَمَاعَةٌ. قَالَ: وَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنِ ابنِ إِسحَاقَ كَمَا قَالَ أَحمَدُ أَيضًا وَكَانَ سَمَاعُ عَبدِ الأَعلَى وَابنِ المُثَنَّى وَابنِ بَشَّارٍ مِن نُسخَةٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا بَلَغَنِي. قُلتُ: إِن كَانَ لَفظُ الحَدِيثِ عَلَى مَا رَوَاهُ أَحمَدُ بنُ سَعِيدٍ الرِّبَاطِيُّ وَتَابَعَهُ عَلَيهِ يَحيَى ابنُ مَعِينٍ وَجَمَاعَةٌ فَالتَّشبِيهُ بِالقُبَّةِ إِنَّمَا وَقَعَ لِلعَرشِ وَرِوَايَتُهُ فِي رِوَايَةِ يَحيَى بنِ مَعِينٍ: «أَتَدرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ عَرشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ لَهَكَذَا بِأَصَابِعِهِ مِثلُ القُبَّةِ عَلَيهَا». وَكَذَلِكَ رَوَاهُ يَعقُوبُ ابنُ سُفيَانَ الفَارِسِيُّ عَن مُحَمَّدِ بنِ يَزِيدَ الوَاسِطِيِّ عَن وَهبِ بنِ جَرِيرٍ. وَهَذَا حَدِيثٌ يَنفَرِدُ بِهِ مُحَمَّدُ بنُ إِسحَاقَ بنِ يَسَارٍ عَن يَعقُوبَ بنِ عُتبَةَ وَصَاحِبَا الصَّحِيحِ لَم يَحتَجَّا بِهِ إِنَّمَا استَشهَدَ مُسلِمُ بنُ الحَجَّاجِ بِمُحَمَّدِ بنِ إِسحَاقَ فِي أَحَادِيثَ مَعدُودَةٍ أَظُنُّهُنَّ خَمسَةً قَد رَوَاهُنَّ غَيرُهُ وَذَكَرَهُ البُخَارِيُّ فِي الشَّوَاهِدِ ذِكرًا مِن غَيرِ رِوَايَةٍ وَكَانَ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ لَا يَرضَاهُ وَيَحيَى بنُ سَعِيدٍ القَطَّانُ لَا يَروِي عَنهُ وَيَحيَى بنُ مَعِينٍ يَقُولُ: لَيسَ هُوَ بِحُجَّةٍ وَأَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ يَقُولُ: يُكتَبُ عَنهُ هَذِهِ الأَحَادِيثُ ـ يَعنِي المَغَازِي وَنَحوَهَا ـ فَإِذَا جَاءَ الحَلَالُ وَالحَرَامُ أَرَدنَا قَومًا هَكَذَا ـ يُرِيدُ أَقوَى مِنهُ ـ فَإِذَا كَانَ لَا يُحتَجُّ بِهِ فِي الحَلَالِ وَالحَرَامِ فَأَولَى أَن لَا يُحتَجَّ بِهِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِنَّمَا نَقَمُوا عَلَيهِ فِي رِوَايَتِهِ عَن أَهلِ الكِتَابِ ثُمَّ عَن ضُعَفَاءِ النَّاسِ وَتَدلِيسِهِ أَسَامِيَهُم فَإِذَا رَوَى عَن ثِقَةٍ وَبَيَّنَ سَمَاعَهُ مِنهُم فَجَمَاعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ لَم يَرَوا بِهِ بَأسًا وَهُوَ إِنَّمَا رَوَى هَذَا الحَدِيثَ عَن يَعقُوبَ بنِ عُتبَةَ وَبَعضُهُم يَقُولُ عَنهُ وَعَن جُبَيرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ جُبَيرٍ وَلَم يُبَيِّن سَمَاعَهُ مِنهُمَا وَاختُلِفَ عَلَيهِ فِي لَفظِهِ كَمَا تَرَى. وَقَد جَعَلَهُ أَبُو سُلَيمَانَ الخَطَّابِيُّ ثَابِتًا وَاشتَغَلَ بِتَأوِيلِهِ فَقَالَ: «هَذَا الكَلَامُ إِذَا أُجرِيَ عَلَى ظَاهِرِهِ كَانَ فِيهِ نَوعٌ مِنَ الكَيفِيَّةِ وَالكَيفِيَّةُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَن صِفَاتِهِ مَنفِيَّةٌ فَعُقِلَ أَن لَيسَ المُرَادُ مِنهُ تَحقِيقُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَلَا تَحدِيدُهُ عَلَى هَذِهِ الهَيئَةِ وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ تَقرِيبٌ أُرِيدَ بِهِ تَقرِيرُ عَظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ جَلَّ جَلَالُهُ سُبحَانَهُ وَإِنَّمَا قُصِدَ بِهِ إِفهَامُ السَّائِلِ مِن حَيثُ يُدرِكُهُ فَهمُهُ إِذَا كَانَ أَعرَابِيًّا جِلفًا لَا عِلمَ لَهُ لِمَعَانِي مَا

بِهِ زخارفهم، وَلَا يتركون دَعوَى من دعاويهم عاطلة من التحلي بِهَذَا الحَدِيث[1].

وَنحن نُبيّن أَنهم لم يَقُولُوا بِحرف وَاحِد مِنهُ وَلَا استَقر لَهُم قدم بِأَن الله تَعَالَى فَوق العَرش حَقِيقَة، بل نقضوا ذَلِك، وإيضاح ذَلِك بِتَقدِيم مَا أخّر هَذَا المُدَّعِي.

قَالَ [2] فِي آخر كَلَامه وَلَا يظنّ الظَّان أَن هَذَا يُخَالف ظَاهر قَوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3] [سورة الحديد] وَقَول النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم: «إِذا قَامَ

دَقَّ مِنَ الكَلَامِ وَمَا لَطُفَ مِنهُ مِن دَرَكِ الأَفهَامِ وَفِي الكَلَامِ حَذفٌ وَإِضمَارٌ فَمَعنَى قَولِهِ: «أَتَدرِي مَا اللَّهُ؟». فَمَعنَاهُ: أَتَدرِي مَا عَظَمَتُهُ وَجَلَالُهُ؟ وَقَولُهُ: «إِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ». مَعنَاهُ: إِنَّهُ لَيَعجزُ عَن جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ حَتَّى يَئِطَّ بِهِ إِذ كَانَ مَعلُومًا أَنَّ أطيطَ الرَّحلِ بِالرَّاكِبِ إِنَّمَا يَكُونُ لِقُوَّةِ مَا فَوقَهُ وَلِعَجزِهِ عَنِ احتِمَالِهِ فَقَرَّرَ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ التَّمثِيلِ عِندَهُ مَعنَى عَظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ وَارتِفَاعِ عَرشِهِ لِيُعلَمَ أَنَّ المَوصُوفَ بِعُلُوِّ الشَّأنِ وَجَلَالَةِ القَدرِ وَفَخَامَةِ الذِّكرِ لَا يُجعَلُ شَفِيعًا إِلَى مَن هُوَ دُونَهُ فِي القَدرِ وَأَسفَلَ مِنهُ فِي الدَّرَجَةِ وَتَعَالَى اللَّهُ أَن يَكُونَ مُشَبَّهًا بِشيء، أَو مُكَيَّفًا بِصُورَةِ خَلقٍ، أَو مُدرَكًا بِحِسٍّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[سورة الشورى]. انتهى كلام البيهقي.

(١) أي أنهم أي المشبهة يذكرون هذا الحديث كثيرًا لنصر مذهبهم، ويتركون الصحيح المتواتر والمشهور ونصوص القرءان الواضحة بتنزيه الله وينجرون خلف الضعيف والمتكلم فيه والذي يوافق ظاهره مذهبهم. وهذا خلاف ما عليه علماء أهل السنة والجماعة، فعندهم أن ظاهر تلك الأحاديث لا تحمل على ما ينقض دين الله وما فيه نسبة النقص إلى الله تعالى وما يجعل الدين والقرءان والحديث متناقضًا والعياذ بالله تعالى.

(٢) ابن تيمية.

(٣) قال العلماء في تفسير قوله عزّ وجل: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾[سورة فصلت] وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴿١٢٦﴾﴾[سورة النساء] إنّ الله أحاط بكل شيء

أحدكم إلى الصَّلاة فإن الله قِبَلَ وجهه»[1] وَنحو ذَلِك. قَالَ فَإن هَذَا غلط ظَاهر وَذَلِكَ أَن الله تَعَالَى مَعنا حَقِيقَة، فَوق العَرش حَقِيقَة، قَالَ كَمَا جمع الله بَينهمَا فِي قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [سورة الحديد].

علمًا، محيط علمًا بالكائنات التي تحدث إلى ما لا نهاية له، حتى ما يحدث في الدّار الآخرة التي لا انقطاع لها، يعلم ذلك جملةً وتفصيلًا. وعلى معنى الإحاطة بالعلم فسّرت المعيّة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۝٤﴾ [سورة الحديد] أي عالم بنا أينما كنّا.
وعلى معنى العلم أيضًا يحمل حديث: «**وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ**»، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [سورة ق].

(١) في صحيح البخاري «**إِنَّ أَحَدَكُم إِذَا كَانَ فِي الصَّلاَةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجهِهِ فَلاَ يَتَنَخَّمَنَّ أَحَدٌ قِبَلَ وَجهِهِ فِي الصَّلاَةِ**» (ج ١ / ص ١٥١). قال ابن حجر العسقلاني: «فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ مَعْنَاهُ: أَنَّ تَوَجُّهَهُ إِلَى الْقِبْلَةِ مُفْضٍ بِالْقَصْدِ مِنْهُ إِلَى رَبِّهِ، فَصَارَ فِي التَّقْدِيرِ، فَإِنَّ مَقْصُودَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِبْلَتِهِ. وَقِيلَ هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَيْ عَظَمَةُ اللهِ أَوْ ثَوَابُ اللهِ. وَقَدْ نَزَعَ بِهِ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَهُوَ جَهْلٌ وَاضِحٌ، لِأَنَّ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَبْزُقُ تَحْتَ قَدَمِهِ وَفِيهِ نَقْضُ مَا أَصَّلُوهُ، وَفِيهِ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ بِذَاتِهِ، وَمهما تُؤُوِّلَ بِهِ هَذَا جَازَ أَنْ يُتَأَوَّلَ بِهِ ذَاكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ». **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (ج ١ / ص ٥٠٨). وقال القسطلاني في شرح حديث البخاري: «**إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله قِبَلَ وجهه**» بكسر القاف وفتح الموحدة، أي يطلع عليه. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، القسطلاني (ج ٢ / ص ٨٢).

قَالَ هَذَا المُدَّعِي بملء مَاضغتيه[١] من غير تكتم وَلَا تلعثم، فقد أخبر الله تَعَالَى أنه فَوق العَرش، وَيعلم كل شَيء وَهُوَ مَعنا أينما كُنَّا كَمَا قَالَ صلى الله عَلَيهِ وَسلم فِي حَدِيث الأوعال «**وَالله فَوق العَرش وَهُوَ يعلم مَا أَنتم عَلَيهِ**[٢]»[٣].

---

(١) أي بملء فيه.

(٢) البزار في «مسنده» ضعفه حيث قال: «لا نعلمه روي بهذا الكلام وهذا اللفظ إلا من هذا الوجه عن العباس عن النبي صلى لله عليه وسلم، وعبد الله بن عميرة، لا نعلم روى عنه إلا سماك بن حرب». انتهى. وابن عدي في الكامل حيث قال: غير محفوظ. وأشار إلى ضعفه المزي في «تهذيب الكمال».

(٣) لقد تصرف العلّامة ابن جهبل في بعض الألفاظ لكنه حافظ على المعنى حفاظًا كاملًا. يقول ابن تيمية في «الحموية» ما نصه: «ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا ألبتة مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد] وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه**» ونحو ذلك فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد]. فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنّا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه» وقد بينا تفسيره أن المراد عالم بكل شيء وفوق كل شيء بالمكانة لا بالمكان تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

فقد فهمت أَن هَذَا المُدَّعِي ادّعى أَن الله فَوق العَرْش حَقِيقَة وَاستدلَّ بقوله تَعَالَى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1] [سورة الأعراف].

وَجعل أَن ذَلِك من الله تَعَالَى خبر أَنه فَوق العَرْش وَقد علم كل ذِي ذهن قويم وفكر مُستَقِيم أَن لفظ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[2] [سورة الأعراف] لَيسَ مرادفًا للفظ

---

(١) وليس معنى قول المسلمين إن الله استوى على العرش هو مماس له أو متمكن فيه أو متحيز في جهة من جهاته لكنه غير مشابه لهم بوجه من الوجوه إنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

قال القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي ما نصه: «واعلم أنّ الوصف له تعالى بالاستواء اتّباع للنّص وتسليم للشرع وتصديق لما وصف به نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له الكيفية لأنّ الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشىء ولا سألته الصحابة ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيّز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام».

(٢) قال الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي المتوفى ١١٣٤ هجري، ما نصه: «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر إليها، وهي: التشبيه، والتعطيل، والتكذيب. وأما التشبيه: فهو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه، كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسمٌ فوق العرش، أو يعتقدون أن له يدَين بمعنى الجارحتين، وأن له الصورة الفلانية أو على الكيفية الفلانية، أو أنه نور يتصوره العقل، أو أنه في السماء، أو في جهة من الجهات الست، أو أنه في مكان من الأماكن، أو في جميع الأماكن، أو أنه ملأ السموات والأرض، أو أنّ له الحلول في شىء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أنه متحد بشىء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلّةٌ منه، أو شيئًا منها. وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله تعالى، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه». **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، عبد الغني النابلسي، (ص ١٢٤).

وقال هذا الحكم أيضًا الشيخ العلّامة المحدث الفقيه أبو المحاسن محمد القاوقجي الطرابلسي اللبناني الحنفي المتوفى ١٣٠٥ هجري، قال: «ومن قال لا أعرِفُ الله في السماء هو أم في الأرض كفَر لأنه جعل أحدهما له مكانًا». **الاعتماد في الاعتقاد**، القاوقجي، (ص ٥).

وقال الشيخ محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكي المصري المتوفى ١٣٥٢ هجري، ما نصه: «سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين، والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة، وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص ويقول ذلك هو عقيدة السلف ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، ويقول لهم من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا مستدلًا بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[سورة طه] وقوله عز وجل ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[سورة الملك]، أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل؟ وعلى كونه باطلًا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه، وإن مات على هذه الحالة قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وهل من صدّقه في ذلك الاعتقاد يكون كافرًا مثله؟ فأجبت بعون الله تعالى، فقلت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى ءاله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد. أما بعد فالحكم أن هذا الاعتقاد باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين، والدليل العقلي على ذلك قِدَم الله تعالى ومخالفته للحوادث، والنقلي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى] فكل من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشىء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتبين منه زوجه، ووجب عليه أن يتوب فورًا، وإذا مات على هذا الاعتقاد والعياذ بالله تعالى لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله في ذلك كله من صدّقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى

فَوق العَرش حَقِيقَة[1]، وَقد سبق منّا الكَلَام عَلَيهِ، وَلَا فِي الآيَة مَا يدل على الجمع الَّذِي ادَّعَاهُ وَلَا بَين التَّقرِيب فِي الِاستِدلَال، بل سرد آيَة من كتاب الله تَعَالَى لَا يُدرَى هَل حفظهَا أَو نقلهَا من المُصحف، ثمَّ شبه الآيَة فِي الدّلَالَة على الجمع بِحَدِيث الأوعال قَالَ كَمَا قَالَ صلى الله عَلَيهِ وَسلم فِيهِ: «**وَالله فَوق العَرش**». وَقد علمت أَنه لَيسَ فِي الحَدِيث مَا يدل على المَعِيَّة بل لَا مدخل لـ«مع» فِي الحَدِيث.

قَالَ[2] وَذَلِكَ أَن «مَعَ» إِذا أطلقت فَلَيسَ ظَاهرهَا فِي اللُّغَة إِلَّا للمقارنة المُطلقَة من غير وجوب مماسة وَلَا محاذاة عَن يَمِين أَو شمال وَإِذا قيدت بِمَعنى من المعَانِي دلّت على المُقَارنَة فِي ذَلِك المَعنى، فَإِنَّهُ يُقَال مَا زلنا نسير وَالقَمَر مَعنا أَو النجم مَعنا، وَيُقَال هَذَا المَتَاع مَعنا وَهُوَ لمجامعته لَك وَإِن كَانَ فَوق رَأسك، فَالله مَعَ خلقه حَقِيقَة وَهُوَ فَوق العَرش حَقِيقَة ثمَّ هَذِه المَعِيَّة تخْتَلف أَحكَامهَا بِحَسب

من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر، وقوله لهم من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا، فهو كفر وبهتان عظيم». **إتحاف الكائنات**، محمود السبكي، (ص ٣ – ٤).

وقال العلّامة الشيخ المحدث الفقيه عبد الله الهرري المعروف بالحبشي رحمه الله ما نصه: «وحكم من يقول إنّ الله تعالى في كل مكان أو في جميع الأماكن التكفير إذا كان يفهم من هذه العبارة أنّ الله بذاته منبثٌّ أو حالٌّ في الأماكن أما إذا كان يفهم من هذه العبارة أنه تعالى مسيطر على كل شيءٍ وعالمٌ بكل شيء فلا يكفر. وهذا قصدُ كثير ممن يلهج بهاتين الكلمتين ويجب النهي عنهما في كل حال». **الصراط المستقيم**، الهرري، (ص ٢٦).

(١) أي ليس في استوى تصريح أن الله فوق العرش أو أنه مماس للعرش أو بينه وبين العرش مسافة إنما في لفظة استوى إثبات أن الله خالق العرش وهو قاهر له هو مالكه.

(٢) أي ابن تيمية وسيأتي الرد عليه من العلّامة ابن جهبل بعد سرد بعض أقاويله.

الموَارِد فلَمَّا قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [سورة الحديد] دلّ ظَاهر الخطاب على أن حكم هَذِه المَعِيَّة ومقتضاها أَنه مطّلع عَلَيكُم عَالم بكم. قَالَ: وَهَذَا معنى قَول السّلف إِنَّه مَعَهم بِعِلمِهِ، قَالَ وَهَذَا ظَاهر الخطاب وَحَقِيقَته. قَالَ وَكَذَلِكَ فِي قَوله تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [سورة المجادلة] الآيَة، وَفِي قَوله تَعَالَى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] [سورة التوبة] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [سورة النحل] ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [سورة طه].

قَالَ[2] وَيَقُول أَبُو الصَّبِي لَهُ من فَوق السّقف لَا تخف أَنا مَعَك تَنبِيها على المَعِيَّة المُوجبَة لحكم الحَال، فليَفهم النَّاظر أدب هَذَا المُدَّعِي فِي هَذَا المثل وَحسن أَلفَاظه فِي استثمار مقاصده. ثمَّ قَالَ: فَفرق بَين المَعِيَّة وَبَين مقتضاها المَفهُوم من مَعنَاهَا الَّذِي يخْتَلف باختلَاف المَوَاضِع، فليَفهم النَّاظر هَذِه العبارَة الَّتِي لَيست بِالعَرَبِيَّةِ وَلَا بالعجمية، فسبحان المسبّح باللغات المُختَلفَة. قَالَ: فَلفظ المَعِيَّة قد استعمل فِي الكتاب وَالسّنة فِي مَوَاضِع يَقتَضِي فِي كل مَوضِع أمورًا لَا يقتضيها فِي الموضع الآخر. هَذِه عِبَارَته بحروفها[3].

ثمَّ قَالَ[4]: فإِمَّا أَن تخْتَلف دلالتها بِحَسب المَوَاضِع، أَو تدل على قدر مُشتَرك بَين جَمِيع مواردها، وَإِن امتاز كل مَوضِع بخاصية، فليفهم تَقسِيم هَذَا المُدَّعِي

(١) بالحفظ والكلاءة.

(٢) ابن تيمية.

(٣) الحموية، (ص ٥٢١-٥٢٣).

(٤) أي ابن تيمية.

وَحسن تصرفه. قَالَ فعلى التَّقدِيرَين لَيسَ مقتضاها أَن تكون ذَات الرب مختلطة بالخلق حَتَّى يُقَال صرفت عَن ظَاهرهَا[1].

ثمَّ قَالَ[2] فِي مَوضِع آخر من علم أَن المَعِيَّة تُضَاف إِلَى كل نوع من أَنوَاع المَخلُوقَات كإضافة الربوبية مثلًا، وَأَن الاستوَاء على العَرش لَيسَ إِلَّا العَرش، وَأَن الله تَعَالَى يُوصف بالعلو والفوقية الحَقِيقِيَّة، وَلَا يُوصف بالسفول وَلَا بالتحتية قطّ، لَا حَقِيقَة وَلَا مجَازًا، علم أَن القُرءان على مَا هُوَ عَلَيهِ من غير تَحرِيف[3].

فليَفهم النَّاظر هَذِه المُقدمَات القطعية وَهَذِه العبارَات الرائقة الجلية وَحصر الاستوَاء على الشَيء فِي العَرش مِمَّا لَا يَقُوله عَاقل فضلًا عَن جَاهِل[4].

ثمَّ قَالَ[5]: من توهم أَن كَون الله فِي السَّمَاء بِمَعنى أَن السَّمَاء تحيط بِهِ وتحويه، فَهُوَ كَاذِب إِن نَقله عَن غَيره وضال إِن اعتقده فِي ربه، وَمَا سمعنَا أحدًا يفهمهُ من اللَّفظ، وَلَا رَأينَا أحدًا نَقله عَن أحد[6]. فليستفد النَّاظر أَن الفَاهم يسمع[7].

---

(١) **الحموية**، (ص ٥٢٣).

(٢) أي ابن تيمية.

(٣) **الحموية**، (ص ٥٢٥).

(٤) كلام العلّامة ابن جهبل متهكمًا بابن تيمية وتسفيهه إياه ونسبته للجهل حيث جعل العربية والدين تبعًا لهواه ورأيه ونظره الفاسد.

(٥) ابن تيمية.

(٦) **الحموية**، (ص ٥٢٥).

(٧) كلام العلّامة ابن جهبل، أي أن الشخص الذي يفهم يسمع الكلام الحق ويتراجع عن الباطل أما ابن تيمية فحرمه الله الفهم.

قَالَ[١] وَلَو سُئِلَ سَائِر المُسلمين هَل يفهمون من قَول الله تَعَالَى وَرَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم أَن الله تَعَالَى فِي السَّمَاء تحويه؟ لبادر كل أحد مِنهُم إِلَى أَن يَقُول هَذَا شَيء لَعَلَّه لم يخطر ببالنا. وَإِذا كَانَ الأَمر هَكَذَا فَمن التَّكَلُّف أَن يَجعَل ظَاهر اللَّفظ شَيئًا محالًا لَا يفهمهُ النَّاس مِنهُ، ثمَّ يُرِيد أَن يتأوله، قَالَ بل عِند المُسلمين أَن الله فِي السَّمَاء وَهُوَ على العَرش وَاحِد إِذ السَّمَاء إِنَّمَا يُرَاد بِهِ العُلُوّ فَالمَعنى الله فِي العُلُوّ لَا فِي السّفل[٢][٣].

---

(١) ابن تيمية.

(٢) **الحموية**، (ص ٥٢٥-٥٢٦).

(٣) قال اللغوي إبراهيم بن السّري الزّجاج أحد مشاهير اللغويين ٣١١ هجري، ما نصه: «العليّ هو فَعِيل في معنى فاعل، فالله تعالى عالٍ على خَلقِه وهو عليٌّ عليهم بقدرته، ولا يجب أن يُذهب بالعلو ارتفاع مكانٍ، إذ قد بيّنّا أن ذلك لا يجوز في صفاته تقدست، ولا يجوز أن يكون على أن يُتصور بذهن، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا». **تفسير أسماء الله الحسنى**، الزّجاج، (ص ٤٨).

وقال أيضًا: «والله تعالى عالٍ على كل شيء، وليس المراد بالعلو: ارتفاع المحلِّ، لأن الله تعالى يجلُّ عن المحلِّ والمكان، وإنما العُلو علوُّ الشأن وارتفاعُ السلطان». **تفسير أسماء الله الحسنى**، الزّجاج، (ص ٦٠).

وقال الإمام الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفي المتوفى ٣٢١ هجري، في رسالته العقيدة الطحاوية ما نصه: «وتعالى ـ أي الله ـ عن الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ، لا تحويه الجهات السِتُّ كسائر المبتدعات». (ص ١٥). والإمام الطحاوي هو من علماء السلف، قال في أول رسالته «هذا ذكرُ بيانِ عقيدةِ أهل السُنةِ والجماعة». أي أن هذه هي عقيدة السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين في تنزيه الله عن المكان

والجهة والجسمية، وكلام الطحاوي في غاية الأهمية فهو من علماء الحديث ومن علماء الفقه وهو حنفيٌّ أيضًا. وهذه العقيدة تدرس في أنحاء الأرض في المعاهد والجامعات الإسلامية.

وقال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري المتوفى ٣٢٤ هجري، رضي الله عنه ما نصه: «كان الله ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه» انتهى. أي بلا مكان ومن غير احتياج إلى العرش والكرسي. نقل ذلك عنه الحافظ ابن عساكر نقلًا عن القاضي أبي المعالي الجويني. **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، (ص ١٥٠).

وقال إمام أهل السنة أبو منصور الماتُريدي المتوفى ٣٣٣ هجري، رضي الله عنه ما نصه: «إن الله سبحانه كان ولا مكان، وجائز ارتفاع الأمكنة وبقاؤه على ما كان، فهو على ما كان، وكان على ما عليه الآن، جلّ عن التغيّر والزوال والاستحالة». يعني بالاستحالة التحوّل والتطور والتغير من حال إلى حال وهذا منفيٌّ عن الله ومستحيل عليه سبحانه وتعالى. **كتاب التوحيد**، الماتريدي، (ص ٦٩).

والإمام محمد بن محمد الشهير بأبي منصور الماتريدي إمام جليلٌ من أئمة السلف الصالح مناضل عن الدين موضح لعقيدة أهل السنة التي كان عليها الصحابة ومن تبعهم بإيراد أدلة نقلية من القرءان والحديث وأدلة عقلية مع ردّ شبه المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم وقد خصَمهم في محاوراتهم حتى أسكتهم، ومجاهدٌ في نصرة السنة وإحياء الشريعة حتى لقب بإمام أهل السنة.

قال في كتابه «التوحيد» في إثبات رؤية المؤمنين لله في الآخرة ما نصه: «فإن قيل: كيف يُرى؟ قيل: بلا كيف، إذ الكيفية تكون لذي صورة، بل يُرى بلا وصف قيامٍ وقعودٍ واتكاءٍ وتعلق، واتصال وانفصال، ومقابلة ومدابرة، وقصير وطويل، ونور وظلمة، وساكن ومتحرك، ومماس ومباين، وخارج وداخل، ولا معنى يأخذه الوهم أو يقدره العقل لتعاليه عن ذلك». **كتاب التوحيد**، الماتريدي، (ص ٨٥).

هَكَذَا قَالَ هَذَا المُدعي[1] فليَثْنِ النَّاظر على هَذِه بالخناصر وليعض عَلَيهَا بالنواجذ وليعلم أَن القَوم ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الحشر].

قَالَ[2] وَقد علم المُسلمُونَ أَن كرسيه تَعَالَى وسع السَّموَات وَالأَرض وَأَن الكُرسِيّ فِي العَرش كحلقة ملقاة بِأَرض فلاة وَأَن العَرش خلق من مخلوقات الله تَعَالَى لَا نِسبَة لَهُ إِلَّا قدرَة الله وعظمته، وَكَيف يتَوَهَّم متوهم بعد هَذَا أَن خلقًا يحصره ويحويه وَقد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [سورة طه] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة آل عمران] بِمَعنى على وَنَحو ذَلِك وَهُوَ كَلَام عَرَبِيّ حَقِيقَة

فالماتريدي يصرح بنفي الجهة عن الله تعالى، وهذا فيه رد أيضًا على المجسمة والمشبهة الذين يزعمون أن السلف يقولون بإثبات الجهة، فتمسك بما قاله الماتريدي تكن على هدى.

وقال أيضًا: «وأما رفع الأيدي إلى السماء فعلى العبادة، ولله أن يتعبّد عبادَهُ بما شاء، ويوجههم إلى حيث شاء، وإن ظَنّ من يَظنّ أنّ رَفع الأبصار إلى السماء لأن الله من ذلك الوجه إنما هو كظن من يزعم أنه إلى جهة أسفل الأرض بما يضع عليها وجهه متوجهًا في الصلاة ونحوها، وكظن من يزعم أنه في شرق الأرض وغربها بما يتوجه إلى ذلك في الصلاة، أو نحو مكة لخروجه إلى الحج، جلّ الله عن ذلك». انتهى باختصار من **كتاب التوحيد** للماتريدي (ص ٧٥ ـ ٧٦).

وقال الحافظ محمد بن حبان المتوفى ٣٥٤ هجري، صاحب الصحيح المشهور بصحيح ابن حبان ما نصه: «الحمد لله الذي ليس له حد محدود فيحتوى، ولا له أجل معدود فيفنى، ولا يحيط به جوامع المكان، ولا يشتمل عليه تواتر الزمان». **الثقات**، ابن حبان، (ج ١ / ص ١).

(١) أي ابن تيمية.

(٢) ابن تيمية. **الحموية**، (ص ٥٢٦).

لَا مجَاز، وَهَذَا يعلمه من عرف حقائق معنى الحُرُوف وَأَنَّهَا متواطئة فِي الغَالِب.

هَذَا آخر مَا تمسك بِهِ.

فَنَقُول[1] أَولًا مَا معنى قَولك إِن «مَعَ» فِي اللُّغَة للمقارنة المُطلقَة، من غير مماسة وَلَا محاذاة، وَمَا هِيَ المُقَارنَة؟ فَإِن لم يفهم من المُقَارنَة غير صفة لَازِمَة للجسمية، حصل المَقصُود، وَإِن فهم غَيره، فليتنبه حَتَّى تنظر هَل تفهم العَرَب من المُقَارنَة ذَلِك أَو لَا.

ثمَّ قَوله فَإِذا قيدت بِمَعنى من المَعَانِي دلّت على المُقَارنَة فِي ذَلِك المَعنى.

فَنَقُول لَهُ: وَمن نحا ذَلِك فِي ذَلِك.

قَوله: إِنَّهَا فِي هَذِه المَوَاضِع كلهَا بِمَعنى العلم، قُلنَا من أَين لَك هَذَا؟ فَإِن قَالَ من جِهَة قَوله تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [سورة المجادلة] الآيَة دلّ ذَلِك على المَعِيَّة بِالعلمِ وَأَنه على سَبِيل الحَقِيقَة.

فَنَقُول لَهُ قد كِلتَ بالصاع الوافي فَكِل لنا بِمثلِهِ، وَاعلَم أَن فَوق كَمَا يستَعمل فِي العُلُوّ فِي الجِهَة كَذَلِك يستَعمل فِي العُلُوّ فِي المرتبَة والسلطنة وَالملك[2]، وَكَذَلِكَ

---

(١) هنا العلّامة ابن جهبل بدأ بالرد على ابن تيمية.

(٢) قال الشيخ أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم المعروف بابن القشيري المتوفى ٥١٤ هجري، الذي وصفه الحافظ عبد الرزاق الطبسي بإمام الأئمة كما نقل ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري» ما نصه: «فالرب إذًا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منـزه عن الكون في المكان». **إتحاف السادة المتقين**، مرتضى الزَّبيدي، (ج ٢ / ص ١٠٨).

الاستوَاء فيكونان متواطئين كَمَا ذكرته حرفًا بِحرف وَقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾ [سورة يوسف] وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح] وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَة عَن قوم فِرعَون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ۝١٢٧﴾ [سورة الأعراف] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة الزخرف] وَمَعلُوم أَنه لَيسَ المُرَاد جِهَة العُلُوّ فأعد البَحث وَقل فَوق العَرش بِالِاستِيلَاءِ.

وقال المفسّر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي المتوفى ٦٧١ هجري، ما نصه: «والعليّ» يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان، لأنّ الله منزه عن التحيز». **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، سورة البقرة، ءاية / ٢٥٥ (ج ٣ / ص ٢٧٨).

وقال أيضًا: «معنى ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام] فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان». **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، سورة الأنعام، ءاية / ١٨ (ج ٦ / ص ٣٩٩).

وقال أيضًا: «والقاعدة تنزيهه سبحانه وتعالى عن الحركة والانتقال وشغل الأمكنة». المصدر السابق، سورة الأنعام، ءاية / ٣ (ج ٦ / ص ٣٩٠).

وقال أيضًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة المُلك] ما نصه: «والمراد بها توقيره - أي تعظيمه - وتنزيهه عن السفل والتحت، ووصفه بالعلوِ والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام. وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء لأن السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القُدس ومعدن المطهرين من الملائكة، وإليها ترفع أعمال العباد، وفوقها عرشه وجنته، كما جعل الله الكعبة قِبلةً للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان». المصدر السابق، سورة الملك، ءاية / ١٦ (ج ١٨ / ص ٢١٦).

وَكَذَا فِي حَدِيث الأوعال ـ الضعيف ـ وَمَا فعلته فِي «مَعَ» فافعله فِي فَوق وَخرّج هَذَا كَمَا خرّجت ذَلِك وَإِلَّا اترك الجَمِيع[1].

ثمَّ قَوله: وَمن علم أَن المَعِيَّة تُضَاف إِلَى كل نوع من أَنوَاع المَخلُوقَات وَأَن الاستوَاء على الشَيء لَيسَ إِلَّا العَرش.

قُلنَا: حَتَّى نبصر لَك رجلًا استعملها يعلم مَا تَقوله من غير دَلِيل فَإِنَّك إِن لم تقم دلَالَة على ذَلِك وَإِلَّا أبرزت لَفظَة تدل على تَحتم فَوق للاستواء فِي جِهَة العُلوّ.

فليت شعري من أَين تعلم أَن المَعِيَّة بِالعلمِ حَقِيقَة وَأَن آيَة الاستوَاء على العَرش وَحَدِيث الأوعال دالان على صفة الربوبية بالفوقية الحَقِيقِيَّة، اللَّهُمَّ غفرًا[2] هَذَا لَا يكون إِلَّا بالكشف[3]، وَإِلَّا فالأدلة الَّتِي نصبها الله تَعَالَى

---

(١) أي أنت يا ابن تيمية، لأن ابن تيمية يؤول حيثما يشاء ويرفض التأويل ويمنعه عندما يريد وهذا هو التحكم بعينه.

(٢) يُقَالُ: اللَّهُمَّ اغفِر لَنَا مَغفرة وغَفرًا وغُفرانًا وَإِنَّكَ أَنت الغَفُور الغَفّار يَا أَهل المَغفِرة. وأَصل الغَفرِ التَّغطِيَةُ وَالسَّترُ. غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا؛ والغَفر: الغُفرانُ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف الراء / فصل الغين المعجمة)، (ج ٥ / ص ٢٥).

(٣) قال ذلك في معرض التهكم والاستهزاء والإنكار، أي لست وليًا لتدعي الكشف في ذلك مع أن الكشف ليس مصدرًا من مصادر التشريع كما قال السبكي والسيوطي: إلهام الولي ليس بحجة.

لتعرف[1] بهَا ذَاته وَصِفَاته وشرائعه لم يُورد هَذَا المُدَّعِي مِنهَا حرفًا وَاحِدًا على وفق دَعوَى، وَلَا ثَبت لَهُ قدم إِلَّا فِي مهوى[2].

ثمَّ قَوله لَا يُوصف الله تَعَالَى بالسفول والتحتية لَا حَقِيقَة وَلَا مجَازًا[3]. لَيت شعري من ادّعى لَهُ هَذِه الدَّعوَى حَتَّى يُكَلف الكَلَام فِيهَا[4].

ثمَّ إِن قَوله بعد ذَلِك: من توهم كَون الله تَعَالَى فِي السَّمَاء بِمَعنى أَن السَّمَاء تحيط بِهِ وتحويه فَهُوَ كَاذِب إِن نَقله عَن غَيره وضال إِن اعتقده فِي ربه.

أَيهَا المُدَّعِي! قل مَا تفهم وافهم مَا تَقول وكلّم النَّاس كَلَام عَاقل لعاقل تفِيد وتستفيد إِذا طلبت أَن تستنبط من لَفظَة فِي الجِهَة وحملتها على حَقِيقَتهَا هَل يفهم مِنهَا غير الظَّرفِيَّة أَو مَا فِي مَعنَاهَا، وَإِذا كَانَ كَذَلِك فَهَل يفهم عَاقل أَن الظّرف يَنفَكّ عَن إحاطة بِبَعض أَو جَمِيع مَا يلزم ذَلِك، وَهل جرى هَذَا على سمع؟ وَهل من يخاطر أَن «فِي» على حَقِيقَتهَا فِي جِهَة، وَلَا يفهم مِنهَا احتواء وَلَا إحاطة بِبَعض وَلَا كل[5]؟ فَإِن كَانَ المُرَاد أَن يَعزِل النَّاس عُقُولهم وتتكلم أَنت وهم يقلدون

---

(١) يقال ليعرف بها أي بالأدلة ذاته.

(٢) أي بنى ابن تيمية دينه على الضعيف بناء على هواه الفاسد فضل وأضل وهوى في الهاوية ولم يرجع إلى النصوص الثابتة والأصول الراسخة التي عليها أهل الإسلام كافة من أن الأصل عندنا التنزيه وما أوهم ظاهره غير هذا رددناه إلى المحكم.

(٣) **الحموية**، (ص ٥٢٥).

(٤) أي هذه الدعاوى التي ادعاها ابن تيمية ما أنزل الله بها من سلطان.

(٥) كلام ابن تيمية متناقض. فإن أراد من حرف الجر «في» معناه الحقيقي دل على الظرفية ولوازمها من الاحتواء وهو يدعي أنه لا يقول بذلك. وإن أراد أن يخرج الحرف «في» عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي فقد خالف منهجه وناقض نفسه.

ويصدقون لم تأمن أَن بعض المسئولين من المُخَالفين للملة يَأمُرك بذلك، وَيثبت البَاطِل عَلَيك.

ثمَّ قَولك لَو سُئِلَ سَائِر المُسلمين هَل يفهمون من قَول الله تَعَالَى وَرَسُوله أَن الله فِي السَّمَاء تحويه لبادر كل وَاحِد مِنهُم إِلَى أَن يَقُول هَذَا شَيء لَعَلَّه لم يخطر ببالنا[1].

فَنَقُول: مَا الَّذِي أردت بذلك، إِن أردت أَن هَذَا اللَّفظ لَا يُعطي هَذَا المَعنى فإياك أَن تسأَل عَن هَذَا من هُوَ عَارِف بِكَلَام العَرَب، فَإِنَّهُ لَا يصدقك فِي أَن هَذَا اللَّفظ لَا يُعطي هَذَا مَعَ كَون «فِي» للظرفية وَأَنَّهَا على حَقِيقَتهَا فِي الجِهَة.

وَإِن أردت أَن العُقُول تأبى ذَلِك فِي حق الله تَعَالَى فلسنا نَحن مَعَك إِلَّا فِي تَقدِير هَذَا وَنفي كل مَا يُوهم نقصًا فِي حق الله تَعَالَى[2].

---

(١) الحموية، (ص ٥٢٥).

(٢) ابن تيمية طرح سؤاله مجملًا بقوله: «لَو سُئِلَ سَائِر المسلمين هَل يفهمون من قول الله تعالى وَرَسُوله أَن الله فِي السَّمَاء تحويه؟ لبادر كل وَاحِد مِنهُم إِلَى أَن يَقُول هَذَا شَيء لَعَلَّه لم يخطر ببالنا». والعلّامة ابن جهبل يقول إن كان مراد ابن تيمية السؤال عن المعنى الأصلي لحرف الجر «في» فإن كل من له إلمام باللغة العربية سيجيب أنه للظرفية وإن كان سؤاله عن المراد من الآية فإن جواب الكافة أن هذه النصوص لا يقصد منها الظرفية والمانع ليس أصل اللغة وحقيقة الوضع وإنما المانع أن الظرفية لا يجوز وصف الله بها لذا فيحمل المعنى على ما يليق بالله ويجوز وصفه به.

ثمَّ قَولك عِند المُسلمين أَن الله فِي السَّمَاء وَهُوَ على العَرش وَاحِد[1] لا يَنبَغِي أَن تضيف هَذَا الكَلَام إِلَّا إِلَى نَفسك أو إلى من تلقيت هَذِه الوصمة مِنهُ وَلَا تجعَل المُسلمين يرتبكون فِي هَذَا الكَلَام الَّذِي لَا يعقل.

ثمَّ استدللت على أَن كَون الله فِي السَّمَاء وَالعرش وَاحِد، بِأَن السَّمَاء إِنَّمَا يُرَاد بهَا العُلُوّ، فَالمَعنى أَن الله فِي العُلُوّ لَا فِي السّفل.

قل لي هَل قَالَ الله تَعَالَى وَرَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَالسَّابِقُونَ الأَولونَ من المُهَاجِرين وَالأَنصار رَضِي الله عَنهُم أَجمَعِينَ، أَن الله تَعَالَى فِي العُلُوّ لَا فِي السّفل؟ وكل مَا قلت من أول المُقدمَة إِلَى آخرهَا لَو سلم لَك لَكَانَ حَاصِله أَن الله تَعَالَى وصف نَفسه بِأَنَّهُ استوَى على العَرش، وَأَن الله تَعَالَى فَوق العَرش، وَأما أَن السَّمَاء المُرَاد بهَا جِهَة العُلُوّ فَمَا ظفرت كَفاك بنقله.

ثمَّ قَولك قد علم المسلمون أَن كرسيه تَعَالَى وسع السَّمَوَات وَالأَرض وَأَن الكُرسِيّ فِي العَرش كحلقة ملقاة بِأَرض فلاة.

فليت شعري إِذا كَانَ حَدِيث الأوعال يدلك على أَن الله فَوق العَرش فَكيف يجمع بَينه وَبَين طُلُوع المَلَائِكَة إِلَى السَّمَاء الَّتِي فِيهَا الله وَكَيف يكون مَعَ ذَلِك فِي السَّمَاء حَقِيقَة.

ولعلك تَقول إِن المُرَاد بهما جِهَة العُلُوّ تَوفِيقًا. فليت شعري أيمكن أَن تَقول بعد هَذَا التَّوفِيق العاري عَن التَّوقِيف والتوفيق إِن الله فِي السَّمَاء حَقِيقَة، وعَلى السَّمَاء حَقِيقَة، وَفِي العَرش حَقِيقَة، وعَلى العَرش حَقِيقَة، ثمَّ حَقِيقَة السَّمَاء هِيَ

---

(١) الحموية، (ص ٥٢٥-٥٢٦).

هَذِه المُشَاهدَة المحسوسة، يُطلق عَلَيهَا هَذَا الِاسم من لم يخطر بِبَالِهِ السمو[1]، وَأما أصل الِاشتِقَاق فَذَلِك لَا مزية لَهَا فِيهِ على السّقف والسحاب، فَتَبَارَكَ الله خَالق العُقُول.

ثمَّ قَولك بعد ذَلِك العَرش من مخلوقات الله تَعَالَى لَا نِسبَة لَهُ إِلَّا قدرَة الله وعظمته[2].

وَقع إِلَينَا «إِلَّا قدرَة الله» فَإِن كَانَت «بِأَلف لَام ألف» كَمَا وَقع إِلَينَا فقد نفيت العَرش وَجعلت الجِهَة هِيَ العظمة وَالقُدرَة وَصَارَ معنى كلامك جِهَة الله عَظمته وَقدرته[3] والآن قلت مَا لَا يفهم وَلَا قَالَه أحد.

وَإِن كَانَ كلامك بِأَلف لَام يَاء فقد صدقت وَقلت الحق، وَمن قَالَ خلاف ذَلِك ولعمري قد رممنا لَك هَذَا المَكَان ولقناك إِصلَاحه.

ثمَّ قلت: كَيفَ يتَوَهَّم بعد هَذَا أَنَّ خلقًا يحصره أَو يحويه[4]، قُلنَا نعم وَمن أَي شَيء بلاؤنا إِلَّا مِمَّن يَدعِي الحصر أَو يُوهِمهُ.

---

(١) كلمة «سماء» لها معنى حقيقي وهو هذا الجرم الذي نراه ولها معنى ءاخر يفهم من أصل الاشتقاق وهو السمو والرفعة. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (و – ي / فصل السين المهملة)، (ج ١٤ / ص ٣٩٧-٣٩٨) بتصرف.

(٢) **الحموية**، (ص ٥٢٦).

(٣) في المطبوعة موجود «إلى» قدرة الله وعظمته. ويعني العلّامة ابن جهبل أن عبارة ابن تيمية إن كانت «لَا نِسبَة لَهُ إِلَّا قدرَة الله وعظمته» بلفظ «إلا» فهذا مؤداه أن عظمة الله هي بحلوله في الجهة.

(٤) **الحموية**، (ص ٥٢٦).

ثمَّ قلت[1] وَقد قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [سورة طه]. أَوَمَا علمت أَن التَّمَكُّن الاستقراري حَاصِل فِي الجذع فَإِن تمكن المصلوب فِي الجذع كتمكن الكَائِن فِي الظّرف[2].

(١) الحموية، (ص ٥٢٦).

(٢) استدل ابن تيمية ببعض الآيات كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [سورة طه] التي يرى أن «في» تحمل معنى الفوقية مستدلًا بفرعون الذي لم يدخل السحرة في الجذوع وإنما جعلهم عليها فأفادت «في» معنى الفوقية. ويرد العلّامة ابن جهبل عليه بأن استنتاج ابن تيمية يحدث خلطًا في لغة العرب وتكرار ألفاظ من غير داع.

وَكَذَلِكَ الحكم فِي قوله تَعَالَى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة الأنعام] وَهَذَا الَّذِي ذَكرنَاهُ هُوَ الجواب عَن حَدِيث الأوعال وَحَدِيث قبض الرّوح[1] وَحَدِيث عبد الله بن رَوَاحَة[2] رَضِي الله عَنهُ[3] وَحَدِيث أُمية بن أبي الصَّلت[4] وَمَا قَالَ من قَوله[5]:

---

(١) لفظ ذلك الحديث: «**إنَّ المَيّتَ تحضُرُهُ المَلَائِكَةُ فَإذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخرُجِي أَيَّتُهَا النَّفسُ الطَّيِّبَةُ كَانَت فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ اخرُجِي حَمِيدَةً وَأَبشِرِي بِرَوحٍ وَرَيحَانٍ وَرَبٍّ غَيرِ غَضبَانَ...**» الحديث. **مسند الإمام أحمد**، (ج ١٤ / ص ٣٧٧-٣٧٨).

(٢) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد: صحابي، يُعد من الأمراء والشعراء الراجزين. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٥ / ص ٢١٢).

(٣) قال ابن تيمية في «الحموية» (ص ٢١٤): وقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي أنشده النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأقره عليه:

شهدتُ بأن وعدَ الله حق ... وأنَّ النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

(٤) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى وعلماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. **تهذيب الأسماء**، النووي، (ج ١ / ص ١٢٦).

(٥) استدلال ابن تيمية بالشعر المنسوب لعبد الله بن رواحة ولشعر أمية بن الصلت الجاهلي الكافر ليس بحجة له إنما هو حجة عليه، فقد ذكر الكوثري عدم صحة نسبة الأبيات هذه لعبد الله بن رواحة، وكون ابن تيمية أورد شعر أمية الذي فيه تجسيم وترك الاحتجاج والإيراد لآيات وأحاديث التنزيه كأهل السنة هو أمر عجيب يظهر لك اتباع ابن تيمية لهوى نفسه.

مجـدوا الله فَهُـوَ أهـل لمجـد   رَبنَا فِي السَّمَاء أَمسَـى كَبِـيرا[1]

فَيُقَال للمُدَّعِي إِن كنت ترويه فِي السَّمَاء فَقَط وَلَا تتبعها أَمسَى كَبِيرًا فَرُبمَا يُوهم مَا تدعيه لَكِن لَا يبقى شعرًا وَلَا قافية وَإِن كَانَ قَالَ رَبنَا فِي السَّمَاء أَمسَى كَبِيرًا فَقل مثل مَا قَالَ أُميَّة وَعند ذَلِك لَا يدري هَل هُوَ كَمَا قلت أَو قَالَ إِن الله كَبِير فِي السَّمَاء، فَإِن قلت وَهُوَ كَبِير فِي الأَرْض فَلم خصت السَّمَاء.

قُلنَا التَّخصِيص بِمَا أَشرنَا إِلَيهِ من أَن تَعظِيم أهل السَّموَات أَكثر من تَعظِيم أهل الأَرْض لَهُ فَلَيسَ فِي المَلَائِكَة من ينحت حجرًا ويعبده وَلَا فيهم دهري وَلَا معطل وَلَا مشبه، وخطاب أُميَّة لكفار العَرَب الَّذين اتَّخذُوا هُبل وَمَنَاة وَاللات والعزى وَغير ذَلِك من الأنداد، وَقد علمت العَرَب أَن أهل السَّمَاء أعلم مِنهُم حَتَّى كَانُوا يتمسكون بِحَدِيث الكَاهِن الَّذِي كَانَ يتلقف من الجن الَّذِي يسترق

---

(١) قال ابن تيمية في **الحموية**، (ص ٢١٥-٢١٦): وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال آمن شعره وكفر قلبه.

مجِّـدوا الله فهـو للمجـد أهـل   ربنـــا في الســـماء أمســـى كبـــيرا

بالبنـــا الأعلى الذي ســبق النــاس   وســوى فــوق الســماء سريـــرا

شرجعًـــا مـــا ينـــاله بصـــر العيـــن   يـــرى دونـــه الملائكـــة صـــورا

رواه ابن عبد البر وهو مجسم.

والشَّرجَعُ: النّاقةُ الطَّويلَةُ الظَّهرِ، على التَّشبيه بالسَّرير، قَالَ رُؤبَةُ: تَرى لَهُ ونِضوًا شَرجعًا الشَّرجَعُ: خشَبةٌ طويلَةٌ مُرَبَّعةٌ. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (شرجع)، (ج ٢١ / ص ٢٥٨).

الكَلِمَة من الملك فيضيف إِلَيهَا مائَة كذبة فَكيف اعتِقَادهم فِي المَلَائِكَة، فلذَلِك احتج عَلَيهِم أُميَّة بِالمَلَائِكَةِ هَذَا لَيسَ بِبَعِيد وَلَا خِلَافه قَطعِيّ.

ثمَّ قَالَ[1]: من المَعلُوم بِالضَّرُورَةِ أَن الرَّسُول المُبلّغ عَن الله، ألقى إِلَى أمته المدعوين أَن الله تَعَالَى على العَرش وَأَنه فَوق السَّمَاء[2].

فَنَقُول لَهُ: هَذَا لَيسَ بِصَحِيح بِالصَّرِيحِ بل ألقى إِلَيهِم أَن الله استَوَى على العَرش هَذَا الَّذِي تَوَاتر من تبليغ هَذَا النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم، وَمَا ذكره المُدَّعِي من هَذَا الإِخبَار فأخبار آحَاد لَا يصدق عَلَيهَا جمع كَثرَة وَلَا حجَّة لَهُ فِيهَا، وَذَلِكَ وَاضح لمن سمع كَلَام الرَّسُول صلى الله عَلَيهِ وَسلم ونزّله على استِعمَال العَرَب وإطلاقاتها، وَلم يدخل عَلَيهَا غير لغتها.

ثمَّ قلت كَمَا فطر الله جَمِيع الأُمَم عربهم وعجمهم فِي الجَاهِلِيَّة وَالإِسلَام إِلَّا من اجتالته[3] الشَّيَاطِين عَن فطرته[4].

هَذَا كَلَام من أَوله إِلَى آخِره معَارض بالميل وَالتَّرجِيح مَعًا.

ثمَّ قلت عَن السّلف فِي ذَلِك من الأَقوَال مَا لَو جمعته لبلغت مِائَتَينِ أَو ألوفا[5].

---

(١) ابن تيمية.

(٢) نص ابن تيمية: «من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول صلى الله عليه وسلم المبلِّغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه فوق العرش وأنه فوق السماء». **الحموية**، (ص ٢١٨-٢١٩).

(٣) يقال للقوم إذا تركوا القصد والهدى: اجتالهم الشيطان. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (ج ول)، (ج ٢٨ / ص ٢٤٩).

(٤) **الحموية**، (ص ٢١٩).

(٥) هذا فحوى كلام ابن تيمية والنص في «الحموية» ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو

فَنَقُول إِن أردت بالسلف سلف المشبهة، كَمَا سَيَأْتِي فِي كلامك، فَرُبمَا قاربت، وَإِن أردت سلف الأمة الصَّالِحين، فَلَا حرفًا وَلَا شطر حرف، وَهَا نَحن مَعَك فِي مقَام مقَام ومضمار مضمار، بحول الله وقوته.

ثمَّ قلت لَيسَ فِي كتاب الله تَعَالَى وَلَا سنة رَسُوله وَلَا عَن أحد من سلف الأمة لَا من الصَّحَابَة وَلَا من التَّابِعين حرف وَاحِد يُخَالف ذَلِك لَا نَص وَلَا ظَاهر[1].

قُلنَا: وَلَا عَنهُم كَمَا ادعيت أَنت وَلَا نَص وَلَا ظَاهر وَقد صدرت أَولًا[2] أَنَّك تَقول مَا قَالَه الله وَرَسُوله وَالسَّابِقُونَ الأَولونَ من المُهَاجِرين وَالأَنصَار، ثمَّ دارت الدائرة على أَن المُرَاد بالسابقين الأَوَّلين من المُهَاجِرين وَالأَنصار مَشَايِخ عقيدتك، وعزلت العشَرَة[3] وَأهل بدر وَالحُدَيبِيَة عَن السّلف، وَالتَّابِعِينَ عَن المُتَابَعَة، وتولي هَؤُلَاءِ لَا غير ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [سورة الأنعام].

ثمَّ قَولك لم يقل أحد مِنهُم إِنَّه لَيسَ فِي غير السَّمَاء وَلَا إِنَّه لَيسَ على العَرش وَلَا إِنَّه فِي كل مَكَان وَلَا إِن جَمِيع الأَمكِنَة بِالنِّسبَةِ إِلَيهِ سَوَاء وَلَا إِنَّه دَاخل العَالم وَلَا خَارجه وَلَا مُتَّصِل وَلَا مُنفَصِل[4].

جمع لبلغ مئات أو ألوفًا. **الحموية**، (ص ٢١٩).

(١) **الحموية**، (ص ٢٢٠).

(٢) إشارة إلى قول ابن تيمية في صدر «الحموية» (ص ٧٧).

(٣) أي العشرة المبشرون بالجنة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح.

(٤) **الحموية**، (ص ٢٢٠-٢٢١).

قُلنَا لقد عممت الدَّعوَى فَذكرت مَا لم تحط بِهِ علمًا وَقد ذكرنَا لَك عَن جَعْفَر الصَّادِق والجنيد والشبلي وجعفر بن نصير وَأبي عُثمَان المغربي رَضِي الله عَنهُم مَا فِيهِ كِفَايَة فَإِن طعنت فِي نقلنا أَو فِي هَذِه السَّادة، طَعنا فِي نقلك وفيمن أسندت إِلَيْهِ من أهل عقيدتك خَاصَّة فَلم يوافقك على مَا ادعيته غَيرهم[١][٢].

---

(١) **الخلاصة**: ابن تيمية عليه من الله ما يستحق يستدل بحجج وأدلة واهية ضعيفة ليثبت أن الله في جهة فوق جهة العلو، وابن جهبل رحمه الله بيَّن أن كل ذلك الذي ذكره ابن تيمية ليس حجة وليس فيه تصريح أن الله في السماء أو في جهة فوق، وأن ما حاول ابن تيمية أن يخوض فيه في اللغة لإثبات مذهبه غير وارد هنا كما بين ابن جهبل، وأظهر ابن جهبل تناقض ابن تيمية حيث تمسك بظاهر آية الاستواء وحديث الأوعال الموضوع وغير ذلك من النصوص لإثبات جهة فوق لله مع ورود آيات أخرى يتوهم سيئ الفهم من ظاهرها أن الله معنا أينما كنا وأنه في السماء وأنه فوق كل صاحب علم وفوقنا وقرب راحلة أحدنا وقبل وجه المصلي، وكل تلك النصوص التي فسرها ابن تيمية على غير وجهها والنصوص المتشابهة الأخرى حمله علماء أهل السنة على وجهها اللائق الذي لا يوهم تشبيهًا ولا تجسيمًا، وبينوا ما فيها من المعاني التي تفيد أن الله مالك للعباد قاهر للعباد عالم بالعباد لا يخفى عليه شيء ومعهم بالحفظ والكلاءة والنصر لا على ما توهمه أصحاب الفهم السقيم كالمشبهة والوهابية والجهلة، وأضاء ابن جهبل كذلك على تناقض ابن تيمية في أقواله وأنه ما اتبع إلا أسلافه من المشبهة وما اتبع النبي ولا الصحابة ولا التابعين من الصالحين.

(٢) **فائدة**: ليعلم أن المسلمين اتفقوا على أن الله تعالى لا يحلُّ في مكان ولا يحويه مكان ولا يسكن السماء ولا يسكن العرش، لأن الله تعالى موجود قبل العرش وقبل السماء وقبل المكان، ويستحيل على الله التغيّر من حال إلى حال ومن صفة إلى صفة أخرى، فهو تبارك وتعالى كان موجودًا في الأزلِ بلا مكان، وبعد أن خلق المكان لا يزال موجودًا بلا مكان.

وليُعلم أن أهل الحديث والفقه والتفسير واللغة والنحو وعلماء الأصول، وعلماء المذاهب الأربعة من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ـ إلا من لحق منهم بأهل التجسيم ـ والصوفية الصادقين كلهم على عقيدة تنزيه الله عن المكان، إلا أن المشبهة ومنهم نفاة التوسل شذّوا عن هذه العقيدة الحقة فقالوا إن الله يسكن فوق العرش بذاته والعياذ بالله تعالى.

وممن نقل إجماع أهل الحق على تنزيه الله عن المكان الشيخ عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي المتوفى ٤٢٩ هجري، فقد قال ما نصه: «وأجمعوا ـ أي أهل السنة والجماعة ـ على أنه ـ أي الله ـ لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان». **الفرق بين الفِرَق**، أبي منصور البغدادي، (ص ٣٣٣).

وقال المفسّر الشيخ فخر الدين الرازي المتوفى ٦٠٦ هجري، ما نصه: «انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيّز». **تفسير الرازي**، (ج ٢٩ / ص ٢١٦).

وقال الشيخ إسماعيل الشيباني الحنفي ٦٢٩ هجري، ما نصه: «قال أهل الحق: إن الله تعالى متعالٍ عن المكان، غيرُ متمكّنٍ في مكان، ولا متحيز إلى جهة خلافًا للكرّامية والمجسمة». انظر شرحه على العقيدة الطحاوية المسمى «بيان اعتقاد أهل السنة» (ص ٤٥).

وقال سيف الدين الآمدي المتوفى ٦٣١ هجري، ما نصه: «وما يُروى عن السلف من ألفاظ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن إجرائها على ظواهرها والإيمان بتنزيلها وتلاوة كل ءاية على ما ذكرنا عنهم، وبيَّن السلف الاختلاف في الألفاظ التي يطلقون فيها، كل ذلك اختلاف منهم في العبارة، مع اتفاقهم جميعًا في المعنى أنه تعالى ليس بمتمكن في مكان ولا متحيّز بجهة». **غاية المرام في علم الكلام**، الآمدي، (ص ١٩٤).

وقال الشيخ محمد مَيّارة المالكي المتوفى ١٠٧٢ هجري، ما نصه: «أجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له، فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف». **الدر الثمين**، أحمد ميارة المالكي، (ص ٣٠).

ثمَّ إِنَّك أَنت الَّذِي قد قلت مَا لم يقلهُ الله وَلَا رَسُوله وَلَا السَّابِقُونَ الأَولونَ من المُهَاجِرين وَالأَنصار وَلَا من التَّابِعين وَلَا من مَشَايِخ الأمة الَّذين لم يدركوا الأَهوَاء فَمَا نطق أحد مِنهُم بِحرف فِي أَن الله تَعَالَى فِي جِهَة العُلُوّ. وَقد قلت وصرحت وبحثت وفهمت بِأَن مَا ورد من أَنه فِي السَّمَاء وَفَوق السَّمَاء وَفِي العَرش وَفَوق العَرش المُرَاد بِهِ جِهَة العُلُوّ.

فَقل لنا من قَالَ هَذَا؟ هَل قَالَه الله أَو رَسُوله أَو السَّابِقُونَ الأَولونَ من المُهَاجِرين وَالأَنصَار أَو التَّابِعين لَهُم بِإِحسَان؟ فَلم تهول علينا بالأمور المغمغمة[1] وَبِاللَّهِ المُستَعَان.

وقال الشيخ سلامة القضاعي العزامي الشافعي المتوفى ١٣٧٦ هجري، ما نصه: «أجمع أهل الحق من علماء السلف والخلف على تنزه الحق ـ سبحانه ـ عن الجهة وتقدسه عن المكان». **فرقان القرءان**، مطبوع مع كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، (ص ٩٣).

وممن نقل الإجماع على ذلك في مواضع كثيرة من مؤلفاته ودروسه المتكلم على لسان السلف الصالح العلّامة الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحَبَشي فقال ما نصه: «قال أهل الحق نصرهم الله: إن الله سبحانه وتعالى ليس في جهة» انتهى، فالحمد لله على ذلك. وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الأهواء بقوله: «وإنه سيخرج من أمتي أقوامٌ تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه ـ الكَلَب داء يعرض للإنسان فيصيبُه شِبه الجنون ـ لا يبقى منه عرقٌ ولا مفصلٌ إلا دخله» رواه أبو داود. **سنن أبي داود**، كتاب السنة، باب شرح السُّنة، **إظهار العقيدة السنية**، الهرري، (ص ١٢٧).

(١) أي قولك الله في جهة فوق لم يقله مسلم موحد وأنت تهول علينا أهل السنة قولنا بالتنزيه وعلى زعمك ترد علينا بشبهك المغمغمة أي المختلطة غير الواضحة.

ثمَّ استدلَّ[1] على جوَاز الإشَارَة الحسية إِلَيهِ بالأصابع وَنحوهَا بِمَا صَحَّ أَنه صلى الله عَلَيهِ وَسلم فِي خطبَة عَرَفَات جعل يَقُول: «أَلا هَل بلغت» فَيَقُولُونَ نعم فيرفع أُصبُعه إِلَى السَّمَاء وينكتها إِلَيهِم وَيَقُول: «اللَّهُمَّ اشهَد» غير مرّة[2][3].

---

(١) **الحموية**، (ص ٢٢١).

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**» بتخفيف اللام في «أَلَا» كأنه قال ألا يا قوم هل بَلَّغتُ أي هل عَمِلتُ بمقتضى قول الله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[سورة المائدة]، فأجابوه: «نَعَم» أي قَد بَلَّغتَ يا رسول الله. و«أَلَا» حرف استِفتاح فيه معنَى الحَثُّ على سماع ما يأتي نظير ما في «ها» التَّنبِيه مِن أسماء الإشارة نحو: هاأنتم.

وسؤاله ﷺ لهم هو استِفهامٌ تَقرِيريٌّ و«هل» فيه بمعنَى «قَد» أي الاستفهام خارِجٌ في ذلك مخرجَ التَّقرِيرِ والتأكيدِ وذلك أبلَغُ وأَوْقَع في النَّفسِ، وكأنّه ﷺ قال: قَد بَلَّغْتُكم ما أُمِرتُ بِتَبلِيغه لَكُم فَلا عُذرَ لَكُم بعد ذَلِك إن خَالَفتُم إذْ لم يَقَعْ مِنِّي تقصِيرٌ في التَّبلِيغ.

قوله: «**مَرَّتَين**» أو قال: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**» مَرَّتين، وفي رِواية: «**ثلاثًا**»، وفي رواية بلا تحديد عَدَدٍ أي مَرَّةً واحِدةً، ومعناه أنه قال: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**» مرتين لا أنه قال الجميعَ مَرَّتين إذْ لم يَروِ ذلك أحَدٌ مِمَّن يُعتَدُّ به، وانتصابُ: «**مَرَّتَين وثلاثًا**» على أنه صفة لمصدَرٍ محذوف أي قاله قولًا مَرَّتَين أو ثلاثًا.

قوله: «**اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ**» أي على عِبادِك، فإنّهم أَقرُّوا بأَنِّي قَد بَلَّغتُهم رِسالَتَك، وفي روايةٍ أنّه قال ذلك ثَلاثًا.

ولا حجة ولا دليل لابن تيمية أن يقول رفع الأصبع دليل أن الله في السماء، السماء مهبط الرحمات وموضع مشرف وهي مسكن الملائكة.

(٣) **صحيح ابن حبان**، (ج ٤/ص ٣١٢) و**المعجم الكبير**، للطبراني (ج ٢٢ / ص ٣٥٦).

وَمن أَي دلَالَة[1] يدل هَذَا على جَوَاز الإِشَارَة إِلَيهِ هَل صدر مِنهُ صلى الله عَلَيهِ وَسلم إِلَّا أَنه رفع أُصبُعه ثمَّ نكتها إِلَيهِم هَل فِي ذَلِك دلَالَة على أَن رَفعه كَانَ يُشِير بِهِ إِلَى جِهَة الله تَعَالَى[2].

وَلَكِن هَذَا من عظم مَا رسخ فِي ذهن هَذَا المُدَّعِي من حَدِيث الجِهَة حَتَّى إِنَّه لَو سمع مَسأَلَة من عويص الفَرَائِض والوصايا وَأَحكَام الحيض لقَالَ هَذِه دَالَّة على الجِهَة[3].

---

(١) مراد ابن جهبل نفي استدلال ابن تيمية برفع النبي أصبعه لإثبات الجهة في حق الله، أي لا دلالة في ذلك.

(٢) قال الحافظ الفقيه اللُّغوي السيد محمد مرتضى الزَّبيدي الحنفي المتوفى ١٢٠٥ هجري، ما نصه: «وإنما اختُصّت السماء برفع الأيدي إليها عند الدعاء لأنها جُعِلَت قِبلة الأدعية كما أن الكعبة جُعِلَت قِبلة للمصلي يستقبلها في الصلاة، ولا يقال إن الله تعالى في جهة الكعبة». **إتحاف السادة المتقين**، مرتضى الزَّبيدي، (ج ٢ / ص ٢٥).

وقال أيضًا: «فأما رفع الأيدي عند السؤال والدعاء إلى جهة السماء فهو لأنها قِبلة الدعاء كما أن البيت قِبلة الصَّلاة يُستقبَل بالصدر والوجه، والمعبودُ بالصلاة والمقصودُ بالدعاء ـ وهو الله تعالى ـ منـزه عن الحلول بالبيت والسماء؛ وقد أشار النسفي أيضًا فقال: ورفع الأيدي والوجوه عند الدعاء تعبُّد محض كالتوجّه إلى الكعبة في الصلاة، فالسماء قِبلة الدعاء كالبيت قِبلة الصلاة». **إتحاف السادة المتقين**، مرتضى الزَّبيدي (ج ٢ / ص ٢٥).

وقال العلّامة المحدث الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي ما نصه: «ورفعُ الأيدي والوجوه إلى السماء عند الدعاء تعبُّدٌ محضٌ كالتوجّه إلى الكعبة في الصلاة، فالسماء قِبلة الدعاء كالبيت الذي هو قِبلة الصلاة». **إظهار العقيدة السنية**، الهرري، (ص ١٢٨).

(٣) ابن جهبل هنا يكشف حال ابن تيمية وأنه مموه متعصب لرأيه الفاسد يحاول قصارى جهده أن ينصر عقيدته الفاسدة بأضعف وأوهن الأدلة، فلو وردت أحاديث تبين بعض

ثمَّ أَتَى[1] بالطامَّة الكُبرَى[2] والداهية الدهياء[3] وَقَالَ: فَإِن كَانَ الحق مَا يَقُوله هَؤُلَاءِ السَّابِقُونَ النافون من هَذِه العبارَات وَنَحوهَا، دون مَا يفهم من الكتاب وَالسّنة، إِمَّا نصًّا أَو ظَاهرًا، كَيفَ يجوز على الله تَعَالَى ثمَّ على رَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم ثمَّ على خير الأمة أَنهم يَتَكَلَّمُونَ دَائِمًا بِمَا هُوَ نَص أَو ظَاهر فِي خلاف الحق؟ ثمَّ الحق الَّذِي يجب اعتِقَاده لَا يبوحون بِهِ قطّ وَلَا يدلون عَلَيهِ لَا نصًّا وَلَا ظَاهرًا، حَتَّى يَجِيء أَنبَاط الفرس وَالروم وأفراخ[4] الهنود يبينون للأمة العقيدة الصَّحِيحَة الَّتِي يجب على كل مكلف أَو فَاضل أَن يعتقدها. لَئِن كَانَ مَا يَقُوله هَؤُلَاءِ المتكلمون المتكلفون هُوَ الِاعتِقَاد الوَاجِب، وهم مَعَ ذَلِك أحيلوا على مُجَرّد عُقُولهم، وَأَن يدفعوا لمقتضى قِيَاس عُقُولهم مَا دلّ عَلَيهِ الكتاب وَالسّنة، نصًّا أَو ظَاهرًا، لقد كَانَ ترك النَّاس بِلَا كتاب وَلَا سنة أهدى لَهُم وأنفع على هَذَا التَّقدِير، بل كَانَ وجود الكتاب وَالسّنة ضَرَرًا مَحضًا فِي أصُول الدّين، فَإِن حَقِيقَة الأَمر على مَا يَقُوله هَؤُلَاءِ أَنكُم يَا معاشر العباد لَا تَطلُبُوا معرفَة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَا يستَحق من الصِّفَات نفيًا وَلَا إِثبَاتًا لَا من الكتاب وَلَا من السّنة، وَلَا من طَرِيق سلف

أحكام المواريث أو قضايا النساء وطهارتهن صرفها إلى إثبات الجهة في حق الله تعالى مكرًا منه وتلبيسًا على العامة.

(١) ابن تيمية.

(٢) أي أتى بأكبر الذنوب وهو الكفر البواح الصريح الفظيع، ولم يقصد المعنى المراد من الآية: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤﴾ [سورة النازعات]، المراد بها صيحة القيامة.

(٣) أي الأمر العظيم من الدواهي والبلايا.

(٤) جمع فرخ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة (ف ر خ)، (ص ٢٣٦).

الأمة، وَلَكِن انظُرُوا أَنتُم فَمَا وجدتموه مُستَحقًّا لَهُ من الصِّفَات فصفوه بِهِ، سَوَاء كَانَ مَوجُودًا فِي الكتاب وَالسّنة أَو لم يكن، وَمَا لم تَجِدُوهُ مُستَحقًّا لَهُ فِي عقولكم، فَلَا تصفوه بهَا»[1][2].

ثمَّ قَالَ[3] هما فريقان أَكثَرهم يَقُول: «مَا لم تثبته عقولكم فانفوه». وَمِنهُم من يَقُول: «بل توقفوا فِيهِ وَمَا نَفَاهُ قِيَاس عقولكم الَّذِي أَنتُم فِيهِ مُختَلفُونَ ومضطربون اختِلَافًا أَكثر من جَمِيع اختِلَاف على وَجه الأَرض، فانفوه، وَإِلَيهِ عِند التنازع فَارجِعُوا، فَإِن الحق الَّذِي تعبدتكم بِهِ وَمَا كَانَ مَذكُورًا فِي الكتاب وَالسّنة مِمَّا يُخَالف قياسكم هَذَا أَو يثبت مَا لم تُدرِكهُ عقولكم على طَرِيقَة أَكثَرهم، فاعلموا أنني امتحنتكم بتنزيله لَا لِتَأخُذُوا الهدى مِنهُ لَكِن لتجتهدوا فِي تخرِيجه على شواذ اللُّغَة، وَوَحشِي الأَلفَاظ، وغرائب الكَلَام، أَو تسكتوا عَنهُ مفوضين علمه إِلَيّ»، هَذَا حَقِيقَة الأَمر على رَأي المُتَكَلِّمين[4].

هَذَا مَا قَالَه وَهُوَ الموضع الَّذِي صُرع فِيهِ وتخبَّطه الشَّيطَان من المسّ.

فَنَقُول: مَا تَقول فِيمَا ورد من ذكر العُيُون بِصفة الجمع؟ وَذكر الجنب؟ وَذكر السَّاق الوَاحِد؟ وَذكر الأَيدِي؟ فَإِن أَخذنَا بِظَاهِر هَذَا يلزمنَا إِثبَات شخص لَهُ وَجه وَاحِد وعَلَيهِ عُيُون كَثِيرَة وَله جنب وَاحِد، وَعَلِيهِ أيد كَثِيرَة، وَله سَاق وَاحِد. فَأَي

---

(١) **الحموية**، (ص ٢٢١-٢٢٤).

(٢) هذا حال ابن تيمية قياسه الهوى والرأي والأهواء والآراء ليست حجة في الدين ولا يبنى عليها.

(٣) ابن تيمية.

(٤) **الحموية**، (ص ٢٢٤-٢٢٥).

شخص يكون فِي الدُّنيَا أبشع من هَذَا. وَإِن تصرفت فِي هَذَا بجمع وتفريق بالتأويل فَلم لَم يذكره الله وَرَسُوله وَسلف الأمة[1].

وَقوله تَعَالَى فِي الكتاب العَزِيز: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[2] [سورة النور] فكل عَاقل يعلم أَن النُّور الَّذِي على الحِيطَان والسقوف وَفِي الطّرق والحشوش لَيسَ هُوَ الله تَعَالَى وَلَا قَالَت المَجُوس بذلك، فَإِن قلت بِأَنَّهُ هادي السَّمَوَات وَالأَرض ومنورها فَلم لَا قَالَه الله تَعَالَى وَلَا رَسُوله وَلَا سلف الأمة[3].

---

(١) تبكيت من ابن جهبل لابن تيمية، ابن جهبل تساءل ماذا تفعل بباقي النصوص؟ هل تأخذ كل النصوص على ظاهرها؟؟ هل تقول لله ساق حقيقة وعيون حقيقة وجنب واحد؟؟ أم أنك تؤول هذه وتأخذ بظاهر النصوص التي تفيد الجهة في حق الله والعياذ بالله!! ومن من السلف أو العلماء قال أن تلك النصوص تفيد الجهة؟ أنت يا ابن تيمية أتيت بدين جديد وأنت متلاعب بالنصوص مداهن ما وافقت أهل السنة في تأويلها النصوص المتشابهة وردها إلى المحكم وإلى نسبة ما يليق في حق الله.

(٢) قال الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله تعالى: «معناه الله منير السموات والأرض، وقال بعض العلماء الله هدى أهل السموات وبعض أهل الأرض من إنس وجن هداهم للإسلام، الإسلام والإيمان نور الله». قال ابن بطال: «فواجِبٌ صَرفُه عَن ظاهره لقيام الدَّليل على أنه لا يجوز أن يوصف بأنه نُور ـ بمعنى ضوء ـ، والمعنى أنتَ مُنَوِّرُ السَّماوات والأرض بأن خلَقتَهما دِلالة لعبادك على وُجودك ورُبُوبِيَّتِك بما فيهما مِن دلائل الحَدَثِ المفتَقِرَة إلى مُحدِثٍ، فكأنه نَوَّر السماوات والأرض بالدَّلائل عليه مِنهُما وجَعَل في قلوب الخلائق نُورًا يَهتَدُون به إلَيه».

(٣) لم يقل الله ولا الرسول ولا السلف أن الله نور كالضوء بل الذي ورد في تفسير الآية أن الله هادي أهل السموات وأهل الأرض.

وورد قوله تعَالَى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾[1] [سورة ق] وَذَلِكَ يقتَضِي أَن يكون الله دَاخل الزردمة[2] فَلم لَا بَيّنه الله وَلَا رَسُوله وَلَا سلف الأمة. وَقَالَ تعَالَى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾[3] [سورة العلق] وَمَعلُوم أَن التَّقَرُّب فِي الجِهَة لَيسَ إِلَّا بالمسافة، فَلم لَا بَينه الله تَعَالَى وَلَا رَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَلَا سلف الأمة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[4] [سورة البقرة] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[5] [سورة الفجر] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ [سورة النحل] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [سورة الأنبياء].

---

(١) معناهُ أنَّ الله تعالى أعلمُ بالعَبدِ من نفسِهِ هُوَ أعلمُ بنا من أنفسِنا، والوريدُ عرقانِ في الإنسانِ من جَانِبَي الرقبةِ ينزلانِ من الرَّأسِ ويتَّصلانِ بعرقِ القلبِ.

(٢) الزَّردَمَةُ مَوضِعُ الازدِرَامُ وَهُوَ الابتِلَاعُ. **مختار الصحاح**، الرازي، (ص ١٣٥).

(٣) أي اسجد لله وتقرب إلى رضاه أي اطلب رضاه. وقيل: دم على السجود والتقرب إلى الله حيث شئت.

(٤) قال شيخنا الهرري رحمه الله تعالى: «فثم قبلة الله، فيكون المعنى أن المسافر الذي يكون راكبًا على الدابة ويريد صلاة النفل أينما توجه، فأي، أي جهة يتوجه إليها هي قبلة الله، على هذا التفسير لا يكون فيه تشبيه الله بخلقه، وفيه دفع التناقض عن القرءان، أما هؤلاء الذين يحملون الآيات التي تدل على أنه في جهة فوق على ظواهرها ثم يعتقدون أن الله متحيز على العرش ويتركون الآيات الأخرى التي ظواهرها أنه هنا في الأرض هؤلاء تحكموا، اتبعوا أهواءهم ما اتبعوا الدليل، ما اتبعوا الدليل، بل اتبعوا أهواءهم».

(٥) قال شيخنا الهرري رحمه الله تعالى: «معناه تأتي عجائب قدرته العظيمة ذلك اليوم ليس معناه أن الله له حجم ينتقل من فوق إلى تحت. ثم الملائكة يجرون جزءًا من جهنم كبيرًا،

وَقَالَ صلى الله عَلَيهِ وَسلم حِكَايَة عَن ربه عز وَجل: «**من تقرب إِلَيّ شبرًا تقربت إِلَيهِ ذِرَاعًا وَمن تقرب إِلَيّ ذِرَاعًا تقربت مِنهُ باعًا وَمن أَتَانِي يمشي أَتَيته**

سبعون ألف ملك يجرونها بسبعين ألف سلسلة فيوصلونها إلى حيث يراها الكفار قبل أن يؤخذوا إلى جهنم، لو كان هناك موت لماتوا من الفزع، لكن لا يوجد موت. مهما تضايق الإنسان في الآخرة لا يموت. في الدنيا إذا تضايق الإنسان وتألم غايته الموت، أما في الآخرة فلا موت. فأهل السنة يقولون: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] أي في يوم القيامة تظهر عجائب قدرته، أما الوهابية فيقولون الله جسم يجيء، لا يجوز على الله أن يكون في مقابلة شيء من العالم إنما موجود بلا مكان إنما يسمعون كلامه يفهمون من كلامه فعلت كذا يوم كذا أنعمت عليك الوقوف بين يدي الله ليس معناه أن الله يكون في مقابل الخلق يوم القيامة كما يكون الإنسان في مواجهة الحاكم هذه عقيدة الكفر.

الجسم إما أن يكون منك قريبًا بالمسافة أو بعيدًا منك بالمسافة لا يقال هذا بالله المسافة للحجم الله ليس حجمًا، الذين يفهمون من كلمة بين يدي الله المواجهة يوم القيامة هؤلاء ما عرفوا الله جعلوه كالحاكم يكون مقابلين للمحكومين هذه صفة الخلق. الوهابية يفسرون القرءان تفسيرًا فاسد».

هرولة[1]»[2] وَمَا صَحَّ فِي الحَدِيث: «**أجد نفس الرَّحمَن من قِبَل اليَمَن**[3]»[4] وَمن قَوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم: «**الحجر الأسود يَمِين الله فِي الأَرض**[5]»[6] وَمن قَوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم حِكَايَة عَن ربه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: «**أَنا جليس من ذَكرنِي**[7]»[8][9].

---

(١) ومعنى أتيته هرولة أثيبه أكثر من عمله. الحركة والسكون وكل صفات الحدث لا تجوز على الله.

(٢) **سنن ابن ماجه**، (ج ٢ / ص ٢٥٥) و**مسند البزار**، (ج ١٣ / ص ٤١١).

(٣) قال الحافظ ابن الجوزي في الباز الأشهب: «النفس بمعنى التنفيس عن المكروب ومثله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني لأجد نفس ربكم من قبل اليمن» يعني تنفيسه عن المكروب بنصرة أهل المدينة إياي والمدينة من جانب اليمن». قال البيهقي: «قلت قوله إني لأجد نفس الرحمن من ههنا إن كان محفوظًا فإنما أراد إني أجد الفرج من قبل اليمن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

(٤) **المعجم الأوسط**، الطبراني، (ج ٥ / ص ٥٧) بلفظ: «وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُم مِن قِبَلِ اليَمَنِ».

(٥) حديث ضعيف ما له صحة. ومعناه محل عهده الذي أخذ به الميثاق على بني ءادم. وليس معناه أن الله له جارحة هي يمين كما للإنسان هذا لا يجوز على الله. الله منزه عن الجوارح والأعضاء.

(٦) **مصنف عبد الرزاق**، (ج ٥ / ص ٣٨).

(٧) قال شيخنا رحمه الله: «ما له أصل».

(٨) **مصنف ابن أبي شيبة**، (ج ١ / ص ١٠٨).

(٩) ذكر ابن جهبل رحمه الله هذه الآيات والنصوص لينبه القارئ على أمور منها:

وكل هَذِه هَل تأمن من المجسم أَن يَقُول لَك ظواهر هَذِه كَثْرَة تفوت الحصر أَضعَاف أَحَادِيث الجِهَة، فَإِن كَانَ الأَمر كَمَا يَقُول فِي نفي الجسمية مَعَ أَنه لم يَأْتِ فِي شَيْء من هَذِه الآيات والأحاديث مَا يبين خلاف ظواهرها، لَا عَن الله تَعَالَى، وَلَا عَن رَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم، وَلَا عَن سلف الأمة، فَحِينَئِذٍ يَكِيل لَك المجسم بصاعك، وَيَقُول لَك لَو كَانَ الأَمر كَمَا قلت لَكَانَ ترك النَّاس بِلَا كتاب وَلَا سنة أهدى لَهُم، وَإِن قلت: إِن العمومات قد بيّنت خلاف ظواهر هَذِه لم نجد مِنهَا نافيًا للجسمية إِلَّا وَهُوَ ناف للجهة.

ثمَّ مَا يؤمنك من تناسخي[1] يفهم من قَوله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [سورة الانفطار] مذهبه، [و] من معطل يفهم من قَوله تَعَالَى: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [سورة

١- ابن تيمية لم يحمل هذه الآيات والنصوص على ظواهرها وإلا لأدى ذلك إلى القول بأن الله معنا في كل مكان، فكما لم تحمل هذه على ظاهرها فلم أولت هنا ولم تؤول هناك هذا تلاعب قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ ٨٥﴾[سورة البقرة].

٢- ليس في ديننا نص ولا دليل أن الله في جهة فوق، لم يقله أحد.

٣- كما أنه لم يحمل هذه الآيات أحد من أهل السنة على ظاهرها ولم يأت عنهم القول بأن الله ضوء أو هو قرب الوريد قربًا حسيًا أو أينما ذهبنا لله وجه أمامنا أو أي ظاهر سيئ الفهم يحمله على القرب الحسي كما أنه لم يجئ عن أحد من السلف أنه قال الله في جهة فوق أو هو في السماء في جهة العلو أو فوق العرش أو جالس إلخ.

٤- أهل السنة لا تنسب إلى الله إلا ما يليق بحقه وليس في القرءان أو في ديننا أو بين الحديث والقرءان تناقض بل يتعاضدان.

(١) تناسخ الأرواح عقيدة فاسدة شاع أمرُها بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة مفادها أن روح الميّت تنتقل إلى كائن حيّ آخر وأصحاب هذه العقيدة لا يقولون بالبعث في الآخرة.

البقرة] مُراده، فَحِينَئِذٍ لَا تَجد مَساغًا لما تغص بِهِ[1] من ذَلِك إِلَّا الأَدِلَّة الخَارِجَة عَن هَذِه الأَلفَاظ[2]، ثمَّ صَار حَاصِل كلامك أَن مقَالَة الشَّافِعِيَّة وَالحَنفِيَّة والمالكية يلزمهَا أَن يكون ترك النَّاس بِلَا كتاب وَلَا سنة أهدى لَهُم، أفتراهم يكفرونك بذلك أم لَا.

ثمَّ جعلت أَن مُقتَضى كَلَام المُتَكَلِّمين أَن الله تَعَالَى وَرَسُوله وَسلف الأمة تركُوا العقيدة، حَتَّى بَيّنهَا هَؤُلَاءِ، فَقل لنا إِن الله وَرَسُوله وَسلف الأمة بَيّنوها، ثمَّ انقل عَنهُم أنهم قَالُوا كَمَا تَقول، إِن الله تَعَالَى فِي جِهَة العُلُوّ لَا فِي جِهَة السّفل، وَإِن الإِشَارَة الحسية جَائِزَة إِلَيهِ، فَإِذا لم تَجِد ذَلِك فِي كتاب الله تَعَالَى، وَلَا كَلَام رَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم، وَلَا كَلَام أحد من العشرَة، وَلَا كَلَام أحد من السَّابِقين الأَوَّلين من المُهَاجِرين وَالأَنصَار رَضِي الله عَنهُم، فعد على نَفسك باللائمة، وَقل لقد ألزمت القَوم بِمَا لَا يلزمهُم، وَلَو لَزِمَهُم لَكَانَ عَلَيك اللوم.

ثمَّ قلت عَن المُتَكَلِّمين إِنَّهُم يَقُولُونَ مَا يكون على وفق قِيَاس العُقُول فقولوه وَإِلَّا فانفوه[3].

وَسُمِّيَ قَومٌ مِن المُبتَدِعَةِ المتَنَاسِخَةَ لِأَنَّهُم زَعمُوا أَنَّ الأَروَاحَ تَنتَقِلُ مِن هَيكَلٍ إِلَى هَيكَلٍ وَمِن قَالِبٍ إِلَى قَالِبٍ. **البحر المحيط**، الزركشي (ج ٥ / ص ١٩٥).

(١) قَالَ ابنُ دُرَيدٍ الغُصَّةُ مَا اعتَرَض فِي الحَلقِ وَأَشرَقَ. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (غصص)، (ج ١٨ / ص ٥٥).

(٢) مراد العلّامة ابن جهبل أن يستبعد هذا المعنى الحسي ليستعمله في المعنويات فالرأي الذي لا يستريح إليه الغير لا يستطيع العقل أن يهضمه ويستسيغه، فيصاب بما يشبه الغصة عند من يزدرد الطعام أحيانًا.

(٣) **الحموية**، (ص ٢٣٠).

وَالقَوم لم يَقُولُوا ذَلِك، بل قَالُوا: صفة الكَمَال يجب ثُبُوتهَا لله وَصفَة النَّقص يجب نَفيهَا عَنهُ، كَمَا قَالَه الإِمَام أَحمد رَضِي الله عَنهُ، قَالُوا: وَمَا ورد من الله تَعَالَى وَمن رَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم فليعرض على لُغَة العَرَب، الَّتِي أرسل الله تَعَالَى مُحَمَّدًا بلغتهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [سورة إبراهيم] فَمَا فهمت العَرَب فافهمه[1]، وَمن جَاءَك بِمَا يُخَالِفهُ فانبِذ كَلَامه نبذ الحذاء المرقع، وَاضرِب بقوله حَائِط الحُشّى[2].

ثمَّ نعقد فصلًا إِن شَاءَ الله تَعَالَى بعد إِفسَاد مَا نزغ به فِي سَبَب وُرُود هَذِه الآيَات على هَذَا الوَجه فَإِنَّهُ إِنَّمَا تلقف مَا نَزغ بِهِ فِي مُخَالفَة الجَمَاعَة وأساء القَول على المِلَّة من حثالة المَلَاحِدَة الطاعنين فِي القُرءان، وسنبين إِن شَاءَ الله تَعَالَى ضلالهم وَيعلم إِذ ذَاك من هُوَ من فراخ الفلاسفة والهنود. ثمَّ لَو استحيي الغافل لعرف مِقدَار عُلَمَاء الأمة رَحِمهم الله تَعَالَى، ثمَّ هَل رأى من رد على الفلاسفة

(١) أي ما وافق العربية ولغة العرب يؤخذ به وما خالفها فلا يلتفت إليه ولا يبنى عليه شيء من القواعد والأحكام، فمن شروط المجتهد في الدين أن يكون ضليعًا بالعربية أي متقنًا لها بحيث إنه يحفظ مدلولات ألفاظ النصوص على حسب اللغة التي نزل بها القرءان ويعرف النحو والصرف والبلاغة. هذا في غير السليقي أما السليقي كالصحابة ومن كان مثلهم في كون كلامه مطابقًا للغة العربية على حسب أصولها وأساليبها فهو غني عن تعلم النحو والصرف لأنه مطبوع على النطق بالصواب في اللغة.

(٢) المكان الذي يتوضأ فيه، سمي به لأنهم كانوا يذهبون أولًا عند قضاء الحاجة للبساتين، أو إلى النخل المجتمع. وهذه الأماكن التي كانوا يذهبون إليها تسمى حُشى فنقل هذا المعنى إلى الأماكن التي خصصت لذلك بعد تخصيصها. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (ح ش ش)، (ج ١٧ / ص ١٤٦).

والهنود وَالروم وَالفرس غير هَؤُلَاءِ الَّذين جعلهم فراخهم، وَهل اتكلوا فِي الرَّد على هَذِه الطوائف على قوم لَا عقل لَهُم وَلَا بَصِيرَة وَلَا إِدرَاك، ثمَّ يذرونهم يستدلون على إِثبَات الله تَعَالَى فِي الحجَاج على منكره بِالنَّقلِ، وعَلى منكري النُّبُوَّة بِالنَّقلِ، حَتَّى يصير مُضغَة للماضغ وضحكة للمستهزئ وشماتة لِلعَدو وفرحًا للحسود، وَفِي قصَّة الحسن بن زِيَاد اللؤلُؤِي[1] عِبرَة للمعتبر.

ثمَّ أَخذ[2] بعد هَذَا فِي أَن الأُمُور العَامَّة إِذا نفيت عَنهَا إِنَّمَا يكون دلالتها على سَبِيل الإلغاز[3].

قُلنَا: وَكَذَلِكَ المجسم يَقُول لَك دلَالَة الأُمُور العَامَّة على نفي الجسمية إلغاز.

---

(١) الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي أبو علي قاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة أخذ عنه وسمع منه وكان عالمًا بمذهبه بالرأي. ولي القضاء بالكوفة سنة ١٩٤ هـ ثم استعفى. من كتبه أدب القاضي ومعاني الإيمان والنفقات والخراج والفرائض والوصايا والأمالي. نسبته إلى بيع اللؤلؤ. وهو من أهل الكوفة نزل ببغداد. وعلماء الحديث يطعنون في روايته. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (ج ٨ / ص ٢٧٥). وكذبه ابن معين وأبو داود في الحديث. **ديوان الضعفاء**، ابن حجر العسقلاني، (ص ٨٠).

(٢) ابن تيمية.

(٣) ألغز في كلامه يلغز إلغازًا إذا ورى فيه وعرض ليخفى. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف الزين / فصل اللام)، (ج ٥ / ص ٤٠٥).

ثمَّ قَالَ[1] بعد هَذَا يَا سُبحَانَ الله كَيفَ لم يقل الرَّسُول صلى الله عَلَيهِ وَسلم يَومًا منَ الدَّهر وَلَا أحد من سلف الأمة هَذِه الآيَات وَالأَحَادِيث لَا تعتقدوا مَا دلّت عَلَيهِ[2].

فَيُقَال لَهُ مَا الَّذِي دلّت عَلَيهِ حَتَّى يَقُول إِنَّه لَا يُعتَقد؟ هَذَا تشنيع بحت.

ثمَّ يَقُول لَك المجسم يَا سُبحَانَ الله لم لم يقل رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَلَا أحد من سلف الأمة إِن الله تَعَالَى لَيسَ بجسم وَلَا قَالُوا لَا تعتقدوا من الأَحَادِيث الموهمة للجسمية ظواهرها.

ثمَّ استدلَّ[3] بقوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم فِي صفة الفرقَة النَّاجِية: «**هُوَ من كَانَ على مثل مَا أَنا عَلَيهِ اليَوم وأصحابي**»[4] قَالَ المُدَّعِي: فَهَلا قَالَ من تمسك بِظَاهِر القُرءان فِي آيَات الِاعتِقَاد فَهُوَ ضال وَإِنَّمَا الهدى رجوعكم إِلَى مقاييس عقولكم[5][6].

---

(١) ابن تيمية.

(٢) **الحموية**، (ص ٢٢٩).

(٣) **الحموية**، (ص ٢٣١).

(٤) **المعجم الأوسط**، الطبراني، (ج ٨ / ص ٢٢).

(٥) **الحموية**، (ص ٢٣٢).

(٦) كان النبي وأصحابه على التنزيه ولم يكونوا على التجسيم وما أورده ابن تيمية هنا لا حجة له عليه، إنما ابن تيمية غلبه الوهم والتمسك بالشهوات فضل عن الحق وأضل خلقًا كثيرًا.

فَليَعلم النَّاظر أَنه هَا هُنَا باهت وزخرف وتشبع بِمَا لم يُعطه فَإِنَّهُ قد ثَبت أَن طَرِيق رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَأَصحَابه رَضِي الله عَنهُم الكَفّ عَن ذَلِك، وإنا نَحن الآمرون بِهِ، وَأَنه هُوَ لَيسَ بساكت، بل طَرِيقه الكَلَام، وَأمر الدهماء بِوَصف الله تَعَالَى بِجِهَة العُلُوّ وتجويز الإِشَارَة الحسية إِلَيهِ، فليت شعري من المُوَافق رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم وَأَصحَابه، وَلَكِن صدق القَائِل رمتني بدائها وانسلت[1].

ثمَّ المجسم نَقُول لَهُ حَذو النَّعل بالنعل مَا قَالَه لنا ونقول لَهُ لم لَا قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم النَّاجِية من قَالَ إِن الله فِي جِهَة العُلُوّ وَإِن الإِشَارَة الحسية إِلَيهِ جَائِزَة.

فَإِن قَالَ: هَذِه طَرِيقَة السّلف وَطَرِيقَة الصَّحَابَة، قُلنَا: من أَين لَك هَذَا؟ ثمَّ لَا تأمن من كل مُبتَدع أَن يَدعِي ذَلِك.

ثمَّ أَفَادَ المُدَّعِي[2] وَأسندَ أَن هَذِه المَقَالة مَأخُوذَة من تلامذة اليَهُود وَالمُشركين وضلال الصابئين. قَالَ فَإِن أول من حفظ عَنهُ هَذِه المَقَالة الجَعد بن دِرهَم[3]

---

(١) كَانَ سببُ ذَلِك أنّ سَعدَ بنَ زيدِ مَناةَ تزوّجَ رُهمَ بنتَ الخَزرَجِ بنِ تَيمِ الله وَكَانَت من أجملِ النساءِ فَوَلَدت لَهُ مالكَ بن سعدٍ وَكَانَ ضَرائرُها إِذا سابَبنَها يقُلنَ لَهَا يَا عَفلاء فَقَالَت لَهَا أُمُّها إِذا سابَبنَكِ فابدَئيهُنَّ بعِفالِ سُبِبتِ. فأرسَلَتها مثلًا فسابَّتها بعد ذَلِك امرأةٌ من ضرائِرِها فَقَالَت لَهَا رُهمُ يَا عَفلاء فَقَالَت ضَرَّتُها رَمَتني بدائِها وانسَلَّت. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (عفل)، (ج ٣٠ / ص ١٦).

(٢) ابن تيمية.

(٣) الجعد بن درهم من الموالي مبتدع له أخبار في الزندقة. سكن الجزيرة الفراتية. **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٢ / ص ١٠٥).

وَأخذهَا عَنهُ جهم بن صَفوَان[1] وأظهرها فنسبت مقالَة الجَهمِية إِلَيهِ، قَالَ والجعد أَخذهَا عَن أبان بن سمعَان وَأَخذهَا أبان من طالوت ابن أُخت لبيد بن الأعصم وَأَخذهَا طالوت من لبيد اليَهُودِيّ الَّذِي سحر النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم قَالَ وَكَانَ الجَعد هَذَا فِيمَا يُقَال من أهل حران[2].

فَيُقَال لَهُ: أَيهَا المُدَّعِي أَن هَذِه المَقَالة مَأخُوذَة من تلامذة اليَهُود قد خَالَفت الضَّرُورَة فِي ذَلِك، فَإِنَّهُ مَا يخفى على جَمِيع الخَواص وَكثير من العَوام أَن اليَهُود مجسمة مشبهة فَكيف يكون ضد التجسيم والتشبيه مأخوذًا عَنهُم.

وَأما المُشركُونَ فَكَانُوا عباد أوثان، وَقد بيّنت الأَئمَّة أَن عَبدة الأَصنَام تلامذة المشبهة وَأَن أصل عبَادَة الصَّنَم التَّشبِيه فَكيف يكون نَفيه مأخوذًا عَنهُم.

وَأما الصابئة[3] فبلدهم مَعرُوف وإقليمهم مَشهُور وَهل نَحن مِنهُ أَو خصومنا.

وَأما كَون الجَعد بن دِرهَم من أهل حران[4] فالنسبة صَحِيحَة وترتيب هَذَا السَّنَد الَّذِي ذكره سيسأله الله تَعَالَى عَنهُ، وَالله من وَرَائه بالمرصاد، وليت لَو أتبعه أَن سَنَد دَعوَاهُ وعقيدته أَن فِرعَون ظن أَن إِلَه مُوسَى فِي السَّمَاء[5].

---

(١) جهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز من موالي بني راسب رأس الجهمية.

(٢) **الحموية**، (ص ٢٣٢-٢٣٥).

(٣) الصَّابِئُونَ فِي قوله تعالى، الخارجون من دِينٍ إِلى دينٍ. يُقَال صَبَأَ فُلانٌ يَصبأُ إِذا خرجَ من دِينه وهم أيضًا قومٌ يَزعُمون أَنهم على دِين نُوح عَلَيهِ السَّلامُ بِكَذبِهم. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (صبأ)، (ج ١ / ص ٣٠٧).

(٤) بلد في جنوب تركيا.

(٥) خلاصة كلامه: يضيء ابن جهبل على ضعف ووهن عقيدة ابن تيمية ويظهر كذبه وافتراءاته على أهل السنة حيث سفههم وجهلهم وضللهم ونسبهم إلى فرق وجماعات ضالة

ثمَّ أضَاف[1] المقَالة إِلَى بشر (المريسي)[2] وَذكر أَن هَذِه التأويلات هِيَ الَّتِي أبطلتها الأَئمَّة، ورد بهَا على بشر، وَأَن مَا ذكره الأُستَاذ أَبُو بكر بن فورك[3] وَالإِمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ[4] قدّس الله روحهما[5] هُوَ مَا ذكره بشر.

وَهَذَا بهرج لَا يثبت على محك النّظر القويم، وَلَا معيار الفِكر المُستَقيم، فَإِنَّهُ من المحَال أَن تنكر الأَئمَّة على بشر أَن يَقُول مَا تقوله العَرَب، وَهَذَانِ الإمامان مَا

كاذبًا زاعمًا أنه هو على ما عليه الرسول والصحابة ولكن عقيدته أَن فِرعَون ظن أَن إِلَه مُوسَى فِي السَّمَاء فبنى من ذلك أن الله في السماء!!.

(١) أي ابن تيمية.

(٢) في بعض النسخ «المزني» وما أثبتناه هو الصواب. وهو بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي العَدَوي بالولاء أبو عبد الرحمن معتزلي عارف بالفلسفة يرمى بالزندقة. وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء وإليه نسبتها. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (ج ١ / ص ٢٧٧).

(٣) الإِمَامُ العلّامة الصَّالِحُ شَيخُ المُتَكَلِّمِين أَبُو بَكرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ فُورَكَ الأَصبَهَانِيّ. **دلائل النبوة**، البيهقي، (ج ١ / ص ١٠٢-١٠٣).

(٤) محَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحُسَين التَّيمِيّ البكرِيّ الإِمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ. انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ج ٨ / ص ٨١).

(٥) قال ابن تيمية في «الحموية»: «وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب «التأويلات» وذكرها أبو عبد الله محمد ابن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس» ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبي علي الجبّائي وعبد الجبار بن أحمد الهمذاني وأبي الحسين البصري وأبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي التي ذكرها في كتابه». **الحموية**، (ص ٢٤٥-٢٤٩).

وَأَخذهَا عَنهُ جهم بن صَفوَان[١] وأظهرها فنسبت مقَالَة الجَهمِية إِلَيهِ، قَالَ والجعد أَخذهَا عَن أبان بن سمعَان وَأَخذهَا أبان من طالوت ابن أُخت لبيد بن الأعصم وَأَخذهَا طالوت من لبيد اليَهُودِيّ الَّذِي سحر النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم قَالَ وَكَانَ الجَعد هَذَا فِيمَا يُقَال من أهل حران[٢].

فَيُقَال لَهُ: أَيهَا المُدَّعِي أَن هَذِه المَقَالة مَأخُوذَة من تلامذة اليَهُود قد خَالَفت الضَّرُورَة فِي ذَلِك، فَإِنَّهُ مَا يخفى على جَمِيع الخَوَاص وَكثير من العَوام أَن اليَهُود مجسمة مشبهة فَكيف يكون ضد التجسيم والتشبيه مأخوذًا عَنهُم.

وَأما المُشركُونَ فَكَانُوا عباد أوثان، وَقد بيّنت الأَئمَّة أَن عَبدة الأَصنَام تلامذة المشبهة وَأَن أصل عبَادَة الصَّنَم التَّشبِيه فَكيف يكون نَفيه مأخوذًا عَنهُم.

وَأما الصابئة[٣] فبلدهم مَعرُوف وإقليمهم مَشهُور وَهل نَحن مِنهُ أَو خصومنا.

وَأما كَون الجَعد بن دِرهَم من أهل حران[٤] فالنسبة صَحِيحَة وترتيب هَذَا السَّنَد الَّذِي ذكره سيسأله الله تَعَالَى عَنهُ، وَالله من وَرَائه بالمرصاد، وليت لَو أتبعه أَن سَنَد دَعوَاهُ وعقيدته أَن فِرعَون ظن أَن إِلَه مُوسَى فِي السَّمَاء[٥].

---

(١) جهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز من موالي بني راسب رأس الجهمية.

(٢) **الحموية**، (ص ٢٣٢-٢٣٥).

(٣) الصَّابِئُونَ فِي قوله تعالى، الخارجون من دِينٍ إلى دينٍ. يُقَال صَبَأَ فُلانٌ يَصبأُ إذا خرجَ من دِينه وهم أيضًا قومٌ يَزعُمون أَنهم على دِين نُوح عَلَيهِ السَّلامُ بِكَذبِهم. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (صبأ)، (ج ١ / ص ٣٠٧).

(٤) بلد في جنوب تركيا.

(٥) خلاصة كلامه: يضيء ابن جهبل على ضعف ووهن عقيدة ابن تيمية ويظهر كذبه وافتراءاته على أهل السنة حيث سفههم وجهلهم وضللهم ونسبهم إلى فرق وجماعات ضالة

ثمَّ أضَافَ[١] المقَالة إِلَى بشر (المريسي)[٢] وَذكر أَن هَذِه التأويلات هِيَ الَّتِي أبطلتها الأَئمَّة، ورد بهَا على بشر، وَأَن مَا ذكره الأُستَاذ أَبُو بكر بن فورك[٣] وَالإِمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ[٤] قدّس الله روحهما [٥] هُوَ مَا ذكره بشر.

وَهَذَا بهرج لَا يثبت على محك النّظر القويم، وَلَا معيار الفِكر المُستَقيم، فَإِنَّهُ من المحَال أَن تنكر الأَئمَّة على بشر أَن يَقُول مَا تَقوله العَرَب، وَهَذَانِ الإمامان مَا

كاذبًا زاعمًا أنه هو على ما عليه الرسول والصحابة ولكن عقيدته أَن فِرعَون ظن أَن إِلَه مُوسَى فِي السَّمَاء فبنى من ذلك أن الله في السماء!!.

(١) أي ابن تيمية.

(٢) في بعض النسخ «المزني» وما أثبتناه هو الصواب. وهو بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي العَدَوي بالولاء أبو عبد الرحمن معتزلي عارف بالفلسفة يرمى بالزندقة. وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء وإليه نسبتها. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (ج ١ / ص ٢٧٧).

(٣) الإِمَامُ العلّامة الصَّالِحُ شَيخُ المُتَكَلِّمِين أَبُو بَكرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ فُورَكَ الأَصبَهَانِيّ. **دلائل النبوة**، البيهقي، (ج ١ / ص ١٠٢-١٠٣).

(٤) محَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحُسَين التَّيمِيّ البكرِيّ الإِمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ. انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ج ٨ / ص ٨١).

(٥) قال ابن تيمية في «الحموية»: «وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب «التأويلات» وذكرها أبو عبد الله محمد ابن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس» ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبي علي الجبّائي وعبد الجبار بن أحمد الهمذاني وأبي الحسين البصري وأبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي التي ذكرها في كتابه». **الحموية**، (ص ٢٤٥-٢٤٩).

قَالَا إِلَّا مَا قالته العَرَب، وَمَا الإنكَار على بشر إِلَّا فِيمَا يُخَالف فِيهِ لُغَة العَرَب، وَأَن يَقُول عَنهَا مَا لم تقله.

ثمَّ أَخذ بعد ذَلِك فِي تَصدِيق عزوته إِلَى المُهَاجِرين وَالأَنصَار رَضِي الله عَنهُم وَشرع فِي النَّقل عَنهُم فَقَالَ: قَالَ الأَوزَاعِيّ[1] كُنَّا والتابعون متوافرون نقُول إِن الله تَعَالَى ذكره فَوق عَرشه[2].

فَنَقُول لَهُ أول مَا بدأت بِهِ الأَوزَاعِيّ وطبقته وَمن بعدهم فَأَينَ السَّابِقُونَ الأَولونَ من المُهَاجِرين وَالأَنصَار.

وَأما قَول الأَوزَاعِيّ فَأَنت قد خالفته وَلم تقل بِهِ لِأَنَّك قلت إِن الله لَيسَ فَوق عَرشه لِأَنَّك قررت أَن العَرش وَالسَّمَاء لَيسَ المُرَاد بهما إِلَّا جِهَة العُلُوّ وَقلت المُرَاد من فَوق عَرشه وَالسَّمَاء ذَلِك فقد خَالَفت قَول الأَوزَاعِيّ صَرِيحًا[3] مَعَ أَنَّك لم تقل قطّ مَا يفهم. فَإِن قررت أَن السَّمَاء فِي العَرش كحلقة ملقاة فِي فلاة، فَكيف تكون هِيَ هُوَ، ثمَّ من أَين لَك صِحَة هَذَا النَّقل عَن الأَوزَاعِيّ.

---

(١) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبكّ ونشأ في البقاع وسكن بيروت وتوفي بها. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، (ج ٢ / ص ٤٠٤).

(٢) **الحموية**، (ص ٢٩٦-٢٩٧).

(٣) أي خالفت يا ابن تيمية ما نسبته زورًا للأوزاعي وادعيت أنه قول له.

وَبعد مسامحتك[1] فِي ذَلِك كله مَا قَالَ الأَوزَاعِيّ الله فَوق العَرش حَقِيقَة فَمن أَين لَك هَذِه الزِّيَادَة.

وَنقل عَن مَالك بن أنس وَالثَّوري[2] وَاللَّيث[3] وَالأَوزَاعِيّ أَنهم قَالُوا فِي أَحَادِيث الصِّفَات أمروها كَمَا جَاءَت[4].

فَيُقَال لَهُ لم لَا أَمسَكت على مَا أمرت بِهِ الأَئمَّة بل وصفت الله بِجِهَة العُلُوّ وَلم يرد بذلك خبر وَلَو بذلت قرَاب[5] الأَرض ذَهَبًا على أَن تسمعها من عَالم رباني، لم

---

(١) مراده بعد مجاوزة وترك الرد عليك في ذاك يقول لن أسكت لك ولافترائك على الإمام الجليل الأوزاعي، أجب من أين نسبت للأوزاعي أنه قال ذلك.

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بني ثور بن عبد مناة من مضر أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى. وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيًا. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٤ / ص ١١١).

(٣) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهميّ أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره حديثًا وفقهًا. كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته. أصله من خراسان ومولده في قلقشندة ووفاته في القاهرة. وكان من الكرماء الأجواد. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٨ / ص ٤٥٩).

(٤) **الحموية**، (ص ٣٠٠).

(٥) وقِرابُ الشيء وقُرابُه وقُرابَتُه مَا قاربَ قَدرَه. وَفِي الحَدِيثِ: «**إِن لَقِيتَني بقُراب الأَرضِ خَطِيئَةً**» أَي بِمَا يقارِبُ مِلأَها وَهُوَ مصدرُ قارَبَ يُقارِبُ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف الباء / فصل القاف)، (ج ١ / ص ٦٦٤).

تفرح بذلك، بل تصرفت ونقلت على مَا خطر لَك، وَمَا أمررت وَلَا أَقررت وَلَا امتثلت مَا نقلته عَن الأَئمَّة[1].

---

(١) **فائدة:** المتَشابِهُ هُو ما لم تَتَضِح دِلالتُه أو يَحتَمِلُ أوجُهًا عَدِيدَةً واحتاجَ إلى النّظَر لِحَملِهِ على الوَجهِ المُطابِقِ كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه].

فالمتشابهُ هو الذي دِلالتُهُ على المرادِ غيرُ واضحةٍ، أو كان يحتمِلُ بحسبِ وضعِ اللغة العربيةِ أوجهًا عديدةً، واحتيج لمعرفةِ المعنى المرادِ منه لنظرِ أهلِ النّظرِ والفهمِ الذين لهم درايةٌ بالنُّصوصِ ومعانيها، ولهم درايةُ بلغةِ العربِ فلا تخفى عليهم المعاني إذ ليس لكلّ إنسانٍ يقرأ القرءان أن يفسّرهُ.

وليس المرادُ بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] أنه جالسٌ على العرشِ، ولا أنه مستقرٌ عليه ولا أن الله بإزاء العرشِ بل كلُّ هذا لا يليق بالله، نعتقدُ أن الله استوى استواءً على العرشِ يليقُ به ولا نعتقدُ بشيء من هذه الأشياءِ الجلوسَ والاستقرارَ والمحاذاةَ.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[سورة فاطر] أي أنّ الكَلِمَ الطّيبَ كَلا إلهَ إلا الله يصعَدُ إلى مَحلّ كَرامَتِه وهُوَ السَّماءُ، والعَمَلُ الصّالِحُ يرفَعُه أي الكلمُ الطيبُ يرفَعُ العمَلَ الصالحَ وَهذا مُنطَبِقٌ ومُنسَجِمٌ مَعَ الآية المحكمةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى]. هذا من المتشابهِ الذي يعلَمُ معناه الرّاسخونَ، فالكلمُ الطّيبُ هو كلا إله إلا الله والعملُ الصّالحُ يشمَلُ كلّ عملٍ صالحٍ يُتقرّبُ به إلى الله كنحو الصلاةِ والصدقةِ وصلة الرحمِ، فالمعنى أن كل ذلك يصعدُ إلى الله أي يتقبّلُهُ، هذا ليسَ فيه أن الله له حيّزٌ يتحيزُ فيه ويسكنُهُ. فالسماءُ محلُّ كرامةِ الله أي المكان الذي هو مشرّف عند الله، لأنها مسكنُ الملائكةِ، هذا التّفسيرُ موافق للآية المحكمة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى].

فَتَفسيرُ الآيات المتَشابِهَةِ يَجِبُ أن يُردّ إلى الآيات المحكَمَةِ، هذا في المتَشابِه الذي يجوزُ للعُلماءِ أن يعلَمُوهُ أي أن من أرادَ أن يُفسّرَ المتشابهَ يجبُ أَن يكونَ موافقًا للآياتِ

المحكماتِ كتفسيرِ الاستواءِ بالقهرِ فإنه موافقٌ للمحكماتِ، كذلك تفسيرُ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [سورة فاطر] بمحلِّ كرامتِهِ وهي السّماءُ موافقٌ للمحكمات.

فَهُنا مسلكانِ كلٌّ مِنهُما صَحِيحٌ والأوَّلُ مَسلَكُ السّلَفِ، وهُم أهلُ القُرونِ الثّلاثةِ الأُولى أي أكثرهم فإنهُم يُؤوّلونَها تأويلًا إجماليًا بالإيمانِ بها واعتِقادِ أنها ليست من صفاتِ الجسمِ، بل أنّ لَها مَعنًى يَليقُ بجَلالِ الله وعظمَتِهِ بلا تعيينٍ، بَل رَدُّوا تِلكَ الآيات إلى الآيات المحكَمَةِ كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى].

السلفُ مَن كان من أهلِ القرونِ الثلاثةِ الأولى قرنِ أتباعِ التّابعينَ وقرن التّابعينَ وقرن الصّحابةِ وهو قرن الرسولِ، هؤلاءِ يسمّون السلفَ ومن جاءوا بعدَ ذلكَ يسمّونَ الخلفَ، ومن العلماءِ من حدّ هذا بالمائتين والعشرين سنةً من مبعثِ الرّسولِ، ومنهم من حَدّ هذا بالمئاتِ الثلاثةِ الأولى. فالسّلفُ الغالبُ عليهم أن يؤوّلوا الآيات المتشابهة تأويلًا إجماليًا بالإيمانِ بها واعتقادِ أن لها معاني تليقُ بجلالِ الله وعظمتِهِ ليست من صفاتِ المخلوقينَ بلا تعيين كآيةِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] و﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [سورة فاطر] وحديثِ النزولِ بأن يقولوا بلا كيفٍ، أو على ما يليق بالله، أي من غير أن يكونَ بهيئةٍ، من غير أن يكونَ كالجلوسِ والاستقرارِ والجوارحِ والطُّولِ والعرضِ والعمقِ والمساحَةِ والحركةِ والسكونِ والانفعالِ مما هو صفةٌ حادثةٌ. هذا مَسلكُ السّلفِ رَدُّوها من حيثُ الاعتقادُ إلى الآيات المحكمةِ كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى] وتركوا تعيينَ معنى معيَّن لها مع نفي تشبيهِ الله بخلقِهِ.

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: «فمعتقد سلف الأئمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحول والحلول ليس كمثله شيء». **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٧ / ص ١٢٤).

وروى[1] قَول ربيعَة[2] وَمَالك الاستوَاء غير مَجْهُول[3].

فليت شعري من قَالَ إِنَّه مَجْهُول بل أَنت زعمت أَنه لِمَعنى عيّنته وَأَردت أَن تعزوه إِلَى الإِمَامَين وَنحن لَا نسمح لَك بذلك[4].

ثمَّ نَقَلَ عَن مَالك أَنه قَالَ للسَّائِل الإِيمَان بِهِ وَاجِب وَالسُّؤَال عَنهُ بِدعَة[5] وَمَا أَرَاك إِلَّا مبتدعًا فَأمر بِهِ فَأخرج[6].

---

(١) **الحموية**، (ص ٣٠٦).

(٢) ربيعة بن فرّوخ التيمي المدني أبو عثمان إمام حافظ فقيه مجتهد كان بصيرًا بالرأي وأصحاب الرأي عند أهل الحديث هم أصحاب القياس لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثًا او أثرًا فلقب ربيعة الرأي وكان من الأجواد. أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٣ / ص ٢٥٨).

(٣) أي أنه معلوم وروده في القرءان ومعناه عند أهل اللغة معلوم، ولا يعني أنه بمعنى الجلوس ولكن كيفية الجلوس مجهولة، كما زعم بعض المجسمة.

(٤) يشير العلّامة ابن جهبل إلى اتفاق العلماء على أن الاستواء معلوم ولكن ابن تيمية هو من فسره بأن الله في جهة فوق وأنه على العرش.

(٥) ومراد مالك رحمه الله: أن الاستواء لغة غير مجهول في دلالته اللغوية، لكن لاستحالة أن يكون المراد على حقيقته، فقال: الكيف منه غير معقول لأن العقل لا يمكن أن يتصور خالقًا في شكل صورة أو جسمٍ مستقرًا استقرار الأجسام على الأجسام، فذلك لا يتصوره العقل، وهذا ما قرر نفيه القاضي عبد الوهاب، وهذا الذي حمل الإمام مالكًا على الغضب من السائل والأمر بإخراجه ووصفه بالبدعة، إذ لا يرى مالك رحمه الله إلا الإمرار والتسليم.

(٦) النص في «الحموية» هو: منها ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحي بن يحي قال: كنّا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرُّحَضَاء ثم قال: «الاستواء غير

فيُقَال لَهُ لَيت شعري من امتثل منّا قَول مَالك هَل امتثلناه نَحن حَيثُ أمرنَا بالإمساك وألجمنا العَوام عَن الخَوض فِي ذَلِك، أَو الَّذِي جعله دراسته يلقيه ويلقنه ويكتبه ويدرسه وَيَأمُر العَوام بالخوض فِيهِ.

وَهل أنكر على المستفتي[1] فِي هَذِه المَسأَلَة بِعَينهَا وَأخرجه كَمَا فعل مَالك رَضِي الله عَنهُ فِيهَا بِعَينهَا، وَعند ذَلِك يعلم أَن مَا نَقله عَن مَالك حجَّة عَلَيهِ لَا لَهُ.

ثمَّ نقل[2] عَن عبد العَزِيز بن عبد الله بن أبي سَلمَة المَاجشون[3] أَنه قَالَ وَقد سُئِلَ عَمَّا جحدت بِهِ الجَهمِية: أما بعد فقد فهمت فِيمَا سَأَلت فِيمَا (للسامعت)[4] الجَهمِية وَمن خالفها فِي صفة الرب العَظِيم الَّذِي جلت عَظمته عن الوَصف وَالتَّقدِير، وكلّت الألسن عَن تَفسِير صفته، وانحسرت العُقُول دون معرفَة قدرته، ردَّت عَظمته العُقُول فَلم تَجِد مساغًا فَرَجَعت خاسئة وَهِي حسيرة،

مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا ثم أمر به أن يُخرج». **الحموية**، (ص ٣٠٥).

(١) يشير ابن جهبل إلى السائل الذي من أجله كتب ابن تيمية رسالته المسماة «الفتوى الحموية».

(٢) ابن تيمية.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة التيمي مولاهم المدني أبو عبد الله: فقيه من حفاظ الحديث الثقات. له تصانيف. كان وقورًا عاقلًا ثقة. أصله من أصبهان. نزل المدينة ثم قصد بغداد فتوفي فيها وصلى عليه الخليفة المهدي ودفن في مقابر قريش. وهو يعدّ من فقهاء المدينة. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ١١ / ص ٣٨٨).

(٤) هكذا وردت في المخطوطة، والمذكور في «الحموية»: تتابعت. **الحموية**، (ص ٣٠٨).

وَإِنَّمَا أمروا بِالنّظرِ والتفكر فِيمَا خلق بالتقدير، وَإِنَّمَا يُقَال كَيفَ لمن لم يكن مرّة ثمَّ كَانَ فَأَما الَّذِي لَا يحول وَلَا يَزُول وَلم يزل وَلَيسَ لَهُ مثل فَإِنَّهُ لَا يعلم كَيفَ هُوَ[1] إِلَّا هُوَ وَكَيف يعرف قدر من لَا يَمُوت وَلَا يبلى؟ وَكَيف يكون لصفة شَيْء مِنهُ حد أَو مُنتَهى يعرفهُ عَارِف أَو يحد قدره واصف؟ على أَنه الحق المُبين لَا حق أَحَق مِنهُ وَلَا شَيْء أبين مِنهُ.

وَالدَّلِيل على عجز العُقُول عَن تَحقِيق صفته، عجزها عَن تَحقِيق صفة أَصغَر خلقه فَلَا تكَاد تَرَاهُ صَغِيرًا يحول وَيَزُول وَلَا يرى لَهُ سمع وَلَا بصر بل مَا يتقلب بِهِ ويحتال من عقله أعضل بك، وأخفى عَلَيك مِمَّا ظهر من سَمعه وبصره، فَتَبَارَكَ الله أحسن الخَالِقِينَ، وخالقهم وَسيد السادات وربهم[2].

ثمَّ نقل[3] عَنهُ الأَحَادِيث الوَارِدَة فِي الصِّفَات[4] وَذكر قَوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾[5] [سورة الزمر]. قَالَ فوَاللَّه مَا دلهم على

---

(١) قال ابن تيمية في هذه الفقرة: «وَإِنَّمَا يُقَال كَيفَ لمن لم يكن مرّة ثمَّ كَانَ»، أي أن الكيفية هي من صفات المخلوقات لأن المخلوق هو من لم يكن مرة ثم كان. ثم قال في السطر الذي يليه «فَإِنَّهُ لَا يعلم كَيفَ هُوَ إِلَّا هُوَ»، فأثبت على زعمه الكيفية لله. ونقول: لا يقال عن الله كيف هو، فالله منزه عن الكيفية التي هي صفات المخلوقات.

(٢) **الحموية**، (ص ٣٠٧-٣١٠).

(٣) ابن تيمية.

(٤) **الحموية**، (ص ٣١٣-٣١٥).

(٥) أي تُفْنَى تبدل بيمينه على ما يليق به لا بمعنى الظاهر أو يقال بيمينه بقدرته وهذا الإفناء بمعنى الطيّ بعد أن تتكسر ويصير فيها فتحات، اليوم ما فيها فتحة فيها أبواب يوم القيامة تكون متشققة والملائكة على أطرافها ثم تلف.

عَظِيم مَا وصف من نَفسه وَمَا تحيط بِهِ قبضته إِلَّا صغر نظرها[1] مِنهُم عِندهم أَن ذَلِك الَّذِي أُلقي فِي روعهم وَخلق على معرفَة قُلُوبهم فَمَا وصف من نَفسه فَسَماهُ على لِسَان رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم سميناه كَمَا سَمَّاهُ، لم نتكلف مِنهُ صفة مَا سواهُ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، لَا نجحد مَا وصف، وَلَا نتكلف معرفَة مَا لم يصف[2].

وَبسط المَاجشون كَلَامه فِي تَقرِير هَذَا.

فَنَقُول لهَذَا الحَاكِي[3] نعم الحجَّة أتيت بهَا وَلَكِن لنا وَنعم السِّلَاح حملت وَلَكِن للعِدى[4].

أما كَلَام عبد العَزِيز رَضِي الله عَنهُ وَمَا ذكر من كبرياء الله وعظمته وَأَنَّهَا تحير العُقُول وتشده[5] الفهوم فَهَذَا قَالَه العلمَاء نظمًا ونثرًا، وَأَنت أزريت[6] على سَادَات الأَئمَّة وأعلام الأمة فِي ثَانِي صفحة نزغت بهَا[7] حَيثُ اعتَرَفُوا بِالعَجزِ وَالتَّقصِير ونعيت عَلَيهِم ذَلِك وعددته عَلَيهِم ذَنبًا، وَأَنت مَعذُور وهم

---

(١) في **الحموية**، (ص ٣١٥) «نظيرها».

(٢) **الحموية**، (ص ٣١٥-٣١٦).

(٣) أي لابن تيمية الذي بسط كلام الماجشون.

(٤) أي ما ذكرته يا ابن تيمية هو حجة عليك لا لك.

(٥) شُدِهَ الرجلُ دُهِشَ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف الهاء / فصل الشين المعجمة)، (ج ١٣ / ص ٥٠٦).

(٦) وزَرَى عَلَيهِ عَمَلَه إذا عابه وعَنَّفَه. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف و - ي / فصل الزاي)، (ج ١٤ / ص ٣٥٦).

(٧) **الحموية**، (ص ١٧٧).

معذورون[1]، وَجعلت قَول عبد العَزِيز حجتك وَقد ذكر فِي القبضة مَا يَقُوله المتكلمون فِي كل مَوضِع، وَأمر عبد العَزِيز أَن يصف الرب بِمَا وصف بِهِ نَفسه وَأَن يسكت عَمَّا وَرَاء ذَلِك، وَذَلِكَ قَولنَا وَفعلنَا وعقدنا[2]، وَأَنت وَصفته بِجِهَة العُلُوّ وَمَا وصف بهَا نَفسه وجوّزت الإِشَارَة الحسية إِلَيْهِ وَمَا ذكرهَا، وَنحن أمررنا الصِّفَات كَمَا جَاءَت وَأَنت جمعت بَين العَرْش وَالسَّمَاء بِجِهَة العُلُوّ، وَقلت فِي السَّمَاء حَقِيقَة، وَفِي العَرْش حَقِيقَة[3]. فسبحان واهب العُقُول وَلَكِن كَانَ ذَلِك فِي الكتاب مسطورًا[4].

ثمَّ ذكر عَن مُحَمَّد بن الحسن[5] اتِّفَاق الفُقَهَاء على وصف الرب بِمَا جَاءَ فِي القُرءان وَأَحَادِيث الصِّفَات[6].

---

(١) أي بزعمك أنت معذور وهم معذورون.

(٢) أي عقيدتنا.

(٣) **الحموية**، (ص ٥٢٠). بتصرف.

(٤) أشار ابن جهبل في هذا السياق الذي ساقه أن ابن تيمية ضعيف العقل والفهم وأن ذلك كان مقدرًا له في الأزل.

(٥) محمد بن الحسن بن فرقد من موالي بني شيبان أبو عبد الله: إمام بالفقه والأصول وهو الّذي نشر علم أبي حنيفة. أصله من قرية حرستة في غوطة دمشق وولد بواسط. ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله. ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه فمات في الري. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (ج ٤ / ص ١٨٤).

(٦) والنص في الحموية هو: وروى أبو القاسم اللالكائي ـ صاحب أبي حامد الإسفراييني ـ في «أصول السنة» بإسناده عن محمد بن الحسن ـ صاحب أبي حنيفة ـ قال: «اتفق الفقهاء كلهم

فَنَقُول لَهُ نَحن لَا نَترُك من هَذَا حرفًا وَأَنت قلت أصف الرب تَعَالَى بِجِهَة العُلُوّ وأُجوّز الإِشَارَة الحسية إِلَيهِ، فَأَينَ هَذَا فِي القُرءان وأخبار الثّقَات؟ مَا أفدتنا فِي الفتيا من ذَلِك شَيئًا.

وَنقل عَن أبي عبيد الله القَاسِم بن سَلام رَضِي الله عَنهُ[1] أَنه قَالَ إِذا سئلنا عَن تَفسِيرهَا لَا نفسرها[2] وَأَنه قَالَ مَا أدركنا أحدًا يُفَسِّرهَا[3].

من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرءان والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئًا من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جَهم فقد فارق الجماعة فإنه قد وصفه بصفة لا شىء» اهـ. **الحموية**، (ص ٣٢٨-٣٢٩).

والعجيب أن ابن تيمية يستشهد بهذا الكلام هنا ويصف في مكان ءاخر هذا المعتقد بأنه اعتقاد الجهمية.

(١) القاسم بن سلَّام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء الخراساني البغدادي أبو عُبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدبًا. ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة. ورحل إلى مصر سنة ٢١٣ وإلى بغداد فسمع الناس من كتبه. وحج فتوفي بمكة. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٨ / ص ٣١٥).

(٢) معناه لا نفسرها تفسيرًا تفصيليًّا كمذهب غالب السلف بل نؤولها تأويلًا إجماليًّا بِرَدّها إلى الآيات المحكمات وذلك بالإيمان بها واعتقادِ أنَّ لها معنًى يليق بجلال الله وعظمته بلا تعيينِ معنى ولا نفسرها على الظاهر المتبادر منها.

(٣) والنص في الحموية هو: وروى البيهقي وغيره بأسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: «هذه الأحاديث التي يقول فيها: «ضحك ربّنا من قنوط عباده وقرب غِيَره» «وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه فيها» «والكرسي موضع القدمين» وهذه الأحاديث في

فَنَقُول لَهُ الحَمد (لله)[1] حصل المَقصُود لَيت شعري من فسر السَّمَاء وَالعرش وَقَالَ مَعناهُمَا جِهَة العُلُوّ وَمن ترك تفسيرهما وَأمرهمَا كَمَا جَاءَا[2]؟

ثمَّ نقل عَن ابن المُبَارك رَضِي الله عَنهُ[3] أَنه قَالَ يعرف رَبّنَا بِأَنَّهُ فَوق سمائه على عَرشه بَائِن من خلقه وَلَا نقُول كَمَا تَقول الجَهمِية إِنَّه هَاهُنَا فِي الأَرض[4].

فَنَقُول لَهُ قد نَص[5] عبد الله أَنه فَوق سمائه على عَرشه فَهَل قَالَ عبد الله إِن السَّمَاء وَالعرش وَاحِد وَهِي جِهَة العُلُوّ.

«الرؤية» هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض غير أنّا إذا سُئلنا عن تفسيرها لا نفسرها وما أدركنا أحدًا يفسرها» اهـ **الحموية**، (ص ٣٢٩-٣٣٢).

(١) ساقطة من بعض النسخ.

(٢) أي فلتأت لنا بأحد من أهل السنة المعتبرين قال: المراد بالسماء والعرش العلو والله فوقهما!؟ من فسر النصوص هذه على المحمل الذي حملتها عليه؟! لن تجد أحدًا من أهل السنة فعل فعلتك، فما هو إلا دليل أنك يا ابن تيمية ضال مبتدع.

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء التميمي المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار حاجًّا ومجاهدًا وتاجرًا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان ومات بهيت على الفرات منصرفًا من غزو الروم. له كتاب في «الجهاد» وهو أول من صنف فيه و«الرقائق - خ» في مجلد. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٥ / ص ٣٨٢-٣٨٣).

(٤) **الحموية**، (ص ٣٣٣).

(٥) أي لو نص على ذلك كما تزعم وإلا فعبد الله بن المبارك لم ينص على ذلك ولا يعتقد الجهة في حق الله سبحانه وتعالى.

وَنقل عَن حَمَّاد بن زيد[1] أَنه قَالَ هَؤُلَاءِ الجَهمِية إِنَّمَا يحاولون أَن يَقُولُوا لَيسَ فِي السَّمَاء شَيء[2].

فَنَقُول لَهُ أَيضًا أَنت قلت بمقالتهم فَإِنَّك صرحت بِأَن السَّمَاء لَيسَ هِيَ ذَاتهَا بل المَعنى الَّذِي اشتقت مِنهُ وَهُوَ السمو وفسرته بِجِهَة العُلُوّ[3] فَالأولى لَك أَن تنعى على نَفسك مَا نعاه حَمَّاد على الجَهمِية.

وَنقل عَن ابن خُزَيمَة[4] أَن من لم يقل إِن الله فَوق سماواته على عَرشه بَائِن من خلقه وَجب أَن يُستَتَاب فَإِن تَابَ وَإِلَّا ضربت عُنُقه ثمَّ أُلقِي على مزبلة لِئَلَّا يتَأَذَّى بِهِ أهل القبلَة وَأهل الذِّمَّة[5].

فَيُقَال لَهُ الجَواب عَن مثل هَذَا قد تقدم على أَن ابن خُزَيمَة قد علم الخَاص وَالعَام كَلَامه فِي العقائد وَالكتاب الَّذِي صنفه فِي التَّشبِيه وَسَماهُ بِالتَّوحِيدِ ورد الأَئِمَّة عَلَيهِ أَكثر من أَن يذكر وَقَولهم فِيهِ مَا قَالَه هُوَ فِي غَيره مَعرُوف[6].

---

(١) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضميّ مولاهم البصريّ أبو إسماعيل: شيخ العراق في عصره. من حفاظ الحديث المجوّدين. يعرف بالأزرق. أصله من سبي سجستان ومولده ووفاته في البصرة. وكان ضريرًا طرأ عليه العمى يحفظ أربعة آلاف حديث. خرّج حديثه الأئمة الستة. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني (ج ٣ / ص ٩).

(٢) **الحموية**، (ص ٣٣٨). بتصرف.

(٣) **الحموية**، (ص ٥٠٥).

(٤) محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي أبو بكر. مولده ووفاته بنيسابور. رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر. **طبقات الحفاظ**، السيوطي، (ص ٣١٣).

(٥) **الحموية**، (ص ٣٣٦).

(٦) وقد رجع ابن خزيمة عن هذا الكتاب.

وَنقل عَن عباد الوَاسِطِيّ[1] وَعبد الرَّحمَن بن مهدي[2] وَعَاصِم بن عَلِيّ بن عَاصِم[3] نحوًا مِمَّا نَقله عَن حَمَّاد وَقد بيناه.

قال الحافظ البيهقي رحمه الله: وَأَخبَرَنَا أَبُو عَبدِ اللَّهِ الحَافِظُ، قَالَ: سَمِعتُ أَبَا الحَسَنِ عَلِيَّ بنَ أَحمَدَ الزَّاهِدُ البُوشَنجِيَّ يَقُولُ: دَخَلتُ عَلَى عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ بِالرَّيِّ فَأَخبَرتُهُ بِمَا جَرَى بِنَيسَابُورَ بَينَ أَبِي بَكرِ بنِ خُزَيمَةَ وَبَينَ أَصحَابِهِ، فَقَالَ: مَا لِأَبِي بَكرٍ وَالكَلَامِ؟ إِنَّمَا الأَولَى بِنَا وَبِهِ أَن لَا نَتَكَلَّمَ فِيمَا لَم نَتَعَلَّمهُ. فَخَرَجتُ مِن عِندِهِ حَتَّى دَخَلتُ عَلَى أَبِي العَبَّاسِ القَلَانِسِيِّ فَقَالَ: كَانَ بَعضُ القَدَرِيَّةِ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ وَقَعَ إِلَى مُحَمَّدِ بنِ إِسحَاقَ فَوَقَعَ لِكَلَامِهِ عِندَهُ قَبُولٌ. ثُمَّ خَرَجتُ إِلَى بَغدَادَ فَلَم أَدَع بِهَا فَقِيهًا وَلَا مُتَكَلِّمًا إِلَّا عَرَضتُ عَلَيهِ تِلكَ المَسَائِلَ، فَمَا مِنهُم أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُتَابِعُ أَبَا العَبَّاسِ القَلَانِسِيَّ عَلَى مَقَالَتِهِ، وَيَغتَمُّ لِأَبِي بَكرٍ مُحَمَّدِ بنِ إِسحَاقَ فِيمَا أَظهَرَهُ. قُلتُ: القِصَّةُ فِيهِ طَوِيلَةٌ، وَقَد رَجَعَ مُحَمَّدُ بنُ إِسحَاقَ إِلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ وَتَلَهَّفَ عَلَى مَا قَالَ وَاللَّهُ أَعلَمُ. **الأسماء والصفات**، للبيهقي (ج ٢ / ص ٢٣).

(١) عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله الكلابي الواسطي أبو سهل: من رجال الحديث. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٥ / ص ٩٩).

(٢) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري اللؤلؤي أبو سعيد: من كبار حفاظ الحديث وله فيه تصانيف. حدّث ببغداد ومولده ووفاته في البصرة. قال الشافعيّ: لا أعرف له نظيرًا في الدنيا. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٦ / ص ٢٧٩).

(٣) عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب التيمي بالولاء أبو الحسين: من حفاظ الحديث الثقات من أهل واسط مولدًا ووفاة. نزل بغداد وحدث فيها برحبة النخل في مسجد الرصافة وكان يجلس على أحد السطوح وينتشر الناس في الرحبة ويقدر مجلسه بمئة ألف إنسان. وهو من شيوخ البخاري. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٥/ ص ٤٩).

ثمَّ ذكر[1] بعد ذَلِك مَا صَحَّ عَن أنس بن مَالك رَضِي الله عَنهُ قَالَ كَانَت زَينَب تفتخر على أَزوَاج النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم تَقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فَوق سبع سموات[2]»[3].

فَنَقُول لَيسَ فِي هَذَا الحَدِيث أَن زَينَب قَالَت إِن الله فَوق سبع سموات بل إِن تزوِيج الله إِيَّاهَا كَانَ من فَوق سبع سموات.

---

(1) **الحموية**، (ص ٣٤٣).

(2) قال شيخنا الهرري رحمه الله تعالى: «فمعنى هذا الحديث أن زينب تزوجها النبيّ صلى الله عليه وسلم بالوحي من غير وليّ وشاهدين، وليس معناه أن الله تعالى ساكن في مكان فوق السماوات السبع. وقد تمسك بظاهر هذا الحديث بعض فرق الضلال كالمجسمة والمشبهة وخالفوا الإجماع وشبهوا الله بخلقه وجعلوه محتاجًا للمكان والجهة والعياذ بالله. فمن أصول عقائد المؤمنين التي دلت عليها الأدلة والبراهين القاطعة من القرءان والحديث والعقل والإجماع تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التحيّز في مكان أو الانتشار في الأماكن، فربنا سبحانه وتعالى هو خالق المكان، كان قبل الأماكن كلها من غير احتياج إليها ثم خلق الأماكن وبعد خلقها ما زال كما كان موجودًا بلا مكان لأنه سبحانه يُغيّرُ ولا يَتغَيَّرُ كما اشتهر ذلك بين عوام المسلمين وخواصهم إذ لو جاز عليه التغيُّرُ لاحتاج إلى من يُغيِّرُهُ والمحتاج إلى غيره لا يكون إلَهًا».

(3) **صحيح البخاري**، (ج ٩ / ص ١٢٤). والمعنى أن تزوج زينب بالنبيّ من غير ولي وشهود مكتوب كتابة خاصة في اللوح المحفوظ وإلا فكل الزيجات مقيدة في اللوح المحفوظ.

ثمَّ نقل عَن أبي سُلَيمَان الخطابِيّ مَا نَقله عَن عبد العَزِيز المَاجشون وَقد بَيّنا موافقتنا لَهُ ومخالفته لذَلِك. وَحَكَاهُ أَيضًا عَن الخَطِيب[1] وَأبي بكر الإسمَاعِيلِيّ[2] وَيحيى بن عمار[3] وَأبي إِسمَاعِيل الهَرَوِيّ[4] وَأبي عُثمَان الصَّابُونِي[1].

---

(١) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين مولده في غزية ـ بصيغة التصغير ـ منتصف الطريق بين الكوفة ومكة ومنشؤه ووفاته ببغداد. رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها وعاد إلى بغداد فقربه رئيس الرؤساء ابن مسلمة وزير القائم العباسي وعرف قدره. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان (ج ١ / ص ٩٢).

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو بكر الإسماعيلي: حافظ من أهل جرجان عرف بالمروءة والسخاء. قال أحد مترجميه: جمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا. **طرح التثريب**، زين الدين العراقي، (ج ١/ ص ٢٥-٢٦).

(٣) ابن يَحيَى بنِ عَمَّارِ بنِ العَنبَسِ الإِمَامُ المُحَدِّثُ الوَاعِظُ شَيخُ سِجستَان أَبُو زَكَرِيَّا الشَّيبَانِيُّ النِّيهِيُّ السِّجِستَانِيُّ نَزِيلُ هَرَاة. **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، (ج ٥ / ص ١١٦).

(٤) هذا الرجل وإن كان حافظًا للحديث فإنه مجسم ومشبه، وصفه بذلك التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٤ / ٢٧٢)، حيث قال في ترجمة أبي عثمان الصابوني: الملقب بشيخ الإسلام، لقبه أهل السنة في بلاد خراسان، فلا يعنون عند إطلاقهم هذه اللفظة غيره. وأما المجسمة بمدينة هراة، فلما ثارت نفوسهم من هذا اللقب، عمدوا إلى أبي إسماعيل عبد الله ابن محمد الأنصاري صاحب كتاب «ذم الكلام» فلقبوه بشيخ الإسلام، وكان الأنصاري المشار إليه، رجلًا كثير العبادة محدثًا إلا أنه يتظاهر بالتجسيم والتشبيه، وينال من أهل السنة، وقد بالغ في كتابه «ذم الكلام» حتى ذكر أن ذبائح الأشعرية لا تحل، وللأنصاري أيضًا كتاب «الأربعين»، سمتها أهل البدعة «الأربعين في السنة»، يقول فيها: باب إثبات القدم لله، باب إثبات كذا وكذا، وبالجملة كان لا يستحق هذا اللقب، وإنما لقب به تعصبًا وتشبيهًا له بأبي

عثمان، وليس هو هناك. وكان أهل هراة في عصره فئتين: فئة تعتقده وتبالغ فيه، لما عنده من التقشف والتعبد، وفئة تكفره لما يظهره من التشبيه. ومن مصنفاته التي فوقت نحوه سهام أهل الاسلام كتاب «ذم الكلام»، وكتاب «الفاروق في الصفات» وكتاب «الأربعين»، وهذه الكتب الثلاثة أبان فيها عن اعتقاد التشبيه وأفصح. وله قصيدة في الاعتقاد، تنبئ عن العظائم في هذا المعنى. وله أيضًا كتاب «منازل السائرين» في التصوف، كان الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية مع ميله إليه، يضع من هذا الكتاب، أعني «منازل السائرين». قال الذهبي: وكان يرمي أبا إسماعيل بالعظائم بسبب هذا الكتاب ويقول: انه مشتمل على الاتحاد. قال التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣/١٣٢): فاعلم أن أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الهروى الذى تسميه المجسمة شيخ الإسلام قال: سألت يحي بن عمار عن ابن حبان، قلت: رأيته؟ قال: وكيف لم أره ونحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا فأنكر الحد لله فأخرجناه من سجستان. انتهى. قلت: انظر ما أجهل هذا الجارح وليت شعري من المجروح مثبت الحد لله أو نافيه. وقد رأيت للحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائى رحمه الله على هذا كلامًا جيدًا أحببت نقله بعبارته. قال رحمه الله ومن خطه نقلت: يا لله العجب من أحق بالإخراج والتبديع وقلة الدين».

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني: مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان. ولد ومات في نيسابور. وكان فصيح اللهجة واسع العلم عارفًا بالحديث والتفسير يجيد الفارسية إجادته العربية. **طبقات المفسرين**، السيوطي، (ص ٣٦).

وَحكى عَن أبي نعيم الأَصبَهَانِيّ[1] أَن الأَحَادِيث الثَّابِتَة فِي الاستوَاء يَقُولُون بهَا ويثبتونها من غير تكييف وَلَا تَمثِيل وَلَا تَشبِيه وَهُوَ مستو على عَرشه فِي سمائه دون أرضه.

وَحَكَاهُ عَن معمر الأَصبَهَانِيّ وَقد بَيّنا لَك غير مَا مرّة أَنه مُخَالف لهَذَا، وَأَنه مَا قَالَ بِهِ طرفَة عين إِلَّا ونقضه، لِأَن السَّمَاء عِنده لَيست هِيَ المَعرُوفَة، وَأَن السَّمَاء وَالعرش لَا معنى لَهما إِلَّا جِهَة العُلُوّ.

وَحكى[2] عَن عبد القَادِر الجيلي[3] أَنه قَالَ الله بِجِهَة العُلُوّ مستو على عَرشه. فليت شعري لم احتج بِكَلَامِهِ وَترك مثل جَعفَر الصَّادِق والشبلي والجنيد وَذي النُّون والمصري وجعفر بن نصير وأضرابهم رَضِي الله عَنهُم.

---

(١) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم: حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية ولد ومات في أصبهان. من تصانيفه «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» ـ ط عشرة أجزاء و معرفة الصحابة كبير بقيت منه مخطوطة في مجلدين. **المنتظم**، ابن الجوزي، (ج ١٥ / ص ٢٦٨).

(٢) زورًا وبهتانًا وافتراءً على القطب الغوث الموحد المنزّه الإمام عبد القادر الجيلاني.

(٣) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان وراء طبرستان وانتقل إلى بغداد شابًا سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف وبرع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ وتوفي بها. **ذيل طبقات الحنابلة**، ابن رجب الحنبلي، (ج٢ / ص ١٨٧-١٨٨).

وَأما مَا حَكَاهُ عَن أبي عمر بن عبد البر[1] فقد علم الخَاص وَالعَام مَذهَب الرجل وَمُخَالفَة النَّاس لَهُ، وَنَكِير المَالِكِيَّة عَلَيهِ أَولًا وآخرًا مَشهُور، ومخالفته لإِمَام المغرب أبي الوَلِيد البَاجِيّ[2] مَعرُوفَة حَتَّى إِن فضلاء المغرب يَقُولُونَ لم يكن أحد بالمغرب يرى هَذِه المَقَالة غَيره وَغير ابن أبي زيد[3]، على أَن العلمَاء مِنهُم من قد اعتذر عَن ابن أبي زيد بِمَا هُوَ مَوجُود فِي كَلَام القَاضِي الأَجل أبي مُحَمَّد عبد الوَهَّاب البَغدَادِيّ المَالِكِي رَحمَه الله[4].

---

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبو عمر. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (ج ٧ / ص ٦٦). وكان مُشبهًا مجسمًا لنا كتاب في الرد عليه وتبيان حاله فلينظر «كتاب الكشف الجلي لحقيقة المشبهة ابن بطة وابن عبد البر والذهبي».

(٢) سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبير من رجال الحديث. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (ج ٢/ ص ٤٠٨).

(٣) عبد الرحمن نفزي النسب سكن القيروان وكان إمام المالكية في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية وكتبه تشهد له بذلك فصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقوله ذابًا عن مذهب مالك قائمًا بالحجة عليه بصيرًا بالرد على أهل الأهواء يقول الشعر ويجيده. **الديباج المذهب**، ابن فرحون، (ج ١ / ص ٤٢٧).

(٤) عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي أبو محمد: قاض من فقهاء المالكية له نظم ومعرفة بالأدب. ولد ببغداد وولي القضاء في اسعرد وبادرايا في العراق ورحل إلى الشام فمر بمعرة النعمان واجتمع بأبي العلاء. وتوجه إلى مصر فعلت شهرته وتوفي فيها. **وفيات الأعيان**، لابن خلكان (ج ٣ / ص ٢١٩).

ثمَّ إِنَّه قَالَ إِن الله فِي السَّمَاء على العَرش من فَوق سبع سموات وَلم يعقل مَا معنى فِي السَّمَاء على العَرش من فَوق سبع سموات.

ثمَّ (إِن)[1] ابن عبد البر مَا تَأَول هَذَا الكَلَام وَلَا قَالَ كمقالة المُدَّعِي إِن المُرَاد بالعرش وَالسَّمَاء جِهَة العُلُوّ.

ثمَّ نقل عَن البَيهَقِيّ[2] رَحمَه الله مَا لَا تعلق لَهُ بِالمَسأَلَة وَأعَاد كَلَام من سبق ذكره.

ثمَّ ذكر بعد ذَلِك شَيخنَا أَبَا الحسن عَليّ بن إِسمَاعِيل الأَشعَرِيّ[3] وَأَنه يَقُول الرَّحمَن على العَرش استَوَى وَلَا نتقدم بَين يَدي الله تَعَالَى فِي القَول بل نقُول استَوَى بِلَا كَيف.

---

(١) ساقطة من بعض النسخ.

(٢) أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد من قرى بيهق بنيسابور ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطُلِب إلى نيسابور فلم يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده. **شرح الإلمام**، ابن دقيق العيد، (ج ٤ / ص ٣٨٤).

(٣) هو الإمام أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وإمامنا الأشعري سلفي ولد سنة ستين ومائتين بالبصرة، وقيل ولد سنة سبعين ومائتين، وأبو موسى هو عبد الله بن قيس من ولد الجماهر ابن الأشعر بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الذي أثنى النبي ﷺ عليهم ـ على أبي موسى والأشعريين ـ بقوله ﷺ: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا**

مِنْهُمْ»، وقد خصّهم النّبيّ ﷺ بأن جعل لهم قسمًا من غنائم خيبر دون أن يشهدوا فتحها، فعن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «قدمنا على النّبي ﷺ بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا».

وإضافة على هذا إشارة من النبي على فضل أبي الحسن الأشعري فقد روى الطّبرانيّ في «المعجم الكبير» والحاكم في «المستدرك» من حديث شعبة عن سماك بن حرب عن عياض الأشعريّ قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة]، قال رسول الله ﷺ: «**هم قوم هذا**» وأومأ رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري، قال أبو عبد الله الحاكم واللّفظ له: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

قال الإمام البيهقيّ رحمه الله عقب ذكر الحديث: وذلك لما وجد فيه من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشريفة للإمام أبي الحسن الأشعريّ رضي الله عنه، فهو من قوم أبي موسى وأولاده الذين أوتوا العلم ورزقوا الفهم مخصوصًا من بينهم بتقوية السّنّة وقمع البدعة بإظهار الحجّة ورد الشّبهة، والأشبه أن يكون رسول الله ﷺ إنّما جعل قوم أبي موسى من قوم يحبّهم الله ويحبّونه لما علم من صحّة دينهم وعرف من قوّة يقينهم، فمن نحا في علم الأصول نحوهم وتبع في نفي التّشبيه مع ملازمة الكتاب والسّنّة قولهم جعل من جملتهم وعدّ من حسابهم بمشيئة الله وإذنه، أعاننا الله تعالى على ذلك بمنه وختم لنا بالسّعادة والشّهادة بجوده.

وليعلم المنصف من أصحابنا صنع الله تعالى في تقديم هذا الأصل الشّريف لما ذخر لعباده من هذا الفرع المنيف الّذي أحيا به السّنّة وأمات به البدعة وجعله خلف حق لسلف صدق بل وغيره كثير ممن أثنى عليه كابن عساكر وتقي الدين السبكي والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني والشيخ أبو عبد الله المايرقيّ من فقهاء المالكيّة، أما طريقته في ترتيب الأدلة السمعية والعقلية فمشهورة وقد بسطها بسطًا رائعًا في كتبه يستمتع به أصحاب الفن ويفرح به طلاب العلم لأن كلامه يوافق القرءان والسنة والعقل فكان رحمه الله يتوقد ذكاء وكان منزهًا ولم يكن معطلًا ولا جهميًا ولا معتزليًا بل هو علم من أعلام الأمة وقد وفقه الله

وَهَذَا الَّذِي نَقله عَن شَيخنَا هُوَ نحلتنا وعقيدتنا لَكِن نَقله لكَلَامه مَا أرَاهُ إِلَّا قصد الإِيهَام أَن الشَّيخ يَقُول بالجهة فَإِن كَانَ كَذَلِك فَلَقَد بَالغ فِي البهت[1].

بالحجج النيرات الباهرات والبراهين القاطعة فبزغت طوائف تحاربه مخالفة له لأنها أتت بدين جديد وهو فضحهم وكسرهم، ولا يريد المشبهة والمجسمة أتباع ابن تيمية للناس إلا أن يعتنقوا دينهم الذي يشبه دين اليهود وهو التشبيه والتجسيم ولم تحاربه فقط بل حاربت أتباعه.

واعلم أنَّ تاج الدين السبكي قد قال فيه: «اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأيًا ولم ينشئ مذهبًا وإنما هو مقرر لمذاهب السلف مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ فالانتساب إليه إنَّما هو باعتبار أنَّه عقد على طريق السلف نطاقًا وتمسَّك به وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدى به فى ذلك السالك سبيله فى الدلائل يسمى أشعريًا ولقد قلت مرة للشيخ الإمام رحمه الله أنا أعجب من الحافظ ابن عساكر فى عدة طوائف من أتباع الشيخ ولم يذكر إلا نزرًا يسيرًا وعددًا قليلًا ولو وفى الاستيعاب حقه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة فإنهم برأي أبي الحسن يدينون الله تعالى فقال إنما ذكر من اشتهر بالمناضلة عن أبي الحسن وإلا فالأمر على ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه.

وقد ذكر الشيخ شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية فى زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري.

علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة وتوفي ببغداد. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (ج ١١ / ص ٣٤٦).

(١) بَهَتَ الرجلَ يَبهَتُه بَهتًا وبَهَتًا وبُهتانًا فَهُوَ بَهَّات أَي قَالَ عَلَيهِ مَا لَم يَفعَلهُ فَهُوَ مَبهُوتٌ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف التاء / فصل الباء الموحدة)، (ج ٢ / ص ١٢).

وَكَلَام الشَّيخ[١] فِي هَذَا أَنه قَالَ: كَانَ وَلَا مَكَان، فخلق العَرش والكرسي فَلم يحتَج إِلَى مَكَان، وَهُوَ بعد خلق المَكَان كَمَا كَانَ قبل خلقه[٢]. وَكَلَامه وَكَلَام أَصحَابه رَحِمهم الله يصعب حصره فِي إِبطَالهَا[٣].

ثمَّ حكى ذَلِك عَن القَاضِي أبي بكر[٤] وَإِمَام الحَرَمَين[٥] ثمَّ تمسك بِرَفع الأَيدِي إِلَى السَّمَاء.

وَذَلِك إِنَّمَا كَانَ لأجل أَن السَّمَاء منزل البركات والخيرات فَإِن الأَنوَار إِنَّمَا تنزل مِنهَا والأمطار، وَإِذا ألف الإِنسَان حُصُول الخيرَات من جَانب، مَال طبعه إِلَيهِ،

---

(١) أي الإمام الأشعري.

(٢) قال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري المتوفى ٣٢٤ هجري، رضي الله عنه، ما نصه: «كان الله ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه» انتهى. أي بلا مكان ومن غير احتياج إلى العرش والكرسي. نقل ذلك عنه الحافظ ابن عساكر نقلًا عن القاضي أبي المعالي الجويني. **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، (ص١٥٠).

(٣) أي في إبطال عقيدة المشبهة الجهوية.

(٤) أبي بكر الإسمَاعِيلِيّ.

(٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعيّ. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (ج ٣ / ص ١٦٧).

فَهَذَا المَعنى الَّذِي أوجب[1] رفع الأَيدِي إِلَى السَّمَاء. وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [سورة الذاريات].

ثمَّ إِن اكتفى بِمثل هَذِه الدّلَالَة فِي مطَالب أصُول العقائد فَمَا يُؤمنهُ من مُدع يَقُول: الله تعالى فِي الكَعبَة لِأَن كل مصل يُوجه وَجهه إِلَيهَا، وَيَقُول: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [سورة الأنعام] أَو يَقُول الله فِي الأَرض فَإِن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ١٩﴾ [سورة العلق] والاقتراب بِالسُّجُود فِي المسَافَة إِنَّمَا هُوَ فِي الأَرض. وَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم: «**أقرب مَا يكون العَبد فِي سُجُوده**»[2].

ثمَّ ذكر بعد ذَلِك مَا أجبنا عَنهُ من حَدِيث الأوعال وَذكر بعد ذَلِك مَا لَا تعلق لَهُ بالمسألة، وَأخذ يَقُول إِنَّه حكى عَن السّلف مثل مذهبه، وَإِلَى الآن مَا حكى مذهبه عَن أحد لَا من سلف وَلَا من خلف، غير عبد القَادِر الجيلي[3]، وَفِي كَلَام ابن عبد البر[4] بعضه، وَأما العشرَة وَبَاقِي الصَّحَابَة رَضِي الله عَنهم فَمَا نبس[5] عَنهُم بِحرف.

---

(١) أي هذا الذي ذكره من أن السماء مهبط البركات والخيرات هو الذي أدى إلى رفع الأيدي إلى السماء أي لأجل ذلك الناس يرفعون أيديهم إلى السماء، فأوجب هنا بمعنى أدى.

(٢) **السنن الكبرى**، النسائي، (ج ١ / ص ٣٦٤).

(٣) هذا بزعم ابن تيمية وإلا فعقيدة الإمام الجيلاني هي التوحيد والتنزيه.

(٤) مجسم.

(٥) نَبَسَ يَنبِسُ نبسًا ونُبسَةً الأَخِيرُ بالضَمِّ أَي تَكَلَّمَ وتَحَرَّكت شَفَتَاه بشيء وَهُوَ أَقَلُّ الكَلَامِ يُقَال مَا نَبَسَ وَلَا رَتَمَ. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (ن ب س)، (ج ١٦ / ص ٥٣٢).

ثمَّ أَخذ بعد ذَلِك فِي مواعظ وأدعية لَا تعلق لَهَا بِهَذَا، ثمَّ أَخذ فِي سبّ أهل الكَلَام ورجمهم، وَمَا ضرّ القَمَر من نبحه.

وَقد تبين بِمَا ذكرنَاهُ أَن هَذَا الخبر الحجَّة[1] يرجم فتياه، أَنه يَقُول مَا قَالَه الله وَرَسُوله وَالسَّابِقُونَ الأَولونَ من المُهَاجِرين وَالأَنصَار وَلم ينقل مقَالَته عَن أحد من الصَّحَابَة.

---

(١) مراده بذلك أن ما ذكره ابن جهبل قبلُ من الأخبار هي حجة متينة ودليل قوي لنا للرد على ابن تيمية وبيان تخبطه وتلاعبه حيث إنه حمل الآيات التي يوهم ظاهرها العلو في حق الله وأوّل الآيات التي ظاهرها يوهم أن الله في الكعبة أو في الأرض أو في كل الأماكن وغير ذلك من الآيات التي أرجعتها أهل السنة إلى المحكم وقالت نقول فيها ما وافق الدين والتنزيه.

[عقيدة المسلم في نصوص الصفات]

وَإِذ قد أَتَينَا على إِفسَاد كَلَامه، وإيضاح إيهامه، وَإِزَالَة إبهامه، وَنقض إبرامه، وتنكيس أَعلَامه[١]، فلنأخذ بعد هَذَا فِيمَا يتَعَلَّق بغرضنا وإيضاح نحلتنا[٢]، فَنَقُول وَبِاللَّهِ التَّوفِيق[٣]: على سامع هَذِه الآيَات وَالأَخبَار المُتَعَلّقَة بِالصِّفَاتِ مَا قدمنَاهُ من الوَظَائف[٤]، وَهِي التَّقدِيس[٥] وَالإِيمَان والتصديق وَالِاعتِرَاف بِالعَجزِ[٦] وَالسُّكُوت والإمساك عَن التَّصَرُّف فِي الأَلفَاظ الوَارِدَة، وكف البَاطِن

---

(١) أي بعد أن بينا فساد كلامه ورميناه بداء الجهل واتباع الهوى وأوضحنا خطأه وكفره وضلاله وأضأنا على مراده من عباراته نذكر عقيدة المسلم في نصوص الصفات.

(٢) أي عقيدتنا.

(٣) أي نقول سائلين الله السداد والتوفيق.

(٤) أي الأشياء التي تطلب على العبد أي مما يجب على العبد.

(٥) أي تنزيه الله عما لا يجوز عليه.

(٦) روي عن أبي بكر الصديق أنه قال: «العَجزُ عَنْ دَرَكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ» أي العجز عن الإحاطة بذات الله إدراك ومعرفة والمحاولة في تشبيه الله بأي شيء من المخلوقات كفر وإشراك. وحُكِيَ عنه أنه قال: «سبحان من لم يجعل للخَلْقِ سبيلًا الى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته» أي لا يُعرَفُ معرفة إحاطةٍ. فيجب الإيمان بالصفات التي تليق في حقه تعالى وهي التي تدل على الكمال الذي يليق به والتي لا تكون لغيره وتنزيهه عما لا يليق كالنقص في حقه فيستحيل عليه أن يتصف بصفة جهل أو عجز، وعدم تكذيب صفات الله واجب والاعتراف أن الله الخالق البارئ القاهر المقدر لكل المخلوقات، لا يخفى عليه شيء والعباد لا تخلق شيئًا ولا تغير شيئًا في تقدير الله.

عَن التفكر فِي ذَلِك[١]، واعتقاده أَن مَا خَفِي عَنهُ لم يخف عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم، وَلَا عَن الصّديق وَلَا عَن أكَابِر الصَّحَابَة رَضِي الله عَنهُم[٢].

ولنأخذ الآن فِي إبراز اللطائف من خفيات هَذِه الوَظَائِف، فَأَقُول وَبِاللَّهِ المُستَعَان: أما التَّقدِيس فَهُوَ أَن يعتَقد فِي كل آيَة أَو خبر معنى يَلِيق بِجَلَال الله تَعَالَى[٣]، مِثَال ذَلِك إِذا سمع قَوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم: «**إِن الله ينزل كل لَيلَة إِلَى**

---

(١) روي عن أبي بكر الصديق أنه قال: «العَجْزُ عَنْ دَرَكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ» أي العجز عن الإحاطة بذات الله إدراك ومعرفة والمحاولة في تشبيه الله بأي شىء من المخلوقات كفر وإشراك. وحُكِيَ عنه أنه قال: «سبحان من لم يجعل للخَلْقِ سبيلًا الى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته» أي لا يُعرَفُ معرفة إحاطةٍ. اهـ.

(٢) ينبغي معرفة أن أهل السنة هم الفرقة الناجية وأن ما هم عليه هو ما جاء به الرسول وتلقاه عنه الصحابة وتلقاه عنهم التابعون وليس ما ابن تيمية عليه فابن تيمية خالف الرسول ومن اتبعه بعقيدته التي تشبه عقيدة اليهود بقولهم الله في السماء، أما ما عليه حن أهل السنة هو الإيمان بما جاء عن الله وحمله على ما يليق في حق الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق في حقه مع ترك الخوض فيما نهينا عن الخوض فيه.

(٣) **فائدة مهمة**: ذكر الحافظ الفقيه البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقّه ما نصه: «وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متّصل الإسناد رُدّ بأمور أحدها أن يخالف موجَبات العقول فيُعلم بطلانه لأن الشرع إنما يَرِدُ بمجوَّزات العقول وأمّا بخلاف العقول فلا، والثاني أن يُخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة فيُعلم أنه لا أصل له أو منسوخ، والثالث أن يُخالف الإجماع فيُستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون صحيحًا غير منسوخ وتجمع الأمة على خلافه» انتهى.

سَمَاء الدُّنيا[١]»[١] وَكَانَ النُّزُول يُطلق على مَا يفتَقر إِلَى جسم عَال وجسم سافل وجسم منتقل من العالي إِلَى السافل، والزوال انتِقَال جسم من علو إِلَى سفل،

---

(١) اتفق كثير من المشبهة كابن تيمية على جعل هذا الحديث بمروياته حجةً لهم على أن الله في السماء وينزل وعبروا بعبارات شنيعة منها ينزل بذاته ومنها فوق عرشه فوق سماواته وعبارات أخرى شنيعة، مع العلم أن حديث النزول صحيح، لكن لا يجوز لأحد من العالمين أن يفسر القرءان والحديث على هواه وعلى ما تشتهيه نفسه كحال المشبهة المجسمة الوهابية حيث إنهم قالوا: «ينزل ربنا أي ينزل حقيقة نزول حركةٍ وانتقالٍ»، وهذا محال على رب العالمين بل هذا بشاعة وذلك لأن الليل والنهار وأجزاءهما كالنصف والثلث يختلف باختلاف البلدان فترى الليل طلع في بلد وغاب في بلد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ [سورة يونس] وجاء في تفسير هذه الآية في الجلالين للسيوطي: «﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أي وفي الأرض من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ فيؤمنون خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها»، فكما ذكرنا المراد بالاختلاف مجيء الليل وذهاب النهار، ومجيء النهار وذهاب الليل.

بناءً على هذا يلزم على معتقدكم أن يكون الله كل الوقت ينزل ثم يطلع ثم ينزل ثم يطلع وهكذا كالنَّطَّاط كل ساعة من ساعات الليل والنهار، وهذا ينافي قولكم إنه مختص بالعرش، فبطل عليكم ذلك المعتقد، ثم إن العرش أكبر جسم خلقه الله بحيث إن الكرسي بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة وإن السمٰوات بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض وعلى هذا تكون سماء الدنيا بالنسبة للعرش أقل من خردلة ملقاة في فلاة، فكيف تسع الله الذي هو في معتقدكم بقدر العرش أو أوسع من العرش؟!.

وإن قلتم: هو ينزل إلى السماء الدنيا وهي باقية على حالها وهو على حاله فهذا محال.

وإن قلتم: أنَّ الله يصير أقل من قدر خردلة حتى تسعه السماء الدنيا فهذا أيضًا أمر محال.
وإن قلتم أنَّ الكرسي والسمٰوات تكون بقدر العرش أو أوسع منه، فلتأتونا بدليل من القرءان أو الحديث على هذا أتستطيعون؟ لا والله بل ما هذا إلا من افترائكم على الله وعلى ديننا.

فائدة مهمة: اعلم أنَّ النزول لا ينحصر في معاني الحركة والانتقال بل يأتي بعدة معانٍ حقيقية ومجازية كما في لسان العرب لابن منظور فقد ذكر أنها تستعمل بمعنى نزل عن الأمر أي تركه والتنزل أي النزول في مهلة وفي النزال أي الحرب والنزول من الأعلى إلى الأسفل ونفاه عن الله بقوله: «النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدس، والمراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من العباد، وتخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله، وعند ذلك تكون النية خالصة والرغبة إلى الله عز وجل وافرة».

وقد اختلف في النزول على أقوال، الثلاثة الأول مقبولة أما الرابعة والخامسة فغير مقبول وهي:

- **القول الأول**: من أجراه على ما ورد مؤمنًا به على طريق الإجمال منزهًا الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم.
- **القول الثاني**: من فصل بين ما يكون تأويله قريبًا مستعملًا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدًا مهجورًا فأول في بعض وفوض في بعض وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد.
- **القول الثالث**: من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب.
- **القول الرابع**: من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرءان من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلًا

وَيُطلق على معنى آخر لَا يفتَقر إِلَى انتِقَال وَلَا حَرَكَة جسم كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [سورة الزمر] مَعَ أَن النعم لم تنزل من السَّمَاء بل هِيَ مخلوقة فِي الأَرحَام قطعًا، فالنزول لَهُ معنى غير حَرَكَة الجِسم لَا محَالة.

وإما عنادًا.

- **القول الخامس**: من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم.

قال البيهقي: «وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه، من الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذٍ التفويض أسلم».

(١) قال الإمام العينيّ: «وقال القاضي البيضاويّ: لَمّا ثبت بالقواطع العقلية أنه منزّه عن الجسمية والتحيُّز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد دنوّ رحمته».

ثم قال: «لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أُضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره، فإذا أُضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى».

قال الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي في تفسيره: «والله جلَّ ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأنَّ في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز».

وقال القسطلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لهذا الحديث: «هو نزول رحمة ومزيد لطفٍ وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله فهو نزول معنوي»، ثم قال: «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعًا إلى مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيه».

وَفهم ذَلِك من قَول الإِمَام الشَّافِعِي رَضِي الله عَنهُ دخلت مصر فَلم يفهموا كَلَامي فَنزلت ثمَّ نزلت ثمَّ نزلت، وَلم يرد حِينَئِذٍ الانتِقَال من علو إِلَى سفل. فليتحقق السَّامع أَن النُّزُول لَيسَ بِالمَعنَى الأول فِي حق الله تَعَالَى فَإِن الجِسم على الله محَال.

وَإِن كَانَ[1] لَا يفهم من النُّزُول إلا الِانتِقَال فَيُقَال لَهُ: من عجز عَن فهم نزُول البَعِير فَهُوَ عَن فهم نزُول الله عز وَجل أعجز[2].

فَاعلَم أَن لهَذَا معنى يَلِيق بجلاله وَفِي كَلَام عبد العَزِيز المَاجشون السَّابِق إِلَى هَذَا مرامز[3][4].

---

(١) أي ابن تيمية.

(٢) مراد العلّامة ابن جهبل من كان لا يفهم من النزول سوى الانتقال، فيكون المعنى أن الذي لا يفهم من النزول سوى الانتقال فإنه بالقطع لا يفهم نزول الأنعام من السماء، ومن عجز عن فهم نزول الأنعام من السماء فهو عن فهم حديث النزول أعجز.

(٣) أي ما يرمز به.

(٤) حديث النزول لا يجوز أن يحمل على ظاهره لإثبات النزول من علو إلى سفل في حق الله تعالى فقد قال الإمام الحافظ النووي في شرحه على مسلم عند قوله «ينزل ربنا» الحديث ما نصه: «هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق .

وَكَذَلِكَ لَفظَة فَوق الوَارِدَة فِي القُرءان وَالخَبَر فَليعلم أَن فَوق تَارَة تكون للجسمية وَتَارَة للمرتبة كَمَا سبق فَليعلم أَن الجسمية على الله محَال وَبعد ذَلِك إِن لَهُ معنى يَلِيق بجلاله تَعَالَى.

وَأما الإِيمَان والتصديق بِهِ فَهُوَ أَن يعلم أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وَسلم صَادِق فِي وصف الله تَعَالَى بذلك وَمَا قَالَه حق[1] لَا ريب فِيهِ بِالمَعنَى الَّذِي أَرَادَهُ

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله بأمره. والثاني أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري «وقال ابن العربي النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن مَلَكه الذي ينزل بأمره ونهيه». ثم قال: «والحاصل أنه تأوله بوجهين إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزِل ملَكًا. قال الحافظ: ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد أن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع فيستجاب له الحديث، وحديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد ينادي مناد هل من داع يستجاب له الحديث، قال القرطبي وبهذا يرتفع الإشكال. **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٣ / ص ٣٠).

(١) أي أن يؤمن بأن كل ما به النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو حق صادق فيما قاله ولا نكذبه ولا نجحد كلامه ونتبعه ولا نخالفه فهو نبي الله إلينا، والنبوة اشتقاقها من النبأ، أي الخبر، لأن النبوة إخبار عن الله، أو من النبوة وهي الرفعة. والنبي يخبره الملك عن الله. فالنبوة جائزة عقلًا، ليست مستحيلة، كما أن النبوة اصطفاء من الله لبعض عباده، وليست صنعة

وَالوَجه الَّذِي قَالَه، وَإِن كَانَ لَا يقف على حَقِيقَته[1]، وَلَا يتخبطه الشَّيطَان فيَقُول: كَيفَ أصدق بِأَمر جملي لَا أعرف عينه؟ بل يخزي الشَّيطَان وَيَقُول: كَمَا إِذا أَخبرنِي صَادِق أَن حَيَوَانًا فِي دَار فقد أدركت وجوده وَإِن لم أعرف عينه فَكَذَلِك هَاهُنَا.

أو مكتسبة، يعني أنها لا تأتي بمجاهدة النفس، كالولاية. والله تعالى بعث الرسل رحمة للعباد، إذ ليس في العقل ما يستغنى به عنهم، لأن العقل لا يستقل بمعرفة الأشياء المنجية في الآخرة، ففي بعثة الأنبياء مصلحة ضرورية لحاجة الخلق لذلك. فالله متفضل بها على عباده فهي سفارة بين الحق تعالى وبين خلقه. وإن الله تعالى بعث الأنبياء رحمة للعباد إذ ليس في العقل ما يستغنى به عنهم لأن العقل لا يستقل بمعرفة الأشياء المنجية في الآخرة. ففي بعثة الأنبياء مصلحة ضرورية لحاجتهم لذلك، فالله متفضل بها على عباده.

(١) الضمير هنا يعود على المخاطب أو السامع ولا يعود على النبيّ صلى الله عليه وسلم، أي وإن كان الشخص المخاطب أو السامع لا يقف على حقيقته.

ثمَّ ليعلم أَن سيد الرُّسُل صلى الله عَلَيهِ وَسلم قد قَالَ: «**لَا أحصي ثَنَاء عَلَيك أَنت كَمَا أثنيت على نَفسك**[1]»[2] وَقَالَ سيد الصديقين رَضِي الله عَنهُ[3]: **العَجز عَن دَرك الإِدرَاك إِدرَاك**[4].

---

(١) معناه مهما أثنى أحد من عباد الله على الله لا يبلغ الغاية، هو الله كما أثنى على نفسه.

(٢) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان (ج ٥ / ص ٢٥٩).

(٣) هو صدر بيت قاله أبو بكر الصديق رَضِي الله عَنهُ، وتمامه:

العجز عن درك الإدراك إدراك ... والبحث عن ذاته كفر وإشراك.

أي أن الإنسان إذا عرف الله تعالى بأنه موجود لا كالموجودات واعتقد أنه لا يمكن تصويره في النفس واقتصر على هذا واعترف بالعجز عن إدراكه أي عن معرفة حقيقته ولم يبحث عن ذات الله للوصول إلى حقيقة الله فهذا إيمان، وهذا يقال عنه عرف الله وإنه سلم من التشبيه، أما الذي لا يكتفي بذلك ويريد بزعمه أن يعرف حقيقته ويبحث عن ذاته ولا يكتفي بهذا العجز فيتصوره كالإنسان أو ككتلة نورانية أو نحو ذلك فهذا كفر بالله تعالى . فلا يعرف الله على الحقيقة إلا الله تعالى . ومعرفتنا نحن بالله ليست على سبيل الإحاطة بل بمعرفة ما يجب لله تعالى كوجوب القدم له والعلم والقدرة والإرادة، وتنزيهه عما يستحيل عليه تعالى كالعجز والحجم والشريك، ومعرفة ما يجوز في حقه سبحانه كإيجاد شيء وإعدامه. فالله تعالى يجوز أن يخلق ما يشاء ويترك ما يشاء أي لا يخلقه. قال الإمام أحمد الرفاعي: «غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيفية ولا مكان».

(٤) وهذا معناه أن الله ليس جسمًا ولا يتصف بصفات الجسم ولا بأي وجه من الوجوه لذا يستحيل تصوره في العقول.

وَأما الِاعتِرَاف بِالعَجزِ فَوَاجِب على كل من لَا يقف على حَقِيقَة هَذِه المعَانِي الإِقرَار بِالعَجزِ، فَإِن ادّعى المعرفَة فقد كلف[1]، وكل عَارِف وَإِن عرف فَمَا خَفِي عَلَيهِ أَكثر.

وَأما السُّكُوت فَوَاجِب على العَوام[2]، لِأَنَّهُ بالسؤال يتَعَرَّض لما لَا يطيقه فَهُوَ إِن سَأَلَ جَاهِلًا زَاده جهلًا، وَإِن سَأَلَ عَالمًا لم يُمكن العَالم إفهامه، كَمَا لَا يُمكن البَالِغ تَعلِيم الطِّفل لَذَّة الجِمَاع، وَكَذَلِكَ تَعلِيمه مصلحَة البَيت وتدبيره، بل يفهمهُ مصلحَته فِي خُرُوجه إِلَى المكتب[3].

---

(١) كَلِفَ بِالشيء كَلَفًا وكُلْفَة اشتغل بما لا يعنيه وأجهد نفسه فيه. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف الفاء / فصل الكاف)، (ج ٩ / ص ٣٠٧). بتصرف.

(٢) يجب على العامي أن يتعلم من أهل العلم الثقات بسؤالهم عما هو فرض عليه للقيام بالواجب ويسكت عن السؤال الذي لا مصلحة له فيه ولا فائدة له منه.

(٣) مراده أن العامي ينبغي مراعاته ومراعاة تفهيمه وأن يلتزم العامي حده ولا يجاوزه، فكثير من الأمور يطيق فهمها واستيعابها شخص ولا يطيق فهمها آخر لاختلاف الأحوال، فالعالِم لممارسته العلم يستطيع أن يعي النصوص ويتدارس وأن يتكلم بما يعي عنه العامي ـ أي يعجز، والعامي ليس أهلًا للإفتاء، وهذه قاعدة مهمة فالحذر كل الحذر من الإفتاء بغير علم، كحال هؤلاء الذين يوجبون ما لم يوجبه القرءان والحديث ولا هو اجتهاد أحدٍ من أئمة الهدى إنما هو تجرؤ على الفتوى بدون علم فهؤلاء ضالون ومُضلّون صاروا رؤساء على جهلهم كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوساء جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» متفق عليه. هؤلاء أحيانًا يبيحون ما حرمه الله تعالى بإجماع المسلمين وأحيانًا يفعلون عكس ذلك. ومثال ذلك قول بعض الناس: «إن سب الله تعالى لا

فالعامي إِذا سَأَلَ عَن مثل هَذَا يزجر ويردع، وَيُقَال لَهُ لَيسَ هَذَا بعُشِّكِ فادرجي[1].

وَقد أَمر مَالك بِإِخرَاج من سَأَلَهُ فَقَالَ مَا أَرَاك إِلَّا رجل سوء وعلاه الرُّحَضاءَ[2]، وَكَذَلِكَ فعل عمر رَضِي الله عَنهُ بِكُل من سَأَلَ عَن الآيَات المتشابهة.

وَقَالَ صلى الله عَلَيهِ وَسلم: «**إِنَّمَا هلك من كَانَ قبلكُم بِكَثْرَة السُّؤَال**»[3].

يكون كفرًا إلا إذا قصد الكفر»، وهي كفر سواء قصد أم لم يقصد. ومنهم من وصل به شذوذه إلى أن قال: «سب الرسول كفر وسب الله ليس بكفر». لقد أعمى الله قلوبهم فهم لا يؤمنون.

إنما ذكر ابن جهبل مثال الطفل ليقرب فهم مراده للقارئ أن الطفل يعي عن فهم واستيعاب وحمل ما يستطيع الكبير عادة فهمه وعلمه وحمله، والطفل يكبر ويتعلم في المكتب أي ما يعرف بالكُتَّاب قديمًا كما يقال اليوم لموضع الدراسة المدرسة والابتدائيات، قال ابن منظور في لسان العرب: «والمكْتَبُ مَوْضِعُ التَّعْلِيم».

(١) هذا مثل مشهور من أمثال العرب يضرب مثلًا للرجل ينزل المنزل لا يصلح له ومعناه في الأصل ليس هذا من الأمر الذي لكِ فيه حق فَدَعِيه.

(٢) هُوَ عرَق يَغسِلُ الجِلدَ لِكَثْرَتِهِ وَكَثِيرًا مَا يُستَعمَلُ فِي عَرَق الحُمّى وَالمَرَضِ. والرُّحَضاءُ العرَقُ فِي أَثَر الحُمّى. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف الضاد المعجمة / فصل الراء)، (ج ٧ / ص ١٥٤).

(٣) يعني أن الذين من قبلنا أكثروا المسائل على الأنبياء، فشدد عليهم كما شددوا على أنفسهم، ثم اختلفوا على أنبيائهم أيضًا، والاختلاف على النبي يعني مخالفته، كقصة اختلاف بني إسرائيل في قتيل قتل بينهم، فادعت كل قبيلة أن الأخرى هي التي قتلته، وادارءوا فيها، وتنازعوا فيها، ورفعوا الأمر إلى نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام، فأمرهم بذبح بقرة فتعنتوا وأكثروا السؤال وتشددوا فشدد الله عليهم،ومن ذلك ما وقع للنبي عليه الصلاة

وَورد الأَمر بالإمساك عَن القدر[1] فَكيف عَن الصِّفَات[2].

والسلام في قضية الأقرع بن حابس،فالواجب على الإنسان أن يتفقه في دين الله. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحشر].

والمقصود كثرة المسائل إمَّا على سبيل التعنت أو الاستهزاء أو الامتحان أو الإكثار من السؤال عمَّا لا يقع ولا تدعو إليه الحاجة.

(١) الإمساك عن القدر الذي هو مطلوب بقوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا ذكر القدر فامسكوا**» رواه الطبراني في الكبير فقد بينه كلام سيدنا علي رضي الله عنه عندما قال للسائل عن القدر: «سر الله فلا تتكلف» فلما ألح عليه قال له: «أما إذا أبيت فإنه أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض» فعلم من كلام سيدنا علي أن الخوض في القدر للوصول إلى سره هو الممنوع الذي نهى عنه النبي فإن سر القدر بحر لا ساحل له، وهذا معنى قول الإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته التي ذكر أنها بيان عقيدة أهل السنة والجماعة «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل وأما معرفة ما بينه سيدنا علي فإنه واجب». والقدر بمعنى التقدير كما ذكر في كتاب الإرشاد للجويني وقال الزجاج وهو لغوي: «والتقدير هو التدبير» وهو جعل كل شىء على ما هو عليه، وروى بعضهم عن الشافعي أنه المشيئة.

واعلم أن كل شىء يحصل في هذه الدنيا من خير أو شر من طاعة أو معصية من إيمان أو كفر بتقدير الله ومشيئته وعلمه، الخير والإيمان والطاعة بتقديره ومحبته ورضاه، أما الشر والمعصية والكفر فبتقدير الله وليس بمحبته وليس برضاه، ولا يوصف تقدير الله الذي هو صفته بالشر. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر]. وفي الحديث: «**كل شىء بقدر حتى العجز والكيس**» رواه مسلم.

(٢) أي يجب موافقة أهل السنة في الصفات وعدم الخوض فيما نهوا عن الخوض فيه في ذلك.

وَأما الإمسَاك عَن التَّصَرُّف فِي هَذِه الأَخبَار والآيات، فَهُوَ أَن يَقُولهَا كَمَا قَالَهَا الله تَعَالَى وَرَسُوله صلى الله عَلَيهِ وَسلم، وَلَا يتصَرَّف فِيهَا بتفسير وَلَا تَأوِيل[١] وَلَا تصريف وَلَا تَفرِيق[٢] وَلَا جمع[٣].

(١) أي دون تأويل تفصيلي بل يؤول تأويلًا إجماليًّا بحمل ما ورد على ما يليق بالله، بدون تعيين معنى ما كتفسير الاستواء بالقهر، بل يقولون له معنى يليق في حق الله سبحانه وتعالى فيقولون استواء يليق به تعالى. وهذا الغالب على السلف.

(٢) أي لا يفرق بين المجتمعات. قال الغزالي في «إلجام العوام»: فكما لا يجمع بين متفرقة فلا يفرق بين مجتمعة، فإن كل كلمة سابقة على كلمة أو لاحقة لها مؤثرة في تفهم معناه مطلقًا، ومرجحة الاحتمال الضعيف فيه، فإذا فُرِّقت وفُصِلَت سقطت دلالتها. مثال: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ۝١٨﴾ [سورة الأنعام]. لا يسلط على أن يقول القائل: وهو فوق، لأنه إذا ذكر القاهر قبله ظهر دلالة الفوق على الفوقية التي للقاهر مع المقهور، وهي فوقية الرتبة، ولفظ القاهر يدل عليه.

(٣) قال الغزالي في «إلجام العوام»: لا يجمع بين متفرق، ولقد بعد عن التوفيق من صنف كتابًا في جمع الأخبار خاصة ورسم في كل عضو بابًا فقال: باب في إثبات الرأس وباب في اليد إلى غير ذلك، وسماه: كتاب الصفات. فإن هذه كلمات متفرقة صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوقات متفرقة متباعدة اعتمادًا على قرائن مختلفة تفهم السامعين معانٍ صحيحة، فإذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الإنسان صار جمع تلك المتفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تأكيد الظاهر وإيهام التشبيه.

فَأَما التَّفسِير[1] فَلَا يُبدل لفظ لُغَة بِأُخرَى، فَإِنَّهُ قد لَا يكون قَائِمًا مقَامه، فَرُبمَا كَانَت الكَلِمَة تستعار فِي لُغَة دون لُغَة، وَرُبمَا كَانَت مُشتَرَكَة فِي لُغَة دون لُغَة، وَحِينَئِذٍ يعظم الخطب بترك الِاستِعَارَة، وباعتقاد أَن أحد المَعنيين هُوَ المُرَاد بالمشترك.

(١) **فائدة مهمة**: التفسير واستنباط الأحكام من النصوص وشرحها وتبيين المراد منها ليست وظيفة العوام ولا ضعفاء الفهم كابن تيمية والمشبهة إنما هي وظيفة أصحاب الفهم والحفظ والضبط الأئمة والمجتهدين.

وَأما التَّأوِيل فَهُوَ أَن يصرف الظَّاهِر وَيتَعَلَّق بالمرجوح، فَإِن كَانَ عاميًا فقد خَاضَ بحرًا لَا سَاحل لَهُ وَهُوَ غير سابح، وَإِن كَانَ عَالمًا لم يجز لَهُ ذَلِك إِلَّا بشرائط التَّأوِيل[1] وَلَا يدخل مَعَ العَاميّ فِيهِ لعجز العَاميّ عَن فهمه[1].

---

(١) إن التأويل علم له شروط ومبادئ وقواعد لا يقبل تجاهلها ولا يسوغ تخطيها لأن ذلك مؤداه الوقوع بالمحظور والله أعلم. لذلك كان لا بد من تقصي الشروط التي تجب والمبادئ التي تتحتم مراعاتها على كل من أراد الخوض في غمار هذا العلم والغوص في بحاره. إنه حقًّا علم مُنظّم الضوابط، محكم المفاهيم، لا لبس فيه ولا لغط. وتجد فيما يلي بعض النقول التي حاولت رسم المحاور الأساسية والأطُر العلمية التي يتمحور حولها علم التأويل.

ونبدأ بما قاله النسفي في «العقيدة النسفية» ونصه: «والنصوص من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها، والعدولُ عنها إلى معانٍ يَدّعيها أهل الباطن إلحاد، ورد النصوصِ كفر».

يعني أن النص القرءانيَّ والنص الحديثي يُحملان على الظاهر ما لم يدلّ دليل عقلي أو سمعي على وجوب العدول عن ذلك، فعندئذ يحمل على غير الظاهر للضرورة، فالتأويل لغير ذلك عبث.

وقوله: «والعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهلُ الباطن إلحاد» يعني أن تأويلات الباطنية ومن أشبههم من غلاة المتصوفة، مما يؤدي إلى مخالفة الضروريات هو إلحاد وكفر.

وقوله: «ورد النصوص كفر» يعني أن رد النصِّ القرءاني أو النصِّ الحديثي مع اعتقاده أنه كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر.

ففي هذا تنبيه إلى عدد من الضوابط ذات الصلة وهي:

١ .أن تحميل كل نص من النصوص باطنًا لا يحتمله هو خروج عن جادة الصواب.

٢ .أن النصوص تحمل على الظاهر إلا إن دعا داع لحملها على غيره.

٣. أن النصوص الشرعية لا تتناقض، فلذا أي تأويل لأي متشابه ينبغي ألا يتعارض مع المحكمات، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء].

فتأمل مدى أهمية هذه الضوابط وكيف أنها صراط مستقيم لمن أراد سلوك طريق التأويل. فهي الضامن ألا يؤخذ التأويل عصا يتكئ عليه كل ذي مأرب. وهي الضامن ألا يتقرر تأويل ما لم يَدْعُ إليه داعٍ. وهي الضامن أن تتعاضد النصوص فيما بينها ولا تتعارض.

وقال الإمام بدر الدين بن جماعة في «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التأويل» ما نصه: «ومن شروط التأويل أن يكون وفق أصول العربية وأساليب البيان عند العرب وأن ما خرج على أصول العربية وأساليب البيان عند العرب ليس تأويلًا مشروعًا ولا مقبولًا».

وقال الدكتور مصطفى جلبي في كتاب «أصول الفقه الإسلامي»: «اشترط العلماء في تحقيق التأويل الصحيح أمورًا منها:

- أن يكون اللفظ المراد تأويله قابلًا للتأويل، بأن يكون يحتمل بحسب وضع اللغة ذلك.
- أن يكون المعنى الذي صرف إليه اللفظ من المعاني التي يحتملها اللفظ لغةً أو استعمل فيه شرعًا.
- أن يكون الصرف عن ظاهره بدليل صحيح، إما نص أو إجماع أو قياس، أو غير ذلك من الأدلة الصحيحة.
- أن يكون المؤوّل أهلًا لذلك، كأن يكون من المجتهدين أصحاب الملكات الفقهية الذين يستنبطون من النصوص».

كانت هذه بعض الشروط التي ذكرها أهل الحق والتي لا بد منها لاستحقاق أهلية التأويل. كيف لا! والتأويل موضوع على درجة عالية من الأهمية لا يسوغ لكلٍ الخوض فيه ما لم يكن تأهل لذلك وحصّل التمكن المطلوب والرسوخ اللازم.

(١) القرءان يوافق بعضه بعضًا ولا يعارض بعضه بعضًا، فينبغي رد المحكم إلى المتشابه

ولأهل السنة في ذلك طريقان، طريق أول تأويلًا إجماليًا بأن يصرف الآية عن ظاهرها الموهم للتشبيه، مع ترك الخوض في تعيينِ معنًى تقتضيه لغة العرب ويليق بالله تعالى ولا يتناقض مع الآيات الأخرى، وبمعناه التفويض. وطريق آخر وهو التأويل التفصيلي بأن يصرف الآية عن ظاهرها الموهم للتشبيه ويعيِّن معنًى مما تقتضيه لغة العرب مما لا يخالف الآيات الأخرى ويليق بجلال الله وعظمته.

وقد سبق بيان ذلك، ولكن لأهمية هذا الموضوع نشرحه هنا مع زيادة إيضاح وأمثلة على ما سبق فنذكر تعريف المحكم والمتشابه ثم نصوص محكمة ونصوص متشابهة ثم أمثلة لمن أول من أهل السنة تأويلًا إجماليًا وأمثلة لمن أول تأويلًا تفصيليًا.

المحكم في اللغة: العرب تقول: حكمت وأحكمت وحكّمت بمعنى رددت ومنعت، ومن هذا قيل للحاكم بين النّاس حاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم، وحكمة اللجام ما أحاط بالحنك أي ما يمنع الفرس عن الاضطراب، وبناء محكم: أي وثيق يمنع من تعرّض له. وأحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكمًا، واحتكم الأمر واستحكم وثق.

قال الأزهري ما نصه: وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ۝١﴾ [سورة هود] فإنَّ التفسير جاء أنه أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام ثم فصّلت بالوعد والوعيد، وتقول: حكَّمت فلانًا تحكيمًا منعتُه عمّا يريد. وحُكِّم فلانٌ في كذا، إذا جُعل أمرُه إليه.

المحكم في الاصطلاح: قيل فيه أقوال بعضها:

* إن المحكم هو ما لا يحتمل إلا معنًى واحدًا.
* المحكم ما تأويله تنزيله.
* المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل.
* المحكم ما وضح معناه.

* المحكم ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلا وجهًا واحدًا، أو ما عرف بوضوح المعنى المراد منه كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سورة مريم].

بعض الأمثلة عن المحكم:

١. من القرءان:

* قوله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] أصرح آية في تنزيه الله التنزيه الكلي عن مشابهة المخلوقين في الذات والصفات والأفعال.

* سورة الإخلاص فيها ما فيها من تنزيه الله عن الشريك واستغنائه عن العالمين وفي نفي الأم والأب والزوجة والولد عنه تعالى ونفي التشبيه والجسمية عن الله سبحانه وتعالى.

* وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۝٣٨﴾ [سورة محمد] دلّت هذه الآية على كونه تعالى غنيًا لأن كل جسم مركب وكل مركب محتاج إلى كل واحد من أجزائه، وأيضًا لو وجب اختصاصه بالجهة لكان محتاجًا إلى الجهة، وذلك يقدح في كونه غنيًا على الإطلاق.

* وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢٥٥﴾ [سورة البقرة] نعلم أنّ القيوم من يكون قائمًا بنفسه مقوّمًا لغيره فكونه قائمًا بنفسه عبارة عن كونه غنيًا عن كل ما سواه، وكونه مقوّمًا لغيره عبارة عن احتياج كل ما سواه إليه، فلو كان جسمًا لكان هو مفتقرًا إلى غيره وهو جزؤه ولكان غيره غنيًا عنه وهو جزؤه، فحينئذٍ لا يكون قيومًا، وأيضًا لو وجب حصوله في شيء من الأحياز لكان مفتقرًا محتاجًا إلى ذلك الحيّز، فلم يكن قيومًا على الإطلاق لأنه بتقدير أن لا يكون حاصلًا في ذلك الحيّز لم يلزم بطلان ذلك ولا عدمه فكان الحيّز غنيًا عنه، وكان هو مفتقرًا إلى ذلك الحيّز فظهر الفرق.

* وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سورة مريم] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هل تعلم له مثلًا»، ولو كان متحيّزًا لكان كل واحد من الجواهر مثلًا له.

* قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ٢٤﴾ [سورة الحشر] وجه الاستدلال أن الخالق في اللغة هو المقدِّر، ولو كان تعالى جسمًا لكان متناهيًا، ولو كان متناهيًا لكان مخصوصًا بمقدار معيّن، ولما وصف نفسه بكونه خالقًا وجب أن يكون تعالى هو المقدِّر لجميع المقدّرات بمقاديرها المخصوصة، فإذا كان هو مقدَّرًا في ذاته بمقدار مخصوص لزم كونه مقدِّرًا لنفسه، وذلك محال. وأيضًا لو كان جسمًا لكان متناهيًا، وكل متناه فإنه محيط به حدّ أو حدود مختلفة، وكل ما كان كذلك فهو متشكل، وكل ذي شكل فله صورة، فلو كان جسمًا لكان له صورة، ثم إنه تعالى وصف نفسه بكونه مصوِّرًا فيلزم كونه مصوِّرًا لنفسه، وذلك محال، فيلزم أن يكون منزّهًا عن الصورة والجسمية حتى لا يلزم هذا المحال.

* قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ ٣﴾ [سورة الحديد] وصف نفسه بكونه ظاهرًا وباطنًا، ولو كان جسمًا لكان ظاهره غير باطنه فلم يكن الشيء الواحد موصوفًا بأنه ظاهر وبأنه باطن لأنه على تقدير كونه جسمًا يكون الظاهر منه سطحه والباطن منه عمقه فلم يكن الشيء الواحد ظاهرًا وباطنًا، وأيضًا المفسرون قالوا: إنه ظاهر بحسب الدلائل باطن بحسب أنه لا يدركه الحس، ولا يصل إليه الخيال، ولو كان جسمًا لما أمكن وصفه بأنه لا يدركه الحس ولا يصل إليه الخيال.

* قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ١٣﴾ [سورة الأنعام] المكان وكل ما فيها ملك لله تعالى، وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾ [سورة الأنعام] ذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه لله تعالى، ومجموع الآيتين يدلان على أن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى، وذلك يدل على تنزيهه عن المكان والزمان.

* قوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [سورة الحاقة] ولو كان الخالق في العرش لكان حامل العرش حاملًا لمن في العرش فيلزم احتياج الخالق إلى المخلوق.

* قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ۝٣﴾ [سورة الحديد] فهذا يقتضي أن يكون ذاته متقدمًا في الوجود على كل ما سواه، وأن يكون متأخرًا في الوجود عن كل ما سواه، وذلك يقتضي أنه كان موجودًا قبل الحيز والجهة، ويكون موجودًا بعد الحيز والجهة.

* وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ۝٢٢﴾ [سورة البقرة] والند المثل، ولو كان تعالى جسمًا لكان مثلًا لكل واحد من الأجسام لأن الأجسام كلها متماثلة فحينئذٍ يكون الندّ موجودًا على هذا التقدير، وذلك على مضادة هذا النص.

٢. من الحديث:

* الحديث الّذي يرويه البخاريّ وغيره أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن بدء الخلق فقال: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَىءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»، ومعنى «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاء**» أي أنّ العرش الّذي هو سقف الجنّة هو ثاني المخلوقات بعد الماء، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ**»، فيه - كما ذكر ابن حجرٍ في الفتح - دلالة على أنّه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، لأنّ كلّ ذلك غير الله تعالى، ويكون قوله «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاء**» معناه أنّه خلق الماء سابقًا ثمّ خلق العرش على الماء.

* وروى مسلم في الصّحيح عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ أنّه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»، فقوله: «**هو الأول**» دليل على أن الله سبحانه تعالى خالق العالم ليس له ابتداء، وقوله ﷺ: «**وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ**» هو شاهد على أنّ الله تعالى هو الباقي الّذي لا انتهاء ولا انقضاء لوجوده وبقاؤه ذاتي.

* وروى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها في حديث دعاء الاستسقاء أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ**» في الحديث دليل على أنّنا نحن محتاجون إلى الله لا نستغني عنه طرفة عين، والله غنيّ عن العالمين لا يحتاج إلينا لا يحتاج إلى مكان سبحانه وتعالى.

* و في حديث «**لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ**» الذي رواه الحافظ السيوطي في الدر المنثور فيه دليل لأهل السنة على أنه ينبغي للمسلم منّا أن يتفكر في الخلق ولا يتفكر في الخالق كما قال الإمامان الجليلان الإمام أحمد والإمام ذو النون المصري: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» أو «لا يشبه ذلك» فمن أراد من الناس تصوير الخالق أو تخيله فقد شبهه بخلقه وخرج عن ملّة الإسلام، فالحذر الحذر من التشبيه ومن المشبهة.

المتشابه في اللغة: الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا يقال: شبه وشبه وشبيه، والمشبّهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا. واشتبه الأمر إذا اختلط، وتقول أشبه فلان أباه وأنت مثله في الشبه.

والمتشابه أو المتشابهات المتماثلات بمعنى أن يكون أحد الشيئين مشابهًا للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ٧٠﴾ [سورة البقرة] وقال: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ١١٨﴾ [سورة البقرة] ومنه اشتبه الأمران إذا لم يفرق بينهما، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ**» وفي رواية أخرى: «**مُتَشَابِهَاتٌ**».

المتشابه في الاصطلاح: قيل فيه أقوال بعضها:

* ما لا يدرك إلا بالتأويل.
* ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور.

* المتشابه ما لم يتضح معناه.

* والمتشابه هو الذي دلالته على المراد غير واضحة، أو كان يحتمل بحسب وضع اللغة العربية أوجهًا عديدةً، واحتيج لمعرفة المعنى المراد منه لنظر أهل النّظر والفهم الذين لهم دراية بالنصوص ومعانيها ولهم دراية بلغة العرب فلا تخفى عليهم المعاني، إذ ليس لكلّ إنسانٍ يقرأ القرءان أن يفسّره. فالمتشابه كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه].

تتمة: فليعلم أن الآية المتشابهة هي التي تحتمل عدة معانٍ بحسب وضع اللغة العربية فيأتي التأويل للدلالة على المعاني التي تليق ولنفي كل ما يجانب الحق. أما الآية المحكمة فهي واضحة لا لبس فيها، لا تحتاج إلى تأويل يُبرز معناها الباطن، إذ النص المحكم ظاهره وباطنه واحد فقد سمي محكمًا لإحكام دلالته وإيضاح معناه وإبانته، أما النص المتشابه فهو ما له ظاهر موهم وباطن مقصود وسمي متشابهًا لأنه أشبه المحكم من وجه واحتمل معناه، وأشبه غيره مما يخالف معناه معنى المحكم فسمي متشابهًا من هذا الوجه.

تعريف التأويل في اللّغة: هو من الأول أي الرّجوع، وقيل من الإيالة وهي السّياسة.

وفي الاصطلاح: هو صرف اللّفظ عن ظاهره لدليل يصير به المرجوح راجحًا.

ومن هنا فليفهم أن الآيات المتشابهة تحتاج لتأويل وليس التأويل تعطيلًا كما زعموا بل وسمت المشبهة أهل السنة معطلة لأنهم أولوا الآيات، فالتأويل إذًا نوعان تأويل إجمالي وتأويل تفصيلي:

فالإجمالي: هو صرف الآية عن ظاهرها الموهم للتشبيه، مع ترك الخوض في تعيينِ معنًى تقتضيه لغة العرب ويليق بجلال الله وعظمته ولا يتناقض مع الآيات الأخرى. وبمعناه التفويض.

أما التفصيلي: فهو صرف الآية عن ظاهرها الموهم للتشبيه، فإن اقتصر على ذلك من غير التعرض أو الخوض في المعاني المحتملة فهو إجمالي، وإلا فتفصيلي، ويكون بتعيين معنًى مما تقتضيه لغة العرب مما لا يخالف الآيات الأخرى ويليق بجلال الله وعظمته، لكن من غير

الجزم بأن هذا المعنى هو المراد دون غيره، بل على معنى الاحتمال بأن يكون هو المعنى المراد عندما يكون لمعنى اللفظ أكثر من احتمالين.

أمثلة على بعض من أوَّل تأويلًا إجماليًا:

* قال أبو حامد الغزالي: «العلم بأنه تعالى استوى على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء».

وقال أيضًا: «وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته».

* قال الفقيه الحنفي ملا علي القاري ما نصه: «أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع في أزمنتهم يفوضون علمها ـ يعني آيات الصفات ـ إلى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن ظاهرها الذي لا يليق بجلال ذاته، وأكثر الخلف يؤولونها بحملها على محامل تليق بذلك الجلال الأقدس والكمال الأنفس لاضطرارهم إلى ذلك لكثرة أهل الزيغ والبدع في أزمنتهم».

* قال الحافظ العراقي ما نصه: «تكرر ذكر وجه الله تعالى في الكتاب والسنة وللناس في ذلك كغيره من الصفات مذهبان مشهوران أحدهما إمرارها كما جاءت من غير كيف فنؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها مع الجزم بأن الله ليس كمثله شىء وأن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، وثانيهما تأويلها على ما يليق بذاته الكريم».

* قال أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري عند كلامه على المتشابه ما نصه: «فلأصحابنا في ذلك طريقان أحدهما الإعراض عن التأويل والإيمان بها كما جاءت، والإيمان بها صحيح وإن لم يُعرف معناها».

أمثلة على بعض من أوَّل تأويلًا تفصيليًا:

وَأما كف بَاطِنه فلئلا يتوغل فِي شَىء يكون كفرًا وَلَا يتمكَّن من صرفه عَن نَفسه وَلَا يُمكن غَيره ذَلِك.

وَأما اعتِقَاده أَن النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلم يعلم ذَلِك فليعلمه وَلَا يقس نَفسه بِهِ، وَلَا بِأَصحَابِهِ وَلَا بأكابر العلمَاء فالقلوب معادن وجواهر[1].

---

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال في تفسير الآية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة القلم]: «عن نور عظيم».

* وعن سفيان الثوري رضي الله عنه فقد روى الحافظ البيهقي أيضًا بالإسناد إلى معدان العابد قال: سألت سفيان الثوري عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد] قال: «علمه».

* ومنهم الإمام مالك رضي الله عنه فقد نقل الزرقاني عن مالك أنه قال في حديث: «**ينزل ربنا**»: «معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته».

* الإمام البيهقي روى بإسناده عن الإمام أحمد بن حنبل أنَّه تأوّل قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] أنه جاء ثوابه، وقال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه»: «كان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ».

* أوّل الشافعي رضي الله عنه قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة البقرة] فقال: «فثمَّ الوجه الذي وجَّهكُم الله إليه».

(١) الإنسان إذا علم شيئًا وكان هذا الشيء مما يعلمه السادات الأكابر فلا يظنن هذا الإنسان أنه صار بمنزلتهم لئلا يغتر بنفسه فيتجاوز قدره فيهلك، ثم إن هذا الإنسان قد لا يتجاوز علمه بهذا المعلوم أكثر من معرفة ظاهره ولفظه، وغيره من الأنبياء عليهم السلام والأولياء رضي الله عنهم من سعة فهمهم وعلمهم ونور بصيرتهم وتوقد ذكائهم يعلمون من أسرار هذا

[فصل في تنزيه الله عن الجهة]

ثمَّ الكَلَام بعد هَذَا فِي فصلين أَحدهمَا فِي تَنزِيه الله تَعَالَى عَن الجِهَة فَنَقُول:

[الفصل] الأول

أَن القَوم إِن بحثوا بالأخبار والآثار فقد عرفت مَا فِيهَا وَأَنَّهُم مَا ظفروا بصحابي وَلَا تَابِعِيّ يَقُول بمقالتهم على أَن الحق فِي نفس الأَمر أَن الرِّجَال تعرف بِالحَقِّ وَلَا يعرف الحق بِالرِّجَالِ[1].

المعلوم وحكمه ودرره ما يستغرق مجلدات لو أرادوا شرحه، فليقف العامي عند حده وليقتد بالأكابر.

(١) يروى هذا القول عن سيدنا علي رضي الله عنه بلفظ: «إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله» أورده الزرقاني في المواهب اللدنية، ونقول الرجال تعرف عند الشدائد، تعرف بالجرأة على قول الحق تعرف باتباع الحق وبنصر الحق وبالدفاع عن الحق، فالرجل إن أخطأ واتبع الباطل أو حكم بهواه بما يخالف الحق فلا يصير هذا الباطل حقًا من أجل هوى هذا الرجل، فلا ينقلب الباطل حقًا لكثرة من يعمل به من الرجال ويعرف من ذلك أن الباطل باطل لو عمل به ألف رجل والحق أحق أن يتبع، اعرف الحق تعرف أهله، وليكن ميزانك الحق أي الشرع لا ذوات وسير وأقوال المبطلين ولو كثروا فهؤلاء لو ملأوا السهل والوادي وغطوا وجه البحر من كثرتهم فهم في الحقيقة كالعدم كلا شيء، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠٠﴾ [سورة المائدة].

وَقد روى أَبُو دَاوُد فِي سنَنه عَن معَاذ[1] رَضِي الله عَنهُ أَنه قَالَ: اقبلُوا الحق من كل (مَا)[2] جَاءَ بِهِ وَإِن كَانَ كَافِرًا أَو قَالَ فَاجِرًا[3] واحذروا زيغة الحَكِيم[4]، قَالُوا كَيفَ نعلم أَن الكَافِر يَقُول الحق، قَالَ إِن على الحق نورًا[5]. وَلَقَد صدق رَضِي الله عَنهُ.

---

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن صحابي جليل كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. **تقريب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (ص ٥٣٥).

(٢) في المطبوعة «من».

(٣) لفظ الحديث: «وَقَد يَقُولُ المنَافِقُ كَلِمَةَ الحَقِّ» ومعناه: أي قد يقول المنافق أو الكافر كلمة الحق والصواب بأن يجريها الله على لسانه وإن لم يكن من أهلها.

(٤) لفظ قول معاذ: «أُحَذِّرُكُم زَيغَةَ الحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيطَانَ قَد يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الحَكِيمِ». ومعناه: أي أنا أحذركم زيغة الحكيم وهو وهو ما مال فيه عن الحق وعدل عنه، وقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة»، وقوله: «فإن الشيطان قد يقول كلمة من «الضلالة على لسان الحكيم» كأن يتكلم الشيطان بكلمة الضلالة، فيسمعها الناس ويظهر لهم أنها من الحكيم، وذلك محنة من الله يمتحن بها عباده، ويحتمل أن الشيطان يوسوس للحكيم في قلبه بكلمة الضلالة فيسبق لسانه إليها على سبيل السهو والذهول عما ينطق به لسانه؛ ليضل الله بتلك الكلمة من يشاء، ثم إن الحكيم قد يهتدي إلى ما جرى على لسانه فيرجع إلى الحق، وقد يشتهر عنه فلا يستطيع إبطالها.

(٥) لفظه: «اجتَنِب مِن كَلَامِ الحَكِيمِ المشتَهرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ وَلَا يُثنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنهُ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَن يُرَاجِعَ وَتَلَقَّ الحَقَّ إِذَا سَمِعتَهُ فَإِنَّ عَلَى الحَقِّ نُورًا» معناه: اجتنب من كلام الحكيم الأمور المشتهرات التي اشتهرت بين الناس وظهر شنعها في الشريعة وقبحها مع اشتباه

وَلَو تطوقت قلادة التَّقلِيد لم نَأمَن أَن كَافِرًا يأتينا بِمن هُوَ مُعظم فِي مِلَّته وَيَقُول اعرفوا الحق بِهَذَا[1].

وَإِذا قد علمت أَن القَوم لَا مستروح[2] لَهُم فِي النَّقل، فَاعلَم أَن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لم يُخَاطب إِلَّا أولي العُقُول والألباب والبصائر، وَالقُرءان طافح بذلك، وَالعقل هُوَ المُعَرّف بِوُجُود الله تَعَالَى ووحدته، ومبرهن رِسَالَة أنبيائه، إِذ لَا سَبِيل إِلَى معرفَة إِثبَات ذَلِك بِالنَّقلِ، وَالشَّرع قد عدل العقل[3]، وَقبل شَهَادَته، وَاستدلَّ

حقيقتها وهي التي يقال فيها ما هذِه الكلمة؟، وقوله: «ولا يثنينك» بفتح أوله وسكون المثلثة وتشديد نون التوكيد الثقيلة، أي: لا يصرفنك ويصدنك ذلك عنه أي عن متابعة الحكيم الذي أرجح كلامه الحكمة الصادرة عن العقل الكامل والفهم الثاقب فإنه لعله أن يراجع أي يرجع إلى الحكمة والصواب، وقوله: «وتلق الحق إذا سمعته» أي استقبله بكليتك وخذه وتفهمه واعمل به، وعلمه للمحتاج إليه إذا سمعته من الحكيم أو غيره ، وتلق بفتح المثناة فوق واللام والقاف المشددة، وقوله: «فإن على الحق نورًا» أي: كلمة الحق لها نور وضوء كضوء النهار، كما أن كلمة الباطل عليها ظلمة كظلمة الليل ينكرها القلب كما يقبل كلمة الحق.

(١) بعد ما ذكره سابقًا ابن جهبل يستنتج أننا لو التزمنا بتقليد الرجال مطلقًا ولو كانوا على الباطل والضلالة وأرجعنا الحق إليهم بحيث لا نعرفه إلا بهم ووضعنا ذلك كالقلادة في أعناقنا لاحتج علينا الكافر وزكّى رجالًا من دينه الباطل وقال ما جاء منسوبًا إليهم يكون هو الحق طبقًا لمعيار التقليد.

(٢) استروَحَ كَمَا فِي الصّحاح وَفِي غَيره من الأُمهات استراحَ إِليه. **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي، مادة (روح)، (ج ٦ / ص ٤٢٢).

(٣) قال شرف الدين التلمساني في شرح لمع الأدلة ما نصه: «إن الشرع إنما ثبت بالعقل فلا يتصور وروده بما يكذب العقل فإنه شاهده فلو أتى بذلك لبطل الشرع والعقل معًا، فإذا تقرّر هذا فنقول كل لفظ يرد من الشرع في الذات والأسماء والصفات بما يوهم خلاف العقل

بِهِ فِي مَوَاضِع من كِتَابه كالاستدلال بالإنشاء على الإعادة[1]، وَقوله تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [سورة يس]. وَلَقَد هدم الله تَعَالَى بِهَذِهِ الآيَة مبَاحث الفلاسفة فِي إنكَار المعَاد الجسماني[2].

وَاستدلَّ بِهِ على التَّوحِيد فَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[3] [سورة الأنبياء] وَقَال تعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا

فلا يخلو إما أن يكون متواترًا أو ءاحادًا، فإن كان ءاحادًا وهو نص لا يحتمل التأويل قطعنا بتكذيب ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهرًا فالظاهر منه غير مراد، وإن كان متواترًا فلا يُتصور أن يكون نصًا لا يحتمل التأويل فلا بُد أن يكون ظاهرًا أو محتمِلاً فحينئذ نقول الاحتمال الذي دل العقل على خلافه ليس بمراد منه، فإن بقي بعد إزالته احتمال واحد تعين أنه المراد بحكم الحال، وإن بقي احتمالان فصاعدًا فلا يخلو إما أن يدل قاطع على تعيين واحد منها أو لا، فإن دَلَّ حمل عليه وإن لم يدل قاطع على التعيين فهل يعين بالظن والاجتهاد اختلف فيه فمذهب السلف عدم التعيين خشية الإلحاد في الأسماء والصفات» اهـ.

(١) يشير العلامة ابن جهبل إلى قول الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء] وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [سورة ق] وغير ذلك مما يشبهه.

(٢) حيث كان هؤلاء الفلاسفة يعتقدون أن الحشر يكون للروح فقط.

(٣) دلت الآية على أنه لا يصح أن يكون للعالم صانعان خالقان لأنه لو كان للعالم صانعان لثبت بينهما صحة التمانع أي بأن يغلب هذا هذا أو يغلب هذا الآخر، وبيان ذلك أن أحدهما لو كان أراد أن يخلق في شخص واحد حياة والآخر موتًا فإن حصل مرادهما كان ذلك محالًا لأنه جمع بين ضدين، أو نفذت إرادة أحدهما دون الآخر وفي ذلك تعجيز من لم تنفذ إرادته والعاجز منحط عن درجة الألوهية إذ العجز من أمارات الحدوث، فإن قيل أليس يجوز اتفاقهما على أن لا يختلفا في إيجاد شيء أو إعدامه، فالجواب أن يقال الموافقة

بينهما إن كانت عن ضرورة فقد ثبت عجزهما يعني إن كانت هذه الموافقة بينهما عن اضطرار منهما فقد ثبت عجزهما، معنى ذلك أن اضطرارهما إلى الموافقة عجز ومن شأن الإله أن يكون غير مضطر إلى شىء وإن كانت عن اختيار فيمكن تقدير الاختلاف بينهما وذلك كاف، إمكان تقدير الاختلاف بينهما يكفي لفساد ثبوت الألوهية لهما، وهذا البرهان العقلي فهم من هذه الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

فإن قال قائل إن التعبير القرءاني بـ«في» في هذه الآية يقتضي أن الله ضمن هذا العالم وأنه لو فرض وجود آلهة غيره ضمنه معه لم تستقم السموات والأرض، فالجواب أن في بمعنى اللام أو بمعنى على أي لو كان لهما أو كان عليهما أي مسيطر أي للأرض والسماء آلهة إلا الله أي غير الله لفسدتا، فلا حجة في الآية للمجسمة أي الذين يثبتون لله التحيز والمكان الذي هو من شأن الأجسام فالجسم لا بد له من حيز ومكان فهم لما اعتقدوا في الخالق أنه لا بد أن يكون جسما أثبتوا له الحيز والمكان وهذه الآية قد يتعلق بها من هو على مشربهم لإثبات الحيز لله نظرًا إلى في المقتضية للظرفية بحسب استعمالها الأكثر كما إذا قلنا زيد في الدار معناه أن الدار ظرف له فهي للظرفية هنا لأنه لا دليل لإخراجها عن الظرفية، فحيث لا دليل على الإخراج عن الظرفية يترك على ظرفيته لأنه الاستعمال الأغلب.

بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾[1] [سورة المؤمنون] وَقَالَ تَعَالَى، ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2] [سورة الأعراف] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[3] [سورة يونس] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ

---

(١) أي أن الله سبحانه وتعالى منفرد بالخلق والإيجاد والألوهية ليس معه شريك وإلا لو كان معه شريك وذلك محال لغلب بعضهم بعضًا كما يفعل ملوك الدنيا فحينئذ إذا تخالفت أوامرهم، فلم يرض أحد منهم أن يضاف ما خلقه إلى غيره، ولا أن يمضي فيه أمر على غير مراده، كما هو مقتضى العادة، فلا يكون المغلوب إلهًا لعجزه، ولا يكون مجيرًا غير مجار عليه، بيده وحده ملكوت كل شيء، وفي ذلك إشارة إلى أنه لو لم يكن ذلك الاختلاف لأمكن أن يكون، فكان إمكانه كافيًا في إبطال الشركة لما يلزم ذلك من إمكان العجز المنافي للإلهية، كما بين في الأنبياء.

ولما طابق الدليل الإلزام على نفي الشريك، نزه نفسه الشريفة بما هو نتيجة ذلك بقوله: «سبحان الله» أي المتصف بجميع صفات الكمال، المنزه عن كل شائبة نقص «عما يصفون» من كل ما لا يليق بالله تعالى من الشريك والولد وغيره.

(٢) أي أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله، في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض، وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك، ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لمنْ لا نظير له ولا شبيه، ومِنْ فِعْلِ من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له، فيؤمنوا به، ويصدقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان - أي ينزهوا الله عن الندّ والشريك ويتركوا عبادة الأوثان -، ويحذرُوا أن تكون آجالهم قد اقتربت، فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه.

(٣) أي انظروا ماذا في السماوات والأرض من الدلائل من الشمس، والقمر، والنجوم، وما فى الأرض من الجبال، والبحار، والأشجار، والثمار، فاعتبروا به.

تَتَفَكَّرُواْ﴾[1] [سورة سبأ] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[2] [سورة فصلت].

فيا خيبة من ردَّ شَاهدًا قبله الله، وَأسقط دَلِيلًا نَصبه الله. فهم[3] يلغون مثل هَذَا، ويرجعون إِلَى أَقوَال مشايخهم، الَّذين لَو سُئلَ أحدهم عَن دينه لم يكن لَهُ

---

(١) أي: في أمر وحال محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيته وأنه ليس بمجنون.

(٢) أي سيظهر لهم من الآيات، ومن الأحداث التي تجري في أحوال العالم، وما سيحلّ بهم من اختلاف الأمور ما يتبيّن لهم من خلاله أنّ هذا الدّين حقّ، وأنّ هذا الكتاب حقّ، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم حقّ، وأن المجري لهذه الآيات والأحداث والأمور والمنشئ له هو الحقّ سبحانه، ومن تلك الآيات ما كان من قهر الكفار، وعلوّ الإسلام، وتلاشي أعداء الدين. قال بعض المفسرين: قوله: «سنريهم آياتنا في الآفاق» يعني منازل الأمم الخالية. «وفي أنفسهم» أي بالبلاء والأمراض.

(٣) أي الجهال الذين لا يعرفون الحق كأمثال ابن تيمية والمشبهة والمعتزلة.

قُوَّة على إثبَاته[١]، وَإِذا ركض عَلَيهِ فِي ميدان التَّحقِيق جَاءَ سُكَيْتًا[٢]، وَقَالَ سَمِعت النَّاس يَقُولُونَ شَيئًا فقلته[٣].

وَفِي صَحِيح البُخَارِيّ فِي حَدِيث الكُسُوف مَا يعرف بِهِ حَدِيث هَؤُلَاءِ فِي قُبُورهم[٤].

وَبعد ذَلِك يَقُول العقل الَّذِي هُوَ مناط التَّكلِيف وحاسب الله تَعَالَى النَّاس بِهِ وَقبل شَهَادَته ونصبه وَأثبت بِهِ أُصُول دينه، وَقد شهد بخبث هَذَا المَذهَب[٥]

---

(١) أي دين أولئك واه وضعيف ولم يبنى على أسس متينة كدين الإسلام بحيث لو سئلوا هم عن دينهم عجز لسانهم عن شرحه وبرهانه وإيضاحه وتبيانه، وهنا إشارة من ابن جهبل لهم أن يتراجعوا - أي الجهال والضُّلَّال - عما هم عليه من جهلهم وضلالهم وتكذيبهم للدين وافتراءاتهم الشنيعة ويلتزموا الطريق القويم طريق الإسلام والمسلمين الذين لهم أصل ثابت وأدلة قاطعة قوية متينة لا ريب فيها ولا شك.

(٢) السُّكيت مصغر، العاشر من خيل السباق وهو آخره. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد الفيومي، (س ك ت).

(٣) أي يقول ذلك المتبع للهوى وضعاف العقول أنا لا برهان لدي مما أعتقده إنما أنا اتبعت مشايخي وما كانوا يقولون هكذا علموني، فلو احتج عليه سني لا سبيل له للرد ولا للاحتجاج بأدلته الواهية إنما تراهم غالبًا يهربون أو يسكتون أو يصرخون وهذا حال الساعي إلى الهيجا بغير سلاح.

(٤) مراده بالإشارة إلى هذا الحديث ما فيه من ذم التقليد وهو في قوله: «**لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**» فقد قال شارح البخاري ابن بطال المالكي ما نصه: «وفيه: ذم التقليد وأن المقلد لا يستحق اسم العلم التام على الحقيقة».

(٥) أي مذهب ابن تيمية الضال وأتباعه الذين يقلدونه ولا يُعملون العقل.

وَفَسَاد هَذِهِ العقيدة[1] وَإِنَّهَا آلت إِلَى وَصفه تَعَالَى بالنقائص[2]، تَعَالَى الله عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ علوًّا كَبِيرًا.

---

(١) أي عقيدة التشبيه أي هؤلاء الذين يشبهون الله بخلقه كالوهابية، الوهابية جعلوا الله كخلقه عندهم الله تبارك وتعالى حجم أي جسم مستقر على العرش الله تبارك وتعالى وصف نفسه أنه ليس كمثله شيء أي لا يشبه شيئًا من خلقه.

(٢) قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢﴾ [سورة الحاقة] أي نزّه الله عن النقائص والسوء وكل ما لا يليق به واشكره على أن جعلك أهلًا لإيحائه إليك، وفي هذه الآية دليل على أن المؤمن مأمور بتنزيه خالقه عن صفات المخلوقين من الجهل والعجز والمكان والجسمية والكمية أي الحجم، قال الإمام السلفي أبو جعفر الطحاوي: «وتعالى ـ أي الله ـ عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات»، فالله تعالى ليس له حد أي حجم كبير ولا حجم صغير لأن كل ذلك من صفات المخلوقين والله تعالى منزه عن ذلك.

[براهين نفي الجهة عن الله عزّ وجلّ]

وَقد نبهت[١] مَشَايِخ الطَّرِيق على مَا شهد بِهِ العقل ونطق بِهِ القُرءان بأسلوب فهمته الخَاصَّة وَلم تنفر مِنهُ العَامَّة وَبَيَان ذَلِك بِوُجُوه.

البُرهَان الأول

وَهُوَ المقتبس من ذِي الحسب الزكي وَالنّسب العلي سيد العلمَاء ووارث خير الأَنبِيَاء جَعفَر الصَّادِق رَضِي الله عَنهُ قَالَ لَو كَانَ الله فِي شَيء لَكَانَ محصورًا[٢].

---

(١) ذكر الفعل هنا بصيغة التأنيث وفاعله «مشايخ» وهو جمع تكسير وقد قال علماء اللغة في الفاعل من هذا النوع أنه يؤنث له الفعل ويذكر، فمن أنّث فعلى معنى الجماعة، ومن ذكّر فعلى معنى الجمع.

(٢) قَالَ جَعفَر الصَّادِق رَضِي الله عَنهُ: «من زعم أَن الله فِي شَيء أَو من شَيء أَو على شَيء فقد أشرك، إِذ لَو كَانَ فِي شَيء لَكَانَ محصورًا، وَلَو كَانَ على شَيء لَكَانَ محمُولًا، وَلَو كَانَ من شَيء لَكَانَ مُحدثًا». **الرسالة القشيرية**، عبد الملك القشيري، (ص ٢٩). وقال رضي الله عنه: «التوحيد ثلاثة أحرف أن تعرف أنه ليس من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء لأن من وصفه أنه من شيء فقد وصفه أنه مخلوق فيكفر ومن وصفه أنه في شيء فقد وصفه أنه محدود فيكفر ومن وصفه أنه على شيء، فقد وصفه أنه محتاج فيكفر».

فاعلم أخي المسلم أن طلب علم الدين ـ أي القدر الضروري منه ـ فرض عين بحيث لا يجوز لكل مكلف جهله. وأن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعدَ أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع واعتقدوا ما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل وعرفوا ما هو حقُّ الله عليهم. ولأهمية هذا البحث اشتغلوا

وَتَقرِير هَذِه الدّلَالَة أَنه لَو كَانَ فِي جِهَة مشارًا إِلَيهِ لزم تناهيه، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذا كَانَ فِي هَذِه الجِهَة دون غَيرهَا فقد حُصر فِيهَا دون غَيرهَا، وَلَا معنى لتناهيه إِلَّا ذَلِك، وكل متناه مُحدث، لِأَن تَخصِيصه بِهَذَا المِقدَار دون سَائِر المَقَادِير لَا بُد لَهُ من مُخَصص.

فقد ظهر بِهَذَا البُرهَان الَّذِي يَبدَهُ[1] العُقُول أَن القَول بالجهة يُوجب كَون الخَالِق مخلوقًا والرب مربوبًا وَأَن ذَاته متصرف فِيهَا وَتقبل الزِّيَادَة وَالنُّقصَان، تَعَالَى الله عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ علوًّا كَبِيرًا.

البُرهَان الثَّانِي

المُستفَاد من كَلَام الشبلي رَضِي الله عَنهُ شيخ الطَّرِيق وَعلم التَّحقِيق فِي قَوله: الرَّحمَن لم يزل، وَالعرش مُحدث، وَالعرش بالرحمن استوى[2].

بتأليف الرسائل العلمية في توحيد الله وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين لأن من وقع في التشبيه والتجسيم يكون خارجاً من دين الإسلام.

(١) أي ينزل هذا الدليل من العقول منزلة واضحة لا يستطاع تكذيبها ولا الجدال فيها لظهورها.

(٢) سئل الشِّبْلي عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾ [سورة طه] فقال: «الرحمن لم يزَلْ، والعرشُ مُحدَثٌ، والعرشُ بالرحمن استوَى»، ومعناه العرشُ بإيجاد الله تعالى تَمَّ، أما قول «استوَى الله بالعرشِ» فلا يَصِحُّ لأنَّهُ يُشعِرُ بالنّقصِ، والنّقصُ على الله مستحِيلٌ، والمراد باستوى قهر الله العرش ومعنَى قَهرِ الله للعرشِ الذي هو أعظمُ المخلوقاتِ أنّ العرشَ تحت تصرُّفِ الله، هو خلَقَهُ وهو يحفَظُهُ، يحفظُ عليهِ وجودَهُ، ولولا حِفظُ الله تعالى له لَهَوَى إلى

وَتَقرِيره أَن الجِهَة الَّتِي يختَص الله تَعَالَى بهَا على قَولهم - تَعَالَى الله عَنهَا - وسمّوها العَرش، إِمَّا أَن تكون مَعدُومَة أَو مَوجُودَة وَالقسم الأول محَال بالِاتِّفَاقِ، وَأَيضًا فَإِنَّهَا تقبل الإِشَارَة الحسية، وَالإِشَارَة الحسية إِلَى العَدَم محَال، فَهِيَ مَوجُودَة وَإِذا كَانَت مَوجُودَة فَإِن كَانَت قديمَة مَعَ الله فقد وجد لنا قديم غير الله، وَغير صِفَاته، فَحِينَئِذٍ لَا يدرى أَيهمَا الأَوّلَةُ[1] وَهَذَا خبث هَذِه العقيدة[2]. وَإِن كَانَت حَادِثَة فقد حدث التحيز بِاللهِ تَعَالَى، فَيلزم أَن يكون الله قَابلًا لصفات نفسية حَادِثَة تَعَالَى الله عَن ذَلِك[3].

الأسفلِ فتحطَّمَ، فالله تعالى هو أوجدَهُ ثم هو حَفِظَه وأبقاه، هذا معنى قَهَرَ العرشَ، وهو سبحانَهُ وتعالَى قاهِرُ العالمِ كلّه.

(١) أي الأولى. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (حرف اللام / فصل الواو)، (ج ١١ / ص ٧١٩).

(٢) يسخر العلّامة ابن جهبل من عقيدة ابن تيمية حيث أقر للجهة بالقدم مع الله هربًا من الإشكالات فاستجار من الرمضاء بالنار، وألزمه العلّامة ابن جهبل بما ألزمه به ولا مفر له من ذلك.

(٣) أي ذلك يلزم منه أن يكون وجود الله تعالى حادث وذلك محال لما تقرر في العقل ولما تقرر من الأدلة القاطعة وإجماع أهل الحق.

البُرهَان الثَّالِث

المُستَفَاد من لِسَان الطَّرِيقَة وَعلم الحَقِيقَة وطبيب القُلُوب وَالدَّلِيل على المحبوب أبي القَاسِم الجُنَيد رَضِي الله عَنهُ قَالَ: مَتى يتَّصل من لَا شَبيه لَهُ وَلَا نَظِير بِمن لَهُ شَبيه وَنَظِير، هَيهَات هَيهَات، هَذَا ظن عَجِيب[1].

وَتَقرِير هَذَا البُرهَان أنه لَو كَانَ فِي جِهَة فإمَّا أَن يكون أكبر، أَو مُسَاوِيًا، أَو أَصغَر والحصر ضَرُورِيّ.

فَإِن كَانَ أكبر كَانَ القدر المسَاوِي مِنهُ للجهة مغايرًا للقدر الفَاضِل مِنهُ، فَيكون مركبًا من الأَجزَاء والأبعاض، وَذَلِكَ محَال لِأَن كل مركب فَهُوَ مفتقر إِلَى جزئه، وجزؤه غَيره، وكل مركب مفتقر إِلَى الغَير، وكل مفتقر إِلَى الغَير لَا يكون إِلَهًا.

وَإِن كَانَ مُسَاوِيًا للجهة فِي المِقدَار والجهة منقسمة لإِمكَان الإِشَارَة الحسية إِلَى أبعاضها، فالمساوي لَهَا فِي المِقدَار منقسم.

وَإِن كَانَ أَصغر مِنهَا ـ تَعَالَى الله عَن ذَلِك علوًّا كَبِيرًا ـ فَإِن كَانَ مُسَاوِيًا لجوهر فَرد فقد رَضوا لأَنفُسِهِم بِأَن إلههم قدر جَوهَر فَرد وَهَذَا لَا يَقُوله عَاقل، وَإِن كَانَ مَذهَبهم لَا يَقُوله عَاقل، لَكِن هَذَا فِي بادئ الرَّأي يضحك مِنهُ جهلة الزنج[2].

---

(١) قال الجُنَيد رحمه الله تعالى: «متى يتّصل مَن لا شبيه له ولا نظير له بما له شَبيهٌ ونظِيرٌ؟! هيهاتَ، هذا ظَنٌّ عجيب إلا بما لَطَف اللّطيفُ مِن حيث لا دَرك ولا وَهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان».

(٢) معناه مذهب ابن تيمية في نسبة الجهة إلى الله تعالى مذهب لا تفهمه العقول، وقد بلغ في التردي مرحلة يسخر ويستهزئ منها أجهل الناس.

وَإِن كَانَ أكبر مِنهُ انقسم فانظروا إِلَى هَذِه النحلة وَمَا قد لَزِمَهَا تَعَالَى الله عَنهَا.

البُرهَان الرَّابِع

المُستَفَاد من جَعفَر بن نُصَيْر رَحمَه الله وَهُوَ أَنه سُئِلَ عَن قَوله تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] فَقَالَ: استَوَى بِعِلمِهِ بِكُل شَيء، فَلَيسَ شَيء أقرب إِلَيهِ من شَيء.

وَتَقرِير هَذَا البُرهَان أَن نِسبَة الجِهَات إِلَيهِ على التَّسوِيَة فَيمتَنع أَن يكون فِي الجِهَة.

وَبَيَان أَن نسبتها إِلَيهِ على التَّسوِيَة أَنه قد ثَبت أَن الجِهَة أَمر وجودي فَهِيَ إِن كَانَت قديمَة مَعَ الله لزم وجود قديمين متميزين بذاتيهما لِأَنَّهُمَا إِن لم يتميزا بذاتيهما فالجهة هِيَ الله تَعَالَى وَالله هُوَ الجِهَة، تَعَالَى الله عَن ذَلِك.

وَإِن لم تكن قديمَة فاختصاصه بهَا إِمَّا أَن يكون لِأَن ذَاته اقتَضَى ذَلِك فَيلزم كَون الذَّات فاعل فِي الصِّفَات النفسية أَو غير ذاتية فنسبة الجِهَات إِلَى ذَاته على التَّسوِيَة فمرجح جِهَة على جِهَة أَمر خَارج عَن ذَاته فَلَزِمَ افتقاره فِي اختِصَاصه بالجهة إِلَى غَيره، والاختصاص بالجهة هُوَ عين التحيز والتحيز صفة قَائِمَة بِذَات المتحيز فَلَزِمَ افتقاره فِي صفة ذَاته إِلَى غَيره وَهُوَ على الله تَعَالَى مُحَال.

[تعقيب على براهين نفي الجهة]

ثمَّ اعلَم أَن هَذِه البَرَاهِين الَّتِي سردناها وتلقيناها من مَشَايِخ الطَّرِيق فَإِنَّمَا استنبطوها من الكتاب العَزِيز وَلَكِن لَيسَ كل مَا فِي الكتاب العَزِيز يعرفهُ كل أحد، فَكل يغترف بِقدر إنائه[1]، وَمَا نقصت قَطرَة من مَائه.

وَلَقَد كَانَ السّلف يستنبطون مَا يَقع من الحروب وَالغَلَبَة من الكتاب العَزِيز وَلَقَد استنبط ابن برجان رَحمَه الله[2] من الكتاب العَزِيز فتح القُدس على يَد صَلَاح الدّين فِي سنته، واستنبط بعض المُتَأَخِّرين من سُورَة الرّوم إِشَارَة إِلَى حُدُوث مَا كَانَ بعد سنة ثَلَاث وَسبعين وسِتمِائَة وَلَقَد استنبط كَعب الأَحبَار رَضِي

---

(١) أي ليس كل أحد منهم يعرف كل ما في كتاب الله تعالى ويحفظه إنما البعض قدر على معرفة جزء والبعض الآخر يسر الله له معرفة الجل والبعض الآخر قد أنعم الله عليه أن حفظ القرءان كله وفقه معانيه، وهذا لا ينقص من قدر العلماء علماء أهل السنة إنما المطلوب أن يكون الشخص على العقيدة الحقة الموافقة للكتاب العزيز والأثر وينصر بما يعرفه الدين.

(٢) عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي أبو الحكم متصوف من مشاهير الصالحين. توفي بمراكش. **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، (ج ٤ / ص ١٣).

اللهُ عَنهُ[1] من التَّورَاة أَن عبد الله ابن قلَابَة[2] يدخل إرم ذَات العِمَاد، وَلَا يدخلهَا غَيره، وَكَانَ يستنبط مِنهَا مَا يجرِي من الصَّحَابَة رَضِي الله عَنهُم، وَمَا يلاقيه أجناد الشَّام وَذَلِكَ مَشهُور. وَالله تَعَالَى أنزل فِي كِتَابه مَا يفهم أحد الخلق مِنهُ الكثير وَلَا يفهم الآخر من ذَلِك شَيئًا وَلَقَد تخْتَلف المَرَاتِب فِي استنباط الأَحكَام من كَلَام الفُقَهَاء والمعاني من قصائد الشُّعَرَاء.

---

(١) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في دولة عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي فيها عن مئة وأربع سنين. **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، (ج ١١/ ص ٦٢٧).

(٢) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي: عالم بالقضاء والأحكام، ناسك من أهل البصرة، أرادوه على القضاء فهرب إلى الشام ومات فيها، وكان من رجال الحديث الثقات. **طبقات الفقهاء** الشيرازي، (ص ٨٩).

[بعض ما ورد في القرءان في نفي الجهة]

فَأَما مَا ورد فِي الكتاب العَزِيز مِمَّا يَنفِي الجِهَة فتعرفه الخَاصَّة وَلَا تشمئز مِنهُ العَامَّة فمن ذَلِك قَوله تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[1] [سورة الشورى]، وَلَو حصرته جِهَة

---

(١) هذه الآية كافية لمن فهمها في تنزيه الله تعالى عن الجسمية وعن صفات الجسم فلو كان الله تعالى جسمًا لطيفًا أو كثيفًا لكان له أمثال لا تحصى وكذلك لو كان متصفًا بصفة من صفات الجسم الكثيف أو اللطيف لكان له أمثال فثبت بمقتضى هذه الآية أن الله ليس جسمًا لطيفًا كالضوء والظلام والريح ولا جسمًا كثيفًا كالإنسان والشمس والقمر.

ولو كان ساكنًا مرة ومتحركًا مرة كما تزعم المشبهة الوهابية ومن قبلهم من المشبهة فإنهم يعتقدون أن الله تعالى ساكن على العرش مستقر ثم ينزل كل ليلة من العرش إلى السماء الدنيا التي هي بالنسبة للعرش من حيث المساحة كالنقطة في جنب البحر يعتقدون أنه يقض الثلث الأخير من الليل في السماء الدنيا ثم ينتقل منها إلى العرش مستقره على زعمهم، وليس عندهم حجة عقلية ولا حجة نقلية إلا أنهم يفسرون بعض الآيات القرءانية والأحاديث على ظواهرها ولا يفسرون الآيات والأحاديث التي ظواهرها يوهم أن الله تعالى في غير جهة الفوق بل يؤولونها.

الله تعالى أنزل في القرءان امتحانًا لعباده ءايات توهم ظواهرها أن الله مستقر في جهة الفوق أو أنه يتحرك ولكن المراد منها غير هذا المعنى، وكذلك من الأحاديث التي ظواهرها أن الله مستقر في جهة الفوق وأنه ينزل بالحركة وفيها أي في القرءان والحديث ما يوهم ظواهره أن الله له أعضاء وليس هذا مراد الله ولا مراد الرسول. أما أهل السنة الله تعالى منَّ عليهم بأن فهموا هذه الآيات وهذه الأحاديث على معان غير ظواهرها فأسعد أهل السنة بفهمهم للقرءان والحديث على ما يليق بالله تعالى وجعلهم فائزين للنجاة في الآخرة وأشقى المشبهة كالوهابية ومن سبقهم بفهمهم لهذه الآيات على ظواهرها فهلكوا لأنهم خالفوا هذه الآية ليس كمثله

لَكَانَ مثلًا للمحصور فِي ذَلِك البَعض. وَكَذَلِكَ قوله تَعَالَى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[1] [سورة مريم]. قَالَ ابن عَبَّاس رَضِي الله عَنهُ هَل تعلم لَهُ مثلًا. وَيفهم ذَلِك من: ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [سورة البقرة] وَبِنَاء المُبَالغَة فِي أَنه قَائِم بِنَفسِهِ وَمَا سواهُ قَائِم بِهِ، فَلَو قَامَ بالجهة لقام بِغَيرِه. وَيفهم من قَوله تَعَالَى: ﴿ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [سورة الحشر] لِأَنَّهُ لَو كَانَ فِي جِهَة لتُصُورِ، فإمَّا أَن يصور نَفسه، أَو يصوره غَيره، وَكِلَاهُمَا محَال. وَيفهم من قَوله تَعَالَى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [سورة الحاقة] وَلَو كَانَ على العَرْش حَقِيقَة لَكَانَ محمُولًا. وَيفهم من قَوله تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[2] [سورة

شيء؛ فالقرءان الكريم هدى لبعض الناس ليس هدى لكل الناس هدى لمن فهمه على وجهه وكذلك لمن لم يعتقد تلك الظواهر وإن كان لا يعرف تلك الآيات.

(١) أي مثلًا وشبيهًا، ولو كان جسمًا متحيزًا لكان مشابهًا للأجسام في الجسمية.

(٢) قال بعض علماء أهل السنة في تفسير الآية إلا وجهه: إلا ملكه أي إلا سلطان الله. السماء تفنى تتشقق ويتغير لونها وسلطان الله لا يفنى، الأرض تفنى وسلطان الله لا يفنى الأرض تتبدل لا يبقى فيها وهاد ولا جبال يبدلها الله أرضًا بيضاء كالفضة ليس فيها معالم يهتدى بها للسلوك ويظهر أشياء غريبة ذلك الوقت والبشر يموتون والجن يموتون والملائكة يموتون أما ملك الله أي سلطان الله لا يهلك.

ليس معناه أن العالم يفنى يوم القيامة واللهُ يَفنى كلُه ويبقى منه هذا القَدْر - والعياذ بالله تعالى - من فسَّرَه على الظاهر هكذا يكون معناه العالم يفنى كله ولا يبقى منه شيء والله يفنى ويبقى منه هذا القدر انظروا الى أي حد من الجهل يُوصِل تفسير بعض الآيات على الظاهر فلينتبه.

القصص] وَالعرش شَيء يهلك[١]، فَلَو كَانَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لَا فِي جِهَة، ثمَّ صَار فِي جِهَة، ثمَّ صَار لَا فِي جِهَة لوجد التَّغَيُّر، وَهُوَ على الله محَال. وَالمُدَّعِي[٢] لما علم أَن القُرءان طافح بِهَذِهِ الأَشيَاء وَبِهَذَا الإشارات قَالَ هَذِه الأَشيَاء دلالتها كالإلغاز.

أَو مَا علم المَغرُور[٣] أَن أسرار العقائد الَّتِي لَا تحملهَا عقول العَوام لَا تَأتي إِلَّا كَذَلِك. وَأَينَ فِي القُرءان مَا يَنفِي الجسمية إِلَّا على سَبِيل الإلغاز وَهل تفتخر الأذهان إِلَّا فِي استنباط الخفيات كاستنباط الشَّافِعِي رَضِي الله عَنهُ الإِجمَاع من قَوله تَعَالَى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء]، وكاستنباط القِيَاس من قَوله تَعَالَى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ [سورة الحشر] وكما استنبط الشَّافِعِي خِيَار المجلس من نَهيه صلى الله عَلَيهِ وَسلم عَن البيع على بيع أَخِيه[٤].

وزبدة المَسأَلَة أَن العقائد لم يُكَلف النَّبِي صلى الله عَلَيهِ وَسلَّم الجُمهُور مِنهَا إِلَّا بِلَا إِلَه إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول الله كَمَا أجَاب مَالك الشَّافِعِي رَضِي الله عَنهُمَا

---

(١) أي هذا شأنه من حيث العقل لأن العرش مخلوق له بداية، وما له بداية يجوز عليه عقلًا الفناء، ولكن وكما هو معلوم فإن العرش هو سقف الجنة وقد وردت النصوص القرءانية والحديثية ببقاء الجنة، فلهذا قال العلماء ببقاءه، فهو باقٍ بغيره، أي لأن الله شاء له البقاء، أما من حيث ذاته فيجوز عليه عقلًا الفناء.

(٢) أي ابن تيمية.

(٣) أي ابن تيمية.

(٤) الاستنباط هو إعمال المجتهد فكره في المسألة التي لم يرد فيها نص لاستخراج الحكم، ومسألة خيار المجلس قد ورد فيها نص وهو حديث: «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَم يَتفَرَّقَا فَإِن صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيعِهِمَا وَإِن كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَت بَرَكَةُ بَيعِهِمَا**». **صحيح البخاري**، البخاري، (ج ٣ / ص ٦٤).

ووكل البَاقِي إِلَى الله، وَمَا سمع مِنهُ وَلَا عَن أَصحَابه فِيهَا شَىء إِلَّا كَلِمَات معدودات فَهَذَا الَّذِي يخفى مثله ويلغز فِي إفادته.

الفَصل الثَّانِي

فِي إبطَال مَا موّه بِهِ المُدَّعِي ـ أي ابن تيمية ـ من أَن القُرءان وَالخَبَر اشتملا على مَا يُوهم ظَاهره مَا يتنزه الله تَعَالَى عَنهُ على قَول المُتَكَلِّمين[1].

فَنقُول قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾[2] الآيَة [سورة آل عمرن].

---

(١) جمهور الأمة يرون أن النص الذي ظاهره يوهم معنىً لا يليق بالله هو غير مراد، وأن المراد معنى ءاخر يليق بالله ويمكن فهمه بعد تأويله تأويلًا يناسب اللغة العربية التي نزل القرءان بها، إلا ابن تيمية وأتباعه، فإنهم يفسرونه على ظاهره ليصلوا إلى عقيدة التشبيه والتجسيم، ويحملون على المسلمين حمل حقد وافتراء، زاعمين أن التأويل أمر مخلّ بالشريعة.

(٢) القرءان فيه ءايات محكمات وفيه ءايات متشابهات، والمحكمات هي التي دلالتها على المراد واضحة، والمتشابهة هي التي دلالتها على المراد غير واضحة، وقد ذم الله تعالى الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة أي الزيغ أي ابتغاء الإيقاع في الأمر المحظور لأن المشبهة غرضهم في جدالهم أن يوقعوا السني في اعتقادهم الباطل، والذين في قلوبهم زيغ هم أهل الأهواء كالمشبهة والمعتزلة وغيرهم. وقد حصل في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلًا يقال له صبيغ كان يسأل عن المتشابه على وجه يخشى منه الفتنة فضربه سيدنا عمر ثم نفاه وأمر أن لا يختلط الناس به.

وسمى الله تعالى المحكمات أم الكتاب أي أم القرءان لأنها الأصل الذي ترد إليها المتشابهات، ثم المتشابه قسمان أحدهما ما لا يعلمه إلا الله كوجبة القيامة، والثاني يعلمه الراسخون في العلم كمعنى الاستواء المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[سورة طه] فإن الراسخين فسروه بالقهر.

دلّت هَذِه الآيَة على أَن من القُرءان محكمًا وَمِنه متشابهًا والمتشابه قد أُمر العَبد برد تأوِيله إِلَى الله وَإِلَى الراسخين فِي العلم[1].

فَنَقُول بعد ذَلِك إِنَّمَا لم تأت النُبُوَّة بِالنَّصِّ ظَاهرًا على المتشابه لِأَن جلّ مَقصُود النُبُوَّة هِدَايَة عُمُوم النَّاس، فَلَمَّا كَانَ الأَكثَر محكمًا وألجمت العَامَّة عَن الخَوض فِي المُتَشَابه، حصل المَقصُود لَولَا أَن يقيض الله تَعَالَى لَهُم شَيطَانًا يستهويهم ويهلكهم، وَلَو أظهر المُتَشَابه لضعفت عقول العَالَم عَن إِدرَاكه[2].

ثمَّ من فَوَائِد المُتَشَابه رفعَة مَرَاتِب العلمَاء بَعضهم على بعض، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾[3] [سورة يوسف] وَتَحصِيل زِيَادَة الأجور بالسعي فِي تفهمها وتفهيمها وتعلمها وتعليمها[4].

---

(١) النصوصُ المحكماتُ هي التي معانيها واضحة ولا تَحتاجُ الى النظرِ لِحملِها على الوجهِ المطابق. وأما النصوصُ المتشابِهاتُ فهي التي لَها عِدَّةُ معانٍ في لغةِ العربِ وتَحتاجُ للنظرِ لِحَملِها على الوجهِ المطابق أي لِحَملها على الوجهِ الموافقِ للآياتِ المحكمات.

(٢) مراده أي العامة الذين لم يسبق لهم أن تمكنوا في علم التوحيد والعقيدة ومعرفة الأصول واللغة.

(٣) قال عكرمة: كون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم، و قال ابن عباس: فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فوق كل عالم؛ لأنه هو الغني بعلمه عن التعلم، وعلم الله أزلي أبدي هو علم واحد لا يزيد ولا ينقص وليس كعلم العلماء لأن علم العلماء حادث وعلم الله لا يشبه علم العلماء بالمرة.

(٤) أي في ذلك الأمر ثوابًا على الصبر والتحمل للمدرسين الصالحين في تعلمها وتفهمها وتعلمها وتفهيمها لمن تحتهم من المقبلين على العلم والعامة.

وَأَيضًا لَو كَانَ وَاضحًا جليًّا مفهومًا بِذَاتِهِ لما تعلم النَّاس سَائر العُلُوم بل هجرت بِالكُلِّيَّةِ ووضح الكتاب بِذَاتِهِ[1] وَلما احتِيجَ إِلَى علم من العُلُوم المعينَة على فهم كَلَامه تَعَالَى: ثمَّ خُوطِبَ فِي المُتَشَابه بِمَا هُوَ عَظِيم بِالنِّسبَةِ إِلَيهِم، وَإِن كَانَ الأَمر أعظم مِنهُ كَمَا نبَّه عَلَيهِ عبد العَزِيز المَاجشون فِي القبضة، وكما قَالَ تَعَالَى فِي نعيم أهل الجنَّة: ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١﴾ الآيَة [سورة الواقعة].

---

(١) لكي يفسر المفسر القرءان الكريم لا بد له من إحاطة بعلوم كثيرة، منها علوم اللغة العربية وعلوم القرءان الإسلامية وعلوم الفقه وأصوله، وعلوم السنة النبوية وما لهذه العلوم من أصول وفروع وأقسام، فليس كل أحد قادرًا على التفسير والتأويل والاستنباط بل لكل ذلك شرائط، فقال ابن جهبل رحمه الله لو كان القرءان واضحًا بذاته لما احتاج الناس لتعلم العلوم من نحو وصرف وبلاغة ومعرفة بالفقه وأصول الدين من عام وخاص ومطلق ومقيد وعلم مصطلح الحديث من صحيح وحسن وضعيف ومكذوب وغير ذلك من العلوم لفهم كلام الله تعالى.

فَهَذَا عَظِيم عِندهم وَإِن كَانَ فِي الجنَّة مَا هُوَ أعظم مِنهُ كَمَا قَالَ صلى الله عَلَيهِ وَسلم حِكَايَة عن الله عز وَجل: «**أَعددت لعبادي الصَّالِحين مَا لَا عين رَأَت وَلَا أذن سَمِعت وَلَا خطر على قلب بشر**[1]»[2].

نسأَل الله العَظِيم أَن يَجعَل فِيهَا قرارنا وَأَن ينور بصيرتنا وأبصارنا وَأَن يَجعَل ذَلِك لوجهه الكَرِيم بمَنِّه وَكَرمه[3].

---

(١) يعني هؤلاء زيادة على النعم الذي أخبر الله به في القرءان وأخبر به النبي في الحديث، يكون لهم نعيم خاص لم يطلع الله تعالى عليه أحدًا، لا نبيًّا مقربًا ولا ملكًا مُكرَّمًا، حتى رضوان خازن الجنة لم يطلعه الله تعالى على ذلك. قال الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (٥١٦/٨): قَوْلُهُ: «وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». زَادَ ابن مَسْعُودٍ فِي حَدِيثِهِ: «وَلَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِي مُرْسل». أخرجه بن أَبِي حَاتِمٍ. وَهُوَ يَدْفَعُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّمَا قِيلَ الْبَشَرُ لِأَنَّهُ يَخْطِرُ بِقُلُوبِ الْمَلَائِكَةِ. وَالْأَوْلَى حَمْلُ النَّفْيِ فِيهِ عَلَى عُمُومِهِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ فِي النَّفْسِ.

(٢) **مسند الإمام أحمد**، (ج ١٣ / ص ٤٨٩) **وصحيح البخاري**، (ج ٩ / ص ١٤٤).

(٣) أي نسأل الله الجنة وأن تكون هي مثوانا فهي مبتغانا ومقصدنا فنسأله أن يفتح علينا فتوح العارفين منصورين غير مفتونين وأن نرى الأمور على ما هي عليه منورة مشرقة وظاهرة، وأن يجعل عملنا خالصًا لله تعالى لا يشوبه رياء ولا سمعة ولا غرور ولا تعالٍ، وأن يكون رادعًا للعامة عن الوقوع في ضلالات ابن تيمية التي يستحق معتقدها الخلود الأبدي في النار.

وَنحن نَنتَظِر مَا يرد من تمويهه وفساده[1] لنبين مدارج زيغه وعناده ونجاهد فِي الله حق جهاده[2] وَالحَمد لله رب العَالمين.

---

(١) أي ابن تيمية حيث إن العلّامة ابن جهبل كان معاصرًا له يتتبع منهجه وما فيه من الزيغ.

(٢) وفي العبارة هذه التي ختم بها ابن جهبل كتابه يظهر فيها شجاعته ويظهر حرقته على هذا الدين فلا يرضى ابن جهبل أن يضل أناس بمتبع للهوى كابن تيمية، وفيها يظهر حال من سبقنا من المعلمين أنهم يجاهدون بالبيان والقلم كما يجاهدون بالسنان والرماح وأن ذلك جهاد مطلوب لا يذم ولا يترك ولو ترك لحصل خطر عظيم لطف الله بالمسلمين، وأن علينا أن نقتدي بمن سبقنا لنظفر بالثواب والجنان.

٢ - قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النحل] أي الوصف الذي لا يشبه وصف غيره، فلا يوصف ربنا عزَّ وجلَّ بصفات المخلوقين من التغيّر والتطور والحلول في الأماكن والسُّكْنى فوق العرش، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

٣ - قال الله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة مريم] أي مِثلًا، فالله تعالى لا مِثْلَ له ولا شبيه ولا نظير، فمن وصفه بصفة من صفات البشر كالقعود والقيام والجلوس والاستقرار يكون شَبَّهَهُ بهم، ومن قال بأن الله يسكن العرش أو أنه ملأه يكون شبّه الله بالملائكة سُكّان السّموات. وهذا الاعتقاد كفر والعياذ بالله تعالى لتكذيبه قول الله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى].

٤- وقال الله تعالى ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص] أي لا نظير له بوجه من الوجوه.

من الحديث:

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**» رواه البخاري والبيهقي.

ومعناه أن الله لم يزل موجودًا في الأزل ليس معه غيرُه لا ماءٌ ولا هواءٌ ولا أرضٌ ولا سماءٌ ولا كرسيٌّ ولا عرشٌ ولا إنسٌ ولا جنٌّ ولا ملائكةٌ ولا زمانٌ ولا مكانٌ، فهو تعالى موجودٌ قبل المكان بلا مكان، وهو الذي خلق المكان فليس بحاجة إليه.

والله تعالى لا يوصف بالتغيّر من حالة إلى أخرى لأن التغيّر من صفات المخلوقين، فلا يقال كما تقول المشبّهة إن الله كان في الأزل ولا مكان ثم بعد أن

خلق المكان صار هو في مكان وجهة فوق والعياذ بالله تعالى. وما أحسن قول المسلمين المنزهين: «سبحان الذي يُغيِّر ولا يتغيَّر»، وهذه عبارة سليمة عند أهل السنة، غير أن المشبهة المجسمة أدعياء السلفية تشمئز نفوسهم منها لأنها تهدم عليهم عقيدة التشبيه.

٢ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ أنت الأوَّلُ فليس قبلَك شيءٌ، وأنت الآخِر فليس بعدَك شيءٌ، وأنت الظاهرُ فليس فوقَكَ شيءٌ، وأنت الباطن فليس دونَك شيءٌ**» رواه مسلم.

قال الحافظ البيهقي الشافعي الأشعري ما نصه: «استدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه ـ أي عن الله ـ بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**» ، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» اهـ

٣ - ومما يدل أيضًا على تنزيهه تعالى عن الجهة ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك: «أن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فأشار بظهر كَفَّيْه إلى السماء» اهـ أي أن النبي جعل باطن كفَّيْه إلى جهة الأرض، وفي ذلك إشارة إلى أن الله عز وجل ليس متحيِّزًا في جهة العلو كما أنه ليس في جهة السُّفل.

من الإجماع:

اعلم أن المسلمين اتفقوا على أن الله تعالى لا يحلُّ في مكان ولا يحويه مكان ولا يسكن السماء ولا يسكن العرش، لأن الله تعالى موجود قبل العرش وقبل السماء وقبل المكان، ويستحيل على الله التغيّر من حال إلى حال ومن صفة إلى

صفة أخرى، فهو تبارك وتعالى كان موجودًا في الأزل بلا مكان، وبعد أن خلق المكان لا يزال موجودًا بلا مكان.

فليُعلم أن أهل الحديث والفقه والتفسير واللغة والنحو وعلماء الأصول، وعلماء المذاهب الأربعة من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ـ إلا من لحق منهم بأهل التجسيم ـ والصوفية الصادقين كلهم على عقيدة تنزيه الله عن المكان، إلا أن المشبهة ومنهم نفاة التوسل شذّوا عن هذه العقيدة الحقة فقالوا إن الله يسكن فوق العرش بذاته والعياذ بالله تعالى.

وممن نقل إجماع أهل الحق على تنزيه الله عن المكان:

١ - الشيخ عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (٤٢٩هـ)، فقد قال ما نصه: «وأجمعوا ـ أي أهل السنة والجماعة ـ على أنه ـ أي الله ـ لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان» اهـ.

٢ - قال الشيخ إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجُويني الشافعي (٤٧٨هـ) ما نصه: «ومذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيّز والتخصص بالجهات» اهـ.

٣ - وقال المفسّر الشيخ فخرالدين الرازي (٦٠٦هـ) ما نصه: «انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيّز» اهـ.

٤ - وقال الشيخ إسماعيل الشيباني الحنفي (٦٢٩هـ) ما نصه: «قال أهل الحق: إن الله تعالى متعالٍ عن المكان، غيرُ متمكّنٍ في مكان، ولا متحيز إلى جهة خلافًا للكرّامية والمجسمة» اهـ.

٥ - وقال سيف الدين الآمدي (٦٣١هـ) ما نصه: «وما يُروى عن السلف من ألفاظ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن إجرائها على ظواهرها والإيمان بتنزيلها وتلاوة كل ءاية على ما ذكرنا عنهم، وبيَّن السلف الاختلاف في الألفاظ التي يطلقون فيها، كل ذلك اختلاف منهم في العبارة، مع اتفاقهم جميعًا في المعنى أنه تعالى ليس بمتمكن في مكان ولا متحيّز بجهة» اهـ.

٦ - نقل الشيخ تاج الدين السبكي الشافعي الأشعري (٧٧١هـ) عن الشيخ فخر الدين بن عساكر أنه قال: «إن الله تعالى موجود قبل الخلق ليس له قَبْلٌ ولا بَعْدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خَلْفٌ». ثم قال ابن السبكي بعد أن ذكر هذه العقيدة ما نصه: «هذا ءاخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سُنّي» اهـ.

٧ - قال الشيخ سلامة القضاعي العزامي الشافعي (١٣٧٦هـ) ما نصه: «أجمع أهل الحق من علماء السلف والخلف على تنزه الحق سبحانه عن الجهة وتقدسه عن المكان» اهـ.

ومن العقل:

اعلم أن النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه، والعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع إذ أن الشرع لا يأتي إلا بمجوَّزات العقل كما قال الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي: «الشرع إنما يَرِدُ بمجوَّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا» اهـ.

١ - قال أبو عبد الله محمد ابن خليل السكوني الإشبيلي نزيل تونس في «شرح

مرشدة محمد تومرت» ما نصه: «قال عليه السلام: «**كان الله ولا شيء معه**»، ثم خلق الخلق فكان في أزليته ولا عرش ولا سماء ولا أرض ولا ماء ثم خلق المخلوقات»، ولو كان وجوده قبل المخلوقات بنهاية لزم حدوثه وافتقاره إلى المحدث وأدى إلى التسلسل فهو محال ولو كان وجوده قبل المخلوقات من غير نهاية وهو قدمه تعالى فكان ولا مكان، ولا زمان، فهو سبحانه على ما عليه كان قبل أن يخلق شيئًا إذ التغير على القديم محال. قوله: ليس له قبل ولا بعد، هذه الحدود العشرة من الجهات الست والقبل والبعد والكل والبعض كل ذلك حدود تلزم من تقيد بها التخصيص والحدوث لأن من له آخر له أول، ومن له كل له بعض، ومن له بعد له قبل، صح أن يكون له بعد، وأما الكلام في الجهات فهو أن الجهات إنما هي نسب تابعة لهذا الشكل المسدس فما تصورت الجهات إلا بواسطة خلق الإنسان على هذه البنية والجهة ليست بذات موجودة بل إضافية، ولذا قال الإمام: وكان ولا مكان ليجمع التنزيه والتعظيم في الألفاظ القليلة. قوله: لا يقال متى كان، متى سؤال على حصره سبحانه بزمان والزمان مقارنة بين حادثين، وكان الله ولا حادث فكان ولا زمان، وكان ولا حادث فكان ولا مكان؛ لأن المكان إنما هو من أجرام المخلوقات، فهو سبحانه على ما عليه كان، فبعد أن خلق شيئًا احتاج إليه؟!! تعالى القديم عن ذلك علوًا كبيرًا، كوّن المكان ودبّر الزمان» اهـ

٢ - وقال سيف الدين الآمدي (٦٣١هـ) في كتابه «غاية المرام» ما نصه: «فإن قيل ما نشاهده منَ الموجودات ليس إلا أجسامًا وأعراضًا، وإثبات قسم ثالث مما لا نعقِله، وإذا كانت الموجودات منحصرة فيما ذكرناه فلا جائز أن يكون البارئ

عرضًا لأن العرض مفتقِر إلى الجسم والبارئ لا يفتقِر إلى شيء، وإلا كان المفتقرُ إليه أشرفَ منه وهو محال، وإذا بطل أن يكون عرضًا بقي أن يكون جسمًا.

قلنا: منشأ الخبط ههنا إنما هو من الوهم لإعطاء الحق حكم الشاهد والحكم على غير المحسوس بما حكم به على المحسوس، وهو كاذب غير صادق، فإن الوهم قد يرتمي إلى أنه لا جسم إلا في مكان بناء على الشاهد، وإن شهد العقل بأن العالم لا في مكان لكون البرهان قد دلَّ على نهايته، بل وقد يشتد وهم بعض الناس بحيث يقضي به على العقل، وذلك كمن ينفِر عن المبيت في بيت فيه ميت لتوهمه أنه يتحرك أو يقوم، وإن كان عقله يقضي بانتفاء ذلك، فإذًا اللبيب من ترك الوهم جانبًا ولم يتخذ غير البرهان والدليل صاحبًا. وإذا عرف أن مستند ذلك ليس إلا مجرد الوهم، فطريق كشف الخيال إنما هو بالنظر في البرهان فإنا قد بيَّنا أنه لا بد من موجودٍ هو مُبدئ الكائنات، وبيَّنا أنه لا جائز أن يكون له مثل من الموجودات شاهدًا ولا غائبًا، ومع تسليم هاتين القاعدتين يتبين أن ما يقضي به الوهم لا حاصل له. ثم لو لزم أن يكون جسمًا كما في الشاهد للزم أن يكون حادثًا كما في الشاهد وهو ممتنع لما سبق، وليس هو عرضًا وإلا لافتقر إلى مقوم يقومه لوجوده، إذ العرض لا معنى له إلا ما وجوده في موضوع، وذلك أيضًا محال» اهـ.

٣ - وقال السبكي الشافعي: «صانع العالم لا يكون في جهة لأنه لو كان في جهة لكان في مكان ضرورة أنها المكان أو المستلزمة له، ولو كان في مكان لكان متحيزًا ولو كان متحيزًا لكان مفتقِرًا إلى حيّزه ومكانه فلا يكون واجب الوجود وثبت أنه واجب الوجود وهذا خُلْفٌ، وأيضًا فلو كان في جهة فإما في كل الجهات

وهو محال وشنيع، وإما في البعض فيلزم الاختِصاص المستلزم للافتقار إلى المخصِّص المنافي للوجوب» اهـ. أي الاحتياج إلى المخصِّص ينافي كونه واجب الوجود، فثبت استحالة الجهة والمكان على الله تعالى.

٤ - قال الإمام أبو عبد الله محمد ابن عمر الأنصاري القرطبي: والذي يقتضي بطلان الجهة والمكان مع ما قررناه من كلام شيخنا وغيره من العلماء وجهان:

أحدهما: أن الجهة لو قدّرت لكان فيها نفيُ الكمال، وخالق الخلق مستغنٍ بكمال ذاته عمّا لا يكون به كاملًا.

والثاني: أن الجهة إما أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كانت قديمة أدّى إلى مُحالين، أحدهما أن يكون مع البارئ في الأزل غيرُه، والقديمان ليس أحدهما بأن يكون مكانًا للثاني بأولى من الآخر، فافتقر إلى مخصِّصٍ يُنقَلُ الكلام إليه، وما يُفْضي إلى المحال محال» اهـ.

٥ - ومما قاله الشيخ العلامة المحدث عبد الله الهرري في إثبات تنزيه الله عن المكان ما نصه: «والدليل على ذلك أنه لو تحيز فإما في الأزل فيلزمُ قدمُ الحيز، أو لا، فيكون محلًّا للحوادث، وكلا ذلك مستحيل؛ وأيضًا إما أن يساوي الحيز أو ينقص عنه فيكون متناهيًا، أو يزيد عليه فيكون متجزئًا. وإذا لم يكن في مكان لم يكن في جهة لا عُلْوٍ ولا سفل ولا غيرهما، لأنها إما حدود وأطراف للأمكنة أو نفس الأمكنة باعتبار عروض الإضافة إلى شيء. ثم إن بعض المجسمة إذا أُثبت لهم برهان وجوب تنزهه تعالى عن المكان يقول: «جهة العلو غير جهة السفل، جهة السفل نقص عليه يجب تنزيهه عنها، وأما جهة العلو فكمال ولا يدل العقل على نفيها عن الله».

فالجواب أن يقال لهم: الجهات كلها لا تقتضي الكمال في حد ذاتها، لأن الشأن ليس في علو المكان بل الشأن في علو القدر، بل قد يختص الشخص من البشر بالمكان العالي ومن هو أعلى منه قدرًا يكون في المكان المنخفض، ويحصل ذلك للسلاطين، فإن حرسهم يكونون في مكان عال وهم أسفل منهم، فلم يكن في علو الجهة وعلو المكان شأن. ثم الأنبياء مستقرهم في الدنيا الأرض وفي الآخرة الجنة، وهم أعلى قدرًا من الملائكة الحافين حول العرش والذين هم في أعلى من مستقر الأنبياء من حيث الجهة، وكون مستقر أولئك حملة العرش فوق مستقر الأنبياء من حيث الجهة لم يكن دليلًا على أنهم أكمل من الأنبياء بل ولا يساوونهم» اهـ

تكفير علماء المذاهب الأربعة
للمشبهة المكفرين لأهل السنة الأشاعرة والماتريدية

لمّا كانت المجسّمة المشبهة الوهّابية ومن شاكلهم قديمًا وحديثًا يكفرون الأشاعرة والماتريديّة وينسبونهم إلى التعطيل ونفي الصفات كانت المشبهة هي أحرى بالتكفير من وجهين: لنسبتهم التجسيم أو لوازمه لله تعالى وتشبيههم له بخلقه، ولتكفيرهم المسلمين الأشاعرة والماتريدية بغير حق.

فأمّا كفر المجسمة بسبب تكفيرهم المسلمين بغير حق فهو معلوم مفهوم من كلام النبيّ ﷺ: «**أيّما رجلٍ مسلمٍ أكْفَر رجلًا مسلمًا فإن كان كافرًا وإلّا كان هو الكافر**»[1]، روي بألفاظ كثيرة متّفقة المعنى واللفظ هنا لأبي داود في سننه. وأمّا كفر المجسمة بسبب نسبتهم الجسم أو بعض لوازمه لله، كنسبتهم الحدّ والتحيّز وغير ذلك له، فهو حكم مجمع عليه عند الأمّة ومفهوم من النّصوص الشرعية الثّابتة. وقد أفردنا هذا الفصل لسرد نقول لعلماء أهل السنّة من علماء المذاهب الأربعة الذين نقلوا إجماع الأمّة على تكفير المجسم، إذ لا خلاف في تكفيره:

---

(١) **سنن أبي داود**، أبو داود، (٤/٢٢١)، رقم الحديث: ٤٦٨٧.

١) قال الحافظ النووي في كتاب «روضة الطالبين»[١] وابن حجر الهيتميّ في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام»[٢] ما نصه: «وأنَّ من دافع[٣] نصّ الكتاب أو السّنّة المقطوع بها المحمول على ظاهره **فهو كافر بالإجماع**»[٤].

والمجسم قد كذّب قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٠﴾ [سورة النحل] تكذيبًا صريحًا **فهو كافر بالإجماع بنص الحافظ النوويّ هذا.**

٢) قال الفقيه أبو العباس نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة الشافعيّ في كتابه «كفاية النّبيه شرح التنبيه»[٥] ما نصه: «ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له، فكيف يقتدى به، **وهذا ينظم من كفره مجمع عليه** ومن كفّرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها، ومن لا يؤمن بالقدر **وكذا من يعتقد أنّ الله جالس على العرش،** كما حكاه القاضي حسين هنا عن نصّ الشافعي».

فانظر إلى قول ابن الرفعة «من كفره مجمع عليه» وذكر فيهم المجسمة والمعتزلة، وأكّد أنّ تكفير المجسم هو نصّ الشافعي كما نقله عنه القاضي حسين رحمه الله تعالى.

---

(١) **روضة الطالبين**، النووي، (١٠/٧٠).

(٢) **الإعلام بقواطع الإسلام**، ابن حجر الهيتمي، (ص١٦٤).

(٣) أي عارض وناقض.

(٤) وهذا ما ذكره محمد عليش المالكي وعلاء الدين بن العطار والقاضي عياض وغيرهم.

(٥) **كفاية النبيه شرح التنبيه**، ابن الرفعة، (٤/٢٤).

٣) قال الإمام الأستاذ عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي التميمي في كتابه «تفسير الأسماء والصفات»[١]: «فأما أصحابنا فإنهم وإن **أجمعوا على تكفير المعتزلة والغلاة من الخوارج والنّجّارية والجهمية والمشبهة** فقد أجازوا لعامّة المسلمين معاملتهم في عقود البياعات والإجارات».

وهذا إجماع صريح على تكفير المشبهة، والمجسمة مشبهة بلا شكّ، ومراده بأصحابنا جمهور الشافعية والأشاعرة لأنه رحمه الله كان رأسًا مشهورًا فيهم.

وقال أيضًا الإمام الأستاذ الفقيه المؤرخ الخبير بالفرق والنحل الذي كان رأسًا في الأشاعرة الشافعية أبو منصور البغداديّ رحمه الله في كتابه «تفسير الأسماء والصفات»[٢]: «**إجماع الأمة على إكفار** من أنكر النبوات أو شكّ في عقائد الأنبياء، وإذا كان شكّه في صفات بعض الناس يورثه الكفر **فشكّه في صفة لازمة لله عز وجل أو جهله بها أولى بأن يوجب تكفيره**».

فهذا نقل البغدادي الإجماع على كفر من جهل صفةً ثابتةً لله تعالى، **ولا شك أن المجسّم جهل الله** وليس جَهْلُهُ مجرّد جهل بصفة ثابتة له فقط، **فيكون كافرًا بالإجماع**.

٤) قال إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رحمه الله[٣]: «فكذلك اعتقاد من اعتقد أن البارئ تعالى أجزاء متصلة وأبعاض متلاصقة **كفر به وجهل**»، وقال رحمه الله: «**والجهل بصفة لله تعالى كفر**».

---

(١) **تفسير الأسماء والصفات** (مخطوط)، أبو منصور البغدادي، (ص٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) **تفسير الأسماء والصفات** (مخطوط)، أبو منصور البغدادي، (ص٤٦).

(٣) **مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري**، ابن فورك، (ص٢٢٨).

ومعناه أنّ إنكار صفة من صفات الله الثلاث عشرة أو الشّكّ فيها أو في واحدة منها **كفر وخروج من الإسلام. وهذا إجماع على كفر المجسم والجهوي الذي يثبت الجهة لله**، لأنه بذلك أنكر صفة المخالفة للحوادث التي هي ثابتة لله عز وجلّ، وجعله جسمًا يفتقر إلى موجد، وجعله محتاجًا إلى المكان وإلى مخصص يخصصه بذلك.

٥) قال الفقيه أبو بكر تقي الدين الحصني الشافعي في كتابه «دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيّد الجليل الإمام أحمد»[١] ما نصه: «لأنّ الكيف من صفات الحدث، وكلّ ما كان من صفات الحدث فالله عزّ وجلّ منزّه عنه، فإثباته له سبحانه **كفر محقّق عند جميع أهل السّنّة والجماعة**».

وهذا **إجماع صريح على كفر المجسمة** لأنهم وصفوا الله بصفات الحوادث التي هي الجسميّة.

٦) وقال الحصنيّ أيضًا في كتابه «كفاية الأخيار في حلّ غاية الاختصار» ما نصه[٢]: «إلّا أنّ النووي جزم في صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة. قلت **وهو الصواب الذي لا محيد عنه إذ فيه مخالفة صريح القرءان**، قاتل الله المجسمة والمعطلة ما أجرأهم على مخالفة من ليس كمثله شىء وهو السّميع البصير، وفي هذه الآية ردّ على الفريقين».

---

(١) دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيّد الجليل الإمام أحمد، تقي الدين الحصني، (ص١٨).

(٢) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، تقي الدين الحصني، (ص٣٨٢).

فانظر إلى قوله: «**وهو الصواب الذي لا محيد عنه إذ فيه مخالفة صريح القرءان**»، وتكذيب القرءان كفر بإجماع الأمة، فالمجسم كافر بإجماع الأمة.

٧) وقال الحصنيّ أيضًا: «**خرج - أي ابن تيمية - عن الاتباع إلى الابتداع وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع** وقال بما يقتضي الجسميّة والتركيب في الذات المقدس».

٨) قال الملّا عليّ بن سلطان محمد القاري الحنفي في كتابه «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»[١] ما نصه: «قال النوويّ في شرح مسلم في هذا الحديث وشبهه من أحاديث الصفات وءاياتها مذهبان مشهوران: فمذهب جمهور السّلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأنّ ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث. والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السّلف، وهو محكيّ عن مالك والأوزاعي، إنما يتأوّل على ما يليق بها بحسب بواطنها[٢]»، فعليه الخبر مؤوّل بتأويلين أي المذكورين بكلامه وبكلام الشّيخ الرّبّاني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزاليّ وغيرهم من أئمّتنا وغيرهم يعلم أنّ المذهبين متّفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصّورة والشّخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرّحمة والاستواء على العرش والكون في السّماء وغير ذلك مما يفهمه

---

(١) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي القاري، (٣/٩٢٣، ٩٢٤).**

(٢) قال الملّا عليّ القاري: «ولو فتح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر لم يكن في الأرض كافر»، نقل ذلك عن بعض شيوخه الّذين قال عنهم «هم حجّة بيني وبين الله».

ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعيّة البطلان **تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع** فاضطرّ ذلك جميع الخلف والسّلف إلى صرف اللّفظ عن ظاهره».

وانظر هنا إلى قوله «**يحكم بكفرها بالإجماع**»، فإذا كان من يصف الله تعالى بظاهر هذه الأشياء المذكورة هنا كافر بالإجماع، فكيف بالمجسم؟! فهو داخل في هؤلاء الذين ينسبون لله المكان ويصفه بظواهر الآيات والأحاديث المتشابهة، فلا خلاف في كفره!!

٩) قال الإمام الحافظ الفقيه أحمد بن سلامة أبو جعفر الورّاق الطحاوي المصري في عقيدته المشهورة بالعقيدة الطحاوية: «ومن وصف الله بمعنًى من معاني البشر **فقد كفر**».

وهذه العقيدة تلقتها الأمة سلفًا وخلفًا بالقبول والفرح والسرور، فأقبلوا عليها حفظًا ودرسًا وشرحًا وتعلّمًا وتعليمًا واستحسانًا بلا نكير ولا خلاف.

ويقول الطحاوي رحمه الله إنّ هذه الرسالة هي ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة على حسب ما قرره أبو حنيفة وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وأبو عبد الله محمد ابن الحسن الشيباني أي من حيث سبك العبارات أضع هذه الرسالة على أسلوب هؤلاء الأئمة الثلاثة، أما من حيث المعنى «**فهو مذهب أهل الحقّ أهل السنة والجماعة كلهم بلا استثناء**». وأهل السنة والجماعة هم الصحابة ومن تبعهم في المعتقد[1].

---

(١) إظهار العقيدة السنية، عبد الله الهرري، (ص٣١).

وانظر إلى قوله: «**فهو مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة كلهم بلا استثناء**»، أي هذا إجماع، وقد سبقت عبارة الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»، **إذًا هو إجماع صريح ظاهر على كفر المشبهة المجسمة**.

١٠) قال الإمام الحافظ المجتهد المجدد الشيخ عبد الله بن محمد بن يوسف الهرري المعروف بالحبشي رضي الله عنه وأرضاه في كتابه «التعاون»[١]: «**والمجسم كافر بإجماع الأئمة الأربعة وغيرهم**، لأنّ من جسّم الله تعالى كذّب قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ۝١١﴾ [سورة الشورى] فإنه جعل لله أمثالًا كثيرةً لا تحصى»، وقال بعد ذلك: «**وقد اتّفق الأئمة الأربعة وغيرهم على أنّ المجسم كافر**».

١١) وقال رضي الله عنه في نفس الكتاب[٢]: «وأما الوهابية فهم مجسمون وهم كفار **لأن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: المجسم كافر**[٣]، والإمام أحمد قال: «**من قال: الله جسم لا كالأجسام كفر**»[٤]، **وكذلك الإمام مالك رضي الله عنه كفّر المجسم**».

وهذا تصريح من إمام أهل السنة في عصرنا بوجود الإجماع على كفر المجسم.

١٢) وقال الإمام الهرريّ أيضًا في كتابه «التحذير الشرعي الواجب»[٥]: «**فقد نقل الإمام أبو منصور البغدادي إجماعهم على تكفير المجسم**، وثبت عن الإمام

---

(١) التعاون على النهي عن المنكر، عبد الله الهرري، (ص٥٩).

(٢) التعاون على النهي عن المنكر، عبد الله الهرري، (ص٣٤).

(٣) الأشباه والنظائر، السيوطي، (ص٤٨٨).

(٤) ذكره صاحب الخصال وهو من مشاهير الحنابلة.

(٥) التحذير الشرعي الواجب، عبد الله الهرري، (ص١٣٤).

أبي الحسن الأشعري أنه قال: **المجسم غير عارف بالله فهو كافر به**، كذلك في المعتزلة وغيرهم، **فدفع التكفير عنهم يؤدي إلى إبطال الشريعة**».

١٣) وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه «المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية»: «واعلم أنّ القرافيّ وغيره **حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك**».

١٤) وقد تفطّن الطّبريّ رحمه الله لهذه الطائفة الخبيثة التي جوزت أن يكون ذاته تعالى محلًّا للخلق والتّغيّر بالانتقال والزّوال من مكان إلى مكان فصرّح بكفرها في معرض بيان عقيدة أهل السنة في صفة الكلام لله وكونها صفةً وجوديّةً قديمة ثابتةً له تعالى، وأنّ كلام الله ليس حروفًا وأصواتًا يخلقها الله تعالى ويوجدها في ذاته بإرادته واختياره كما يصرح التيمية والوهابية ويثبتون حلول الصفات الحادثة بذات الله تعالى ويسمون ذلك قيام الصفات الاختيارية به، وقد ردّ الإمام الطبري كل ذلك قائلًا: من أبى ما قلنا في ذلك قيل له[1]: أخبرنا عن الكلام الذي وصفت أن القديم به متكلم مخلوق، أخلقه إذ كان عندك مخلوقًا في ذاته، أم في غيره، أم قائم بنفسه؟ فإن زعم خلقه في ذاته، فقد أوجب أن تكون ذاته محلًّا للخلق، **وذلك عند الجميع كفر**. والطبريّ نصّ على أنّ الفوقيّة مصروفة عن ظاهرها حيث إن الله عز وجل منزه عن الفوقية المكانية لقول الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى]، فمن اعتقد أن لله تعالى مكانًا فقد **كفر بإجماع العقلاء**[2].

---

(١) التبصير في معالم الدين، الطبري، (ص٢٠٢).

(٢) إتحاف الكائنات، محمود خطاب السبكي، (ص١١٥).

١٥) قال القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي ما نصه[1]: «واعلم أنّ الوصف له تعالى بالاستواء اتّباع للنّصّ وتسليم للشرع وتصديق لما وصف به نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له الكيفية لأنّ الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيّز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام **وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام**».

وأقرّه عليه الأستاذ الدكتور الشيخ أحمد محمد نور سيف مدير عام دار البحوث ورئيس مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية دبي[2].

١٦) وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ما نصه[3]: «فمن اعتقد أنّ الله عزّ وجلّ متّصف بالاستقرار على العرش أو التّمكّن فيه **فهو كافر بالإجماع**».

١٧) وقال الشيخ أبو بكر محمد بن سابق الصقلّي ما نصه[4]: «ومن قال: إنّ الله عز وجل يحدث فيه الحرف بعد الحرف فقد جعل ربّه محلًّا للحوادث وشبّهه بمخلوقاته وشبّه مخلوقاته به، **وهذا كفر بإجماع، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا**».

---

(١) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير، عبد الوهاب البغدادي، (ص٢٨).

(٢) سلسلة الدراسات العقدية، أحمد محمد نور سيف، (ص٦٨).

(٣) إتحاف الكائنات، محمود خطاب السبكي، (ص ٥٠).

(٤) كتاب الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية، الصقلي، (ص٢١٥).

١٨) وقال أبو حامد الغزالي في كتابه المسمى «إلجام العوامّ عن علم الكلام» ما نصه[1]: «الوظيفة الأولى: التقديس ومعناه أنه إذا سمع اليد والإصبع في قوله ﷺ **«إنّ الله خمّر طينة ءادم بيده»** و**«إنّ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمـٰن»**، فينبغي أن يعلم أن اليد تطلق لمعنيين أحدهما هو الوضع الأصلي وهو عضو مركّب من لحم وعظم وعصب واللّحم والعظم والعصب جسم مخصوص بصفات مخصوصة والجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق يمنع غيره من أن يوجد بحيث هو إلا بأن يتنحى عن ذلك المكان، وقد يستعار هذا اللفظ أعني اليد لمعنى ءاخر ليس ذلك المعنى بجسم أصلًا كما يقال: البلدة في يد الأمير فإن ذلك مفهوم وإن كان الأمير مقطوع اليد مثلًا فعلى العامي وغير العامي أن يتحقق قطعًا ويقينًا أن الرسول ﷺ لم يرد بذلك جسمًا هو عضو مركب من لحم ودم وعظم، وأن ذلك على الله تعالى محال وهو عنه مقدس، فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضاء فهو عابد صنم فإن كل جسم هو مخلوق، وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كفر لأنه مخلوق، وكان مخلوقًا لأنه جسم فمن عبد جسمًا **فهو كافر بإجماع الأمة السلف منهم والخلف**».

١٩) ونقل القرافي **اتفاق الأئمة الأربعة على تكفير المجسم** كما نقل ذلك عنه ابن حجر الهيتمي قال: «وهم حقيقون بذلك».

٢٠) وقال أبو عبد الله القرطبي ما نصه[2]: «**وإن إثبات الجهة لله تعالى كفر عند الأئمة الأربعة** كما نقل عنهم العراقي على ما في شرح المشكاة لعليّ القاري».

---

(١) إلجام العوام عن علم الكلام، الغزالي، (ص/٢٠٩).

(٢) التذكار في أفضل الأذكار، القرطبي، (ص٢٠٨).

٢١) وقال الشيخ محمود خطاب السبكي ما نصه[1]: «سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص ويقول ذلك هو عقيدة السلف ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، ويقول لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]، وقوله عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾ [سورة الملك]، أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل؟ وعلى كونه باطلًا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه، وإن مات على هذه الحالة قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وهل من صدّقه في ذلك الاعتقاد يكون كافرًا مثله؟ فأجبت بعون الله تعالى فقلت: بسم الله الرحمـٰن الرحيم الحمد لله الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى ءاله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد. أما بعد: فالحكم أن هذا الاعتقاد **باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين**، والدليل العقلي على ذلك قدم الله تعالى ومخالفته للحوادث، والنقلي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ۝١١﴾ [سورة الشورى]، فكلّ من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشىء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا، ويبطل جميع

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص٣، ٤).

عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك وتبين منه زوجه ووجب عليه أن يتوب فورًا، وإذا مات على هذا الاعتقاد والعياذ بالله تعالى لا يغسل[1] ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين[2]، ومثله في ذلك كله من صدّقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر، وقوله لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا، **فهو كفر وبهتان عظيم**».

ونقل رحمه الله[3] عن الإمام عماد الدين الكندي أنه نص على أن الله تعالى يستحيل عليه الحلول في الأماكن أو اتصاله بالأجسام أو مقابلته لها أو تحيزه في جهة لأن ذلك كله من صفات الحوادث، فمن اعتقد أنه تعالى حل في عرش أو سماء أو حاذى شيئًا من مخلوقاته أو حلّ في أي جهة من الجهات الست **كفر بإجماع العاقلين**.

٢٢) ويقول علاء الدين البخاري بعد كلام عن مسألة لازم المذهب[4]: «فإذًا يكون القول بأنّ الله متمكن على العرش متحيز فيه، وأنّه في جهة الفوق قولًا بأنّه جسم لأن الجسمية من اللّوازم العقلية للمتحيز ولذي الجهة، ومن قال بأنّ

---

(١) أي لا يجب غسله.

(٢) أي لا تجوز الصّلاة عليه ولا يجوز دفنه في مقابر المسلمين.

(٣) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص١٢٥).

(٤) **ملجمة المجسمة**، علاء الدين البخاري، (ص٦١).

الله جسم فهو كافر إجماعًا. ولهذا قال إمام الحرمين في الإرشاد: إثبات الجهة لله كفر صراح».

٢٣) قال الشيخ الكوثري ما نصه[1]: «إنّ القول بإثبات الجهة له تعالى **كفر عند الأئمة الأربعة هداة الأمة** كما نقل عنهم العراقي على ما في «شرح المشكاة» لعلي القاري».

٢٤) قال الشيخ أحمد بالعيت الوقراوي محتجًّا بكلام السبكي ما نصه[2]: «فتوى شيخ الأزهر السبكي: الحمد لله رب العالمين المنزه عن صفات المخلوقين كالجهة والجسمية والمكان والفوقية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بمحو الشرك والإلحاد وأمرنا بتنزيه الله تعالى عن صفات العباد والمنزل عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] وعلى ءاله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد، فيقول محمود بن محمد بن أحمد السبكي: قد سألني بعض الراغبين في معرفة ـ عقيدة ـ الدين، والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: «ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص. فأجبت بعون الله تعالى. **فالحكم أنَّ هذا الاعتقاد باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين**. والدليل العقلي على

---

(١) **مقالات الكوثري**، الكوثري، (ص٣٢١).

(٢) **مختصر التيسير في تحكيم أهل التفسير**، أحمد الوقراوي، (ص٣٢،٢٩).

ذلك: قدم الله تعالى ومخالفته للحوادث. والنقلي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ۝١١﴾ [سورة الشورى] فكل من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتبين منه زوجته ووجب أن يتوب فورًا ـ بنطقه بالشهادتين للدخول في دين الإسلام ـ وإذا مات على هذا الاعتقاد لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله من صدقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا».

افتراء الوهابية على الأشاعرة

بأنهم رجعوا عن عقيدة الإمام الأشعري

قريب من هذا الّذي نسب إلى إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ما نسب إلى بعض مشاهير متكلمي الأشاعرة كالجويني والغزاليّ والرّازيّ أنّهم رجعوا عن معتقد الأشاعرة وتبرأوا منه، ومن يروّج لهذه الدعوى يريد أن يقول: «إنّ هذا المعتقد الذي رجع عنه هؤلاء العلماء لو كان حقًّا ما تركوه ولا هجروه».

فنقول: إمّا أن يكون اعتقاد الأشاعرة هذا الذي ينسب إلى هؤلاء المتكلمين الرّجوع عنه حقًّا في ذاته أو باطلًا.

- فإن كان حقًّا فماذا يضيره أو يضير من تمسّك به حتى لو تبرأ منه هؤلاء المتكلمون على فرض صحة ذلك عنهم؟!.

- أم أنه صار حقًّا حين قالوا به، فلمّا تركوه انقلب الحق إلى باطل؟!.

- وإن كان ما رجعوا عنه باطلًا فواهًا ثم واهًا على أمّة الإسلام وقد تبنّت طيلة هذه القرون الماضية باطلًا ثم لم يكتشف بطلان ذلك إلا ثلاثة أو أربعة منهم!!.

- ثم إنّ هؤلاء إنما عظم قدرهم عند أهل السنة بسبب انتصارهم للحق بالأدلة العقلية والنقلية، حيث إن العلماء كانوا يُعرفون بالحق، فالرجوع عن الحق مسقط لمنزلتهم عند من هو ثابت على الحق متمسك به لا يحيد عنه وإن زاغ عنه من زاغ، لأنه يعرف أن الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال، والحمد لله أن هؤلاء بقيت منزلتهم في النفوس مرفوعة لأن أكاذيب من افترى

عليهم عنهم مدفوعة، فلم يصح عنهم الرجوع عن السبيل الذي سلكوه في العقيدة بالدليل.

أما من يعرف الحق بالرجال فإنه يتبع كل ناعق، كحال هؤلاء الذين غلبهم في ابن تيمية الهوى فساقهم إلى الردى، فبدعوا الأئمة وكفروا أهل السنة وافتروا على الأكابر ظنًّا منهم أنه بهذا يهدمون ما توارثه أهل الحق من تنزيه الله عن الجهة والحيز والمكان كابرًا عن كابر.

كلّا، ليس الأمر هكذا، فعلماء الإسلام ليسوا حفنةً من مقلدة العوام تغدو بهم كلمة وتروح بهم أخرى دون تبصّر ولا برهان، ولكنّهم لمّا رأوا هذين الإمامين الجليلين أبا الحسن الأشعريّ وأبا منصور الماتريديّ رحمهما الله قد انتصبا دليلين على طريق السّلف الصالح ينافحان عن معتقداتهم ويذبّان عن الكتاب والسّنّة هرعوا لنصرتهم وانتهضوا لتأييدهم ونشر طريقتهم في إثبات عقيدة السّلف الصالح، ولهذا فقط نسبوا إلى هذين الإمامين، وليس كما يظنّ البعض أنّهم يقلدونهما فيما ذهبا إليه. فلو فرضنا صحّة رجوع هؤلاء الأئمّة عن معتقد الأشاعرة، بل لو فرضنا رجوع عشرات غيرهم عن الأشعريّة ما كان هذا سيغير من الحقيقة التي أطبقت عليها الأمّة شيئًا، وغاية ما يقال حينها أنّ هؤلاء المتكلمين قد أخطأوا في ذلك.

على أن هؤلاء المتكلمين لم يرجعوا عن اعتقاد الأشاعرة ولا تبرّأوا منه، كيف وهو الامتداد الطّبيعيّ لما كان عليه السّلف، بل المنقول عن بعضهم أنّه رجع عن طريق التأويل في ظواهر المتشابه الذي كانوا يقولون به قبل إلى طريق التّفويض الذي هو طريق جمهور السّلف الصالح بعد تنزيه الله تعالى عما توهمه هذه

الظواهر من سمات المخلوقين، وكلا الطّريقين التفويض والتأويل بشرطه ثابت عن سلف الأمّة، وكلا المسلكين صحيح لا غبار عليه عند أهل الحقّ، أمّا الذي يأباه العقل والنّقل فهو نسبة حقائق هذه الألفاظ اللّغويّة «كاليد والعين والوجه» لله تعالى وحمل هذه الظواهر على ما يعهده الخلق من عوالمهم، وهذا قطعًا لم يقل به أحد من متكلمي أهل السّنّة ألبتة، بل ونصوص المتكلمين المدّعى رجوعهم واضحة وصريحة في الردّ على من يقول ذلك.

فهذا الإمام الجوينيّ الذي ينسبون له الرجوع عن معتقد الأشاعرة في رسالته «النِظاميّة» يصّرح في نفس هذه الرسالة بإطباق أهل الحقّ على تنزيه الله تعالى عن ظواهر نصوص المتشابه بقوله: «وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها وإجراؤها على موجب ما تبتدره أفهام أرباب اللسان منها».

أضف إلى ذلك أنّ «الرسالة النظاميّة» صنّفها الإمام الجويني رحمه الله للوزير نظام الملك ولهذا سمّاها بالنظامية نسبةً إليه، ولا يخفى أنّ الوزير نظام الملك أشعريّ المعتقد قال عنه الذّهبيّ بعد أن أثنى عليه ثناءً عاطرًا في «سير أعلام النّبلاء» ما نصه: «وكان شافعيًا أشعريًّا».

فهل كان الجوينيّ ليهدي الوزير نظام الملك كتابًا في نقض اعتقاده؟!

ثم نقول: ليس في «الرسالة النظاميّة» ما يناقض اعتقاد الأشاعرة في شيء، والذي ذكره الإمام الجوينيّ من ترجيح التفويض على التأويل هو أحد مسلكي الأشاعرة في نصوص المتشابه، وهو ثابت أيضًا عن أئمّة من السّلف الصالح كما نقله عنهم العلماء، فقد قال ابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى»: «ثم أقول: للأشاعرة قولان مشهوران في إثبات الصفات، هل تمرّ على ظاهرها مع اعتقاد

التنزيه أو تؤوّل، والقول بالإمرار مع اعتقاد التنزيه هو المعزوّ إلى السّلف، وهو اختيار الإمام - يعني الجوينيّ - في «الرسالة النظاميّة» وفي مواضع من كلامه، فرجوعه معناه الرّجوع عن التأويل إلى التّفويض، ولا إنكار في ذلك ولا في مقابله - يعني التأويل - فإنها مسألة اجتهاديّة، أعني مسألة التأويل والتفويض مع اعتقاد التّنزيه، إنما المصيبة الكبرى والداهية الدّهياء الإمرار على الظاهر والاعتقاد أنه المراد وأنه لا يستحيل على البارئ».

ومن يطالع «الرسالة النظاميّة» يعلم موافقتها لاعتقاد أهل السنة الأشاعرة، فمن أمثلة ذلك تنزيه الإمام الجويني لله تعالى عن الجهة والمكان والحيّز والحرف والصوت وظواهر المتشابه، وتشديده على القائلين بحوادث لا أوّل لها في الماضي، إلى غير ذلك من المسائل التي تدلّ دلالةً قاطعةً على تمسّك الإمام باعتقاد السادّة الأشاعرة.

زد على هذا كلام تاج الدين السبكي الأشعري في الرد على من نسب ذم الكلام للجويني حيث قال في طبقاته ما نصه: «وذكر ابن السمعاني أيضًا أنه سمع أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يذكر عن محمد بن طاهر المقدسي الحافظ قال: سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب بنيسابور وكان ممن يختلف إلى درس إمام الحرمين أنه قال: سمعت أبا المعالي يقول: لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به».

قلت أنا: يشبه أن تكون هذه الحكاية مكذوبة، إذ كيف يقول هذه الكلمة من بلغ به الكلام إلى المعالي كما لا يخفى على شيخ الغزالي الإمام أبي المعالي. وابن طاهر عنده تحامل على إمام الحرمين، والقيرواني المشار إليه رجل مجهول، ثم هذا

الإمام العظيم الذي ملأت تلامذته الأرض لا ينقل هذه الحكاية عنه غير رجل مجهول، ولا تعرف من غير طريق ابن طاهر، إن هذا لعجيب! وأغلب ظني أنها كذبة افتعلها من لا يستحي، وما الذي بلغ به رضي الله تعالى عنه علم الكلام؟ أليس قد أعزَّ الله به الحق وأظهر به السنة وأمات به البدعة؟». انتهى كلام السبكي.

وكذلك أبو حامد الغزاليّ فكتابه «إلجام العوامّ» الذي ينسب إليه الرجوع فيه هو في حقيقة الأمر تأصيل لمسلك السادة الأشاعرة من حيث تنزيه الله تعالى عن سمات الحوادث مثل الجهة والمكان والحروف والأصوات وظواهر المتشابه، بل هو قائل بالتأويل في مواضع من الكتاب وذلك في شرح الوظيفة الخامسة من الوظائف السّبع التي يجب على العوامّ مراعاتها عند سماع شيء من نصوص المتشابه، ومن يطالع الكتاب يعلم أنّ الغزالي لم يترك مذهب الأشاعرة ولا رجع عنه، وإنما رجّح مسلك التفويض على مسلك التأويل، وهو ترجيح منه ليس على إطلاقه كما أنه لا يفهم منه تضليل للقائلين بالتأويل، فإنّ الغزاليّ لا شكّ يعلم أنّ كلا المسلكين صحيح وإن كان الأرجح عنده والأفضل ـ عند عدم الحاجة ـ هو مسلك التّفويض الذي هو مسلك جمهور السّلف، أمّا إذا خاض النّاس في المتشابهات فلا بدّ حينئذٍ من البيان، ومن أساليب البيان التّأويل.

ثمّ إنّ كتاب «الإلجام» نفسه دليل على عدم رجوع الغزاليّ عن مذهب الأشاعرة وذلك أنّه آخر كتبه تصنيفًا، فقد قال البدر الزّركشيّ في «البرهان في علوم القرءان» عند كلامه على التأويل ما نصّه: «قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح: وعلى هذه الطريقة مضى صدر الأمّة وسادتها وإيّاها اختار أئمّة الفقهاء

وقادتها، وإليها دعا أئمّة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها، وأفصح الغزاليّ عنهم في غير موضع بتهجين ما سواها حتّى ألجم ءاخرًا في إلجامه كلّ عالم أو عامي عمّا عداها، قال: وهو كتاب «إلجام العوام عن علم الكلام» ءاخر تصانيف الغزاليّ مطلقًا ءاخر تصانيفه في أصول الدين، حثّ فيه على مذاهب السّلف ومن تبعهم».

وكذلك ما ينقل عن الفخر الرّازيّ لا يخرج عمّا ذكرناه سابقًا، بل إن الرّازيّ كان يوصي ءاخر حياته بكتبه التي صنّفها قبل، فجاء في وصيّته التي أملاها على أحد تلاميذه وهو على فراش الموت كما في «عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء»: «وأما الكتب العلمية التي صنّفتها واستكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها، فمن نظر في شىء منها فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التّفضّل والإنعام، وإلّا فليحذف القول السّيئ فإني ما أردت إلا تكثير البحث وتشحيذ الخاطر».

بهذا يتضح أن رؤوس المتكلمين في الأشاعرة أبعد من أن تنقاد في مسائل أصول الدين بلا تبصّر، حتى وإن كان إمام أهل السنة والجماعة أبا الحسن الأشعري، فإنّ اتباع الأمة له رحمه الله اهتداءً لا تقليدًا، لذا فإنّ أيّ محاولة للتشكيك في معتقد الأشاعرة بادعاء رجوع الإمام أبي الحسن أو رجوع أحد من الأئمة عنها لن تجدي مأربًا للمشككين ولن تغير من الحقّ الذي أطبقت عليه الأمّة بعلمائها شيئًا، فإنّ غاية ما يقال في أي دعوى من هذا القبيل إنْ صحّت عن أحد من مشاهير المتكلمين أنّه أخطأ فيما ذهب إليه فلا يقلّد في ذلك، وكلّ يؤخذ منه ويردّ عليه إلا المعصوم رسول الله ﷺ.

نصيحة شرعيّة واجبة

يجب على كل من اعتقد أو قال إنَّ الله جسمٌ أو أنَّه يجلس على العرش أو أنَّه يسكن السماء أو أنَّه روحٌ أو له روح أو يشبه الأرواح أو أنَّه ضوءٌ ملأ السماوات والأرض أو أنَّ اللهَ حلَّ في جملة العالم أو في شىء منه أو أنَّ الرسول اجتمع في المعراج في السماء بربّه أو دخل خلف السِّتار فرأى الله أو رآه يصلّي والملائكة خلفه أو أنَّ النبيَّ انتهى إلى مكانٍ فيه الله أو أنَّ النبيَّ اقترب من الله في السماواتِ كالحاجب من الحاجب أو صار بينه وبين الله كالذِّراعين قاب قوسين من المسافة أو **شبَّه الله بشىء من مخلوقاته** ولو بصفةٍ واحدةٍ فهو كافرٌ كما نقل الإجماع على ذلك الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى حيث قال في عقيدته المشهورة: «ومن وصف الله بمعنًى من معاني البشر فقد كفر»، ويجب عليه أن يرجع عن هذا الكفر وأن يعتقد أنَّ الله ليس كمثله شىء موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهةٍ ولا مكان وأنَّه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته على الإطلاق ولا بصفةٍ من الصِّفات ويتشهَّد ليدخل في الإسلام بقول: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، وليس بقول: أستغفر الله.

بيان أهمية علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الأمين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له، ولا شبيه ولا مثيل له، ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له، ولا صورة ولا أعضاء ولا كيفية ولا كمية له، ولا أين ولا جهة ولا حيز ولا مكان له، كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۝٧٤﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۝٦٠﴾ تنزه ربي عن الجلوس والقعود، وعن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال، لا يحل فيه شيء، ولا ينحل منه شيء، ولا يحل هو في شيء لأنه ليس كمثله شيء، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. وأشهد أنَّ حبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرة أعيننا محمّدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله ﷺ وعلى كلِّ رسول أرسله. الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا عظيم الجاه، ضاقت حيلتنا وأنت وسيلتنا، أدركنا وأغثنا وأنقذنا بإذن الله يا رسول الله، أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السرِّ والعلن، ألا فاتقوه وخافوه، يقول الله عزَّ وجلَّ في القرءان الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ ويقول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۝١٦٣﴾ وقال تقدست أسماؤه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ وقد بوّب البخاري رحمه الله تعالى وعنوَن في صحيحه لهذه الآية فقال: باب العلم قبل العلم والعمل، وفي هذه الآية قدَّم القرءانُ الأصلَ على الفرع، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٩﴾ فالإيمان والتوحيد أصل وأساس وهو الحصن الحصين والركن الركين الذي بدونه لا يقبل العمل الصالح، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ بالله ورسوله**»، وهذه الأفضلية المطلقة، فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله ورسوله، فهو أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأفضل من قراءة القرءان والصدقات والذكر، وذلك لأنَّ الإيمان شرطٌ أساسٌ لا بدّ منه لقبول الأعمال الصالحة، وقد قال ربنا في القرءان الكريم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ٢٧٧﴾ فالإيمان أولًا، وفي ءايةٍ أخرى قال ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ٩﴾، وقال ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه**»، فإذا دخل عليه الشكُّ أفسده وأبطله، فلا يعود ولا يبقى الإنسان مؤمنًا إن شكَّ في وجود الله تعالى أو في صدق الرسول ﷺ أو في حَقِّيَّة الإسلام، أو شكَّ في تنزيه الله، فهذا لا يكون من المسلمين، لذلك قال ربنا في صفة المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ١٥﴾ أي لم يشكوا لأنَّ الإيمان إذا دخل عليه الشك أفسده؛ من هنا كان الواجب والفرض اللازم المؤكد الأول الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهجٌ نبويٌّ وليس منهجًا مستحدثًا اليوم، وليس فكرةً ابتدعناها من عند أنفسنا وأخرجناها من جيوبنا، إنما هذا هو المنهج الذي جاء به محمد وعلَّمه ﷺ لصحابته وأمته.

وقد ثبتَ في الصحيح أنَّ أهل اليمن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: «يا رسول الله، جئناك لنتفقه في الدين، فأنبئنا عن بدء هذا الأمر ما كان»، فكان سؤالهم عن أول المخلوقات، أي عن أول هذا العالم وجودًا، وهو سؤالٌ مهم، إلا أن رسول الله ﷺ أجابهم عما هو أهم، أجابهم عن الأولى فقال ﷺ: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**»، أي في الأزل لم يكن إلا الله، لا سماء ولا أرض ولا هواء ولا ماء ولا عرش ولا فرش، لا خلاء ولا ملاء، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [٣]، فعلمهم الرسول ﷺ ذلك وأكده عليهم مع أنهم يعتقدونه لأنهم كانوا من المسلمين ويعرفون التنزيه، مع هذا علَّمَنا المنهج، سألوا عن مهم فأجابهم عن أهم. وقوله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**» يعني أن الله أزلي، أي أن الله لا مكان له فلا يسكن السماء ولا يجلس على العرش، ليس في جهةٍ واحدةٍ ولا في كل الجهات، فهو تعالى لا يحتاج إلى الأماكن أزلًا وأبدًا، هذا هو المنهج النبوي، وهذا تعليم الرسول ﷺ للأمة. ثم قال ﷺ: «**وكان عرشه على الماء**»، أي أنَّ الماء هو أول العالم حدوثًا ووجودًا، ثم بعد ذلك خُلِقَ العرشُ.

وانظر أخي القارئ إلى ما قاله حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: «إنا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرءان»، رواه البيهقي في السنن الكبرى وسعيد بن منصور في سننه. وقال سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا غلمان حزاورة مع رسول الله فيعلمنا الإيمان قبل القرءان ثم يعلمنا القرءان فازددنا به إيمانًا»، رواه البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجه في سننه والبيهقي في السنن الكبرى والبوصيري في زوائد ابن ماجه وقال: «إسناده صحيح». هذا هو

المنهج النبوي الصحيح.

ورُوي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نتعلم التوحيد قبل أن نتعلم القرءان، وأنتم الآن تتعلمون القرءان ثم تتعلمون التوحيد»، وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا كان خطابًا للذين كانوا في زمانه، فكيف بكثير من أهل زماننا اليوم الذين أعرضوا عن تعلم علم التوحيد والعقيدة، وهذا هلاك كبير. وفي قوله رضي الله عنه «كنا» يشير إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه إشارةٌ إلى أن الصواب هو ما كانوا عليه، فهذا تأكيد منه رضي الله عنه على أهمية علم التوحيد.

وانظر رحمك الله إلى ما صنفه التابعي الجليل الإمام العظيم أبو حنيفة النعمان رضي عنه من رسائل في هذا العلم الشريف، فقد ألَّف في علم التوحيد خمس رسائلَ، وقال في كتابه الفقه الأبسط: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»، يعني أن تتعلم أصول العقيدة أفضل من تعلم الأحكام الفرعية. وهذا الإمام أبو حنيفة بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ثم إنه كان تلميذ الصحابة، وأخذ العلمَ عن قريب المائة تابعي، فتأمل.

فهذا ما جاء في القرءان وما جاء في الحديث وما ورد عن الصحابة والتابعين. وقد سلك العلماء بعد التابعين مسلك من قبلهم، فانظر إلى ما جاء في كتاب «الفتاوى البزازية» أو الجامع الوجيز في مذهب أبي حنيفة للعلامة محمد بن محمد شهاب الدين يوسف الكردي البزازي الذي كان من علماء القرن التاسع الهجري، فقد قال رحمه الله: «تعليم صفة الخالق مولانا جلَّ جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور،

وعلى الذين تصدروا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، هذا الأصل في المجالس وعلى المنابر، هذا الأصل». وانظروا إلى ما قاله الفقيه الشافعي أبو حامد الغزالي في كتابه قواعد العقائد بعد أن تكلم عن مبحث الصفات والعقيدة والتنزيه والتوحيد: «اعلم أنَّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم للصبي في أول نشأته ليحفظه حفظًا»، والصبي هو من كان دون البلوغ.

فأين الذين ينتقدون أهل الحق ويعترضون عليهم في تكرارهم لأمور العقيدة من هذا الكلام؟ عمَّ الجهل وطمَّ وانتشر الفساد، وصار أهل السنة والجماعة كاليتيم الذي لا كافل له، فتخيل أخي القارئ يتيمًا لا كافلَ له كيف يكون حاله وأمره.

ومن مسائل علم العقيدة معرفة صفات الله تعالى الواجبة له إجماعًا وهي الصفات الثلاث عشرة التي لطالما تكرَّر ذكرها في مصنفات العلماء، ولما تكرَّر ذكرها في القرءان والحديث ونصوص العلماء قال العلماء: «يجب معرفتها وجوبًا عينيًّا» على كل مكلف، والوجوب في هذه المسألة هو معرفة معناها لا أن تُحفظ عين الألفاظ، وهذا سهل - أي اعتقاد المعنى - فهذا فرضٌ على كل مكلفٍ، وممن ذكر ذلك أبو حنيفة الذي هو من أئمة السلف وممن بعده السنوسي، وكذلك محمد الفضالي الشافعي وعبد المجيد الشرنوبي المالكي، وكذلك جمال الدين الخوارزمي، ومحيي الدين النووي في كتابه المقاصد، ومفتي لبنان الأسبق الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري في كتابه الكفاية لذوي العناية وغيرهم من العلماء.

وصفات الله الثلاث عشرة الواجبة له إجماعًا هي:

الوجود: فالله تعالى يستحيل عليه تعالى العدم، موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهة ولا مكان، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ۝١٠﴾ أي لا شكَّ في وجوده سبحانه، ووجوده تعالى أزلي أبدي ليس كوجودنا الحادث، فوجودنا بإيجاد الله لنا.

الوحدانية، أي أنَّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وفعله؛ قال عزَّ من قائل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

القيام بالنفس: أي أنه تعالى مستغنٍ عن كلِّ ما سواه، وكلُّ ما سواه محتاج إليه، فالعالم بما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، قال عزَّ وجلَّ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾

القِدَم: بكسر القاف وفتح الدال، أي الأزلية، أي أنَّ الله تعالى لا ابتداء لوجوده، فيستحيل عليه تعالى الحدوث؛ قال تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ ۝٣﴾

البقاء: أي أنَّ الله تعالى لا نهاية لوجوده، لا يفنى ولا يبيد ولا يهلك ولا يزول فيستحيل عليه الفناء، قال جلَّ جلاله ﴿وَٱلْءَاخِرُ ۝٣﴾.

القدرة: وهي صفة أزليةٌ أبدية يؤثر الله بها في الممكنات، فيستحيل عليه تعالى العجز، قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾

الإرادة: أي المشيئة، وهي تخصيص الممكن العقلي ببعض ما يجوز عليه دون بعض وبصفةٍ دون أخرى، فيستحيل حصول شيء خلاف مشيئته تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

السمع: فالله تعالى يسمع كلَّ المسموعات بدون أذن ولا ءالةٍ أخرى،

فيستحيل عليه تعالى الصمم، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ۝١١﴾

البصر: فالله تعالى يرى جميع المرئيات بدون حدقةٍ ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى العمى، قال تعالى. ﴿ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾.

الكلام: أي أنَّ الله متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، وما نجده في القرءان من ألفاظٍ عربيةٍ إنما هو عبارةٌ عن كلام الله الذاتي الأزلي وليس عين الصفة القائمة بذاته الكريم، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾

الحياة: فالله تعالى حيٌّ يستحيل عليه تعالى الموت، وحياته ليست بروح ودم وعصب، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢٥٥﴾

العلم: أي أنَّ الله تعالى عالمٌ بكل شىء، فهو تعالى يعلم الممكن ممكنًا والمستحيل مستحيلًا والواجب واجبًا، فيستحيل عليه تعالى الجهل، قال عزَّ من قائل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾. وعلمه تعالى أزليٌّ أبدي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد.

المخالفة للحوادث: أي أنَّ الله تعالى لا يشبه شيئًا من كلِّ مخلوقاته بالمرة ولا بأي وجهٍ من الوجوه، ولا بأيِّ صفةٍ من الصفات، يقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۝١١﴾ وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

هذه عقيدة كل المسلمين، عقيدة جميع الأنبياء والرسل، عقيدة الصحابة، وعقيدة السلف والخلف، فمن شكَّ أو توقَّف أو أنكر صفةً من صفات الله فهو كافرٌ بالله تعالى كما ذكر ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال سيدنا عليٌّ

رضي الله عنه: «من زعم أنَّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود»، ومن جهل الله كان كافرًا به. وقد قال سيدنا علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: «الجهل بالله كفر به»، فالذي ينسب لله الحدَّ صغيرًا كان أم كبيرًا أو ينسب لله الكمية أو الجسم أو الشكل أو الصورة أو الهيئة ليس مسلمًا. وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي أبو منصور في كتابه تفسير الأسماء والصفات الإجماع على كفر المجسمة وعلى كفر القدرية الذين يكذبون بالقدر.

وبعد كلِّ ما نقلناه من ءاياتٍ قرءانية وأحاديث نبويةٍ وأقوالٍ للعلماء كيف يسعنا السكوت عن تعليم الناس أمور دينهم أو أن نقصِّر في نشر علم التوحيد والتنزيه الذي هو الأصل والأساس.

وأختم بما قاله الرازي في كتابه مناقب الشافعي، قال رحمه الله: «من أنكر وذمَّ وأبغض علم الكلام - يعني أصول العقيدة - فهو كافر»، وهذا نصٌّ صريحٌ من الإمام الرازي في تكفيره، بل وزاد قائلًا: «كافر لا يعرفُ اللهَ ولا يعرف الرسولَ ولا اليوم الآخر، وهو على دين ءازر» أي مشرك بالله، فهاك ما قاله الرازي فيمن يذم علم التوحيد علم العقيدة والتنزيه، فلا تلتفتوا إلى الغوغاء الذين يهولون الأمر بالأراجيف، ويقولون: «لا تتكلموا في التوحيد، لا تتكلموا في العقيدة، العلماء ذموا علم الكلام»، قولوا لهم: كذبتم، العلماء ذموا المعتزلة والمجسمة والقدرية والمرجئة وأهل الأهواء، أما علم التوحيد فقد قال فيه الشافعي: «أحكمنا ذاك قبل هذا»، أي أتقن علم التوحيد قبل علم الفقه والفروع. هذا الشافعي وهذا أبو حنيفة وهذا حذيفة وهذا جندب وهذا عبد

الله بن عمر وهذه الأحاديث وهذا الإجماع الذي نقله العلماء على أهمية تعلم علمِ العقيدةِ علمِ الكلام الذي اشتغل به علماء أهل السنة والجماعة، فماذا يريد المعارضون بعد ذلك؟

تمكنوا في علم التوحيد، تمكنوا في علم العقيدة، فإنَّ من لم يعرف التنزيه والتوحيد لم يعرف الله، ومن لم يعرف الله ليس من المسلمين، ومن لم يكن مسلمًا لا تصحُّ منه صلاة ولا صيام ولا حج، ومن مات على غير الإسلام فإنه يخلد في النار، اللّٰهُمَّ إنّا نسألك العفو والعافية في الدّين والدّنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ ومن اتّبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

قائمة المصادر والمراجع

- **أبكار الأفكار (مخطوط)**، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، ءايا صوفيا - ٢١٦٥ توحيد.

- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمَرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت.

- **إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات**، محمود السبكي، مطبعة الاستقامة، مصر.

- المسمى كذبًا: **اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية**، محمد بن أبي بكر ابن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى.

- **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت.

- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي ركن الدين الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ.

- **الأسماء والصفات**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ومكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

- **إشارات المرام من عبارات الإمام**، الإمام القاضي كمال الدين أحمد البياضي الحنفي المذهب الماتريدي العقيدة المتوفى سنة (١٠٩٧هـ)، مصطفى الحلبي، القاهرة.

- **الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

- **إظهار العقيدة السُنيّة بشرح العقيدة الطحاوية**، الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة.

- **الاعتماد في الاعتقاد**، الشيخ الشريف أبي المحاسن محمد القاوقجي الطرابلسي الحنفيّ الحسني (المتوفى: ١٣٠٥هـ) طبعة بإذن نجل المؤلف، القاهرة.

- **الإعلام بقواطع الإسلام**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، أبو العباس، دار التقوى، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

- **إلجام العوام عن علم الكلام**، أبو حامد الغزالي.

- **الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).

- **البحر المحيط في أصول الفقه**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

- **تاريخ الأمم والملوك**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

- **تبصرة الأدلة في أصول الدين**، الإمام أبو المعين النسفي الحنفي (المتوفى: ٥٠٨هـ)، دمشق.

- **التبصير في معالم الدين**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

- **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

- **التحذير الشرعي الواجب**، عبد الله الهرري، دار المشاريع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.

- **التذكار في أفضل الأذكار**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي.
- **التعاون على النهي عن المنكر**، عبد الله الهرري، شركة دار المشاريع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
- **تفسير الأسماء والصفات**، أبو منصور البغدادي، مكتبة راشد أفندي، أنقرة.
- **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- **تهذيب الأسماء واللغات**، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.
- **التوحيد**، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، دار المشرق، بيروت.
- **الثقات**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- **جامع الأحاديث**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).
- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، دار الفكر، بيروت.

- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري،** محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

- **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين،** نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ)، مطبعة المدني / ١٤٠١ هـ.

- **حاشية الصفتي على شرح ابن تركي على العشماوية،** دار الفكر، بيروت.

- **الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية،** أبو بكر محمد بن سابق الصقلي.

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،** أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)،** محمد بن أحمد ميارة المالكي، دار الفكر، بيروت.

- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

- **دفع شبه من شبه وتمرد،** تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي.

- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة،** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- **الدليل القويم على الصراط المستقيم**، الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية.
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، دار التراث للطبع والنشر ، القاهرة.
- **ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.
- **ذيل طبقات الحنابلة**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- **الرسالة القشيرية**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، دار المعارف، القاهرة.
- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.
- **سنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، دار الجنان، بيروت، والمكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

- **السنن الصغرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي، باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

- **سلسلة الدراسات العقدية عدد ٢**، أحمد نور سيف.

- **سير أعلام النبلاء**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المجسم) (المتوفى: ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- **شرح الإلمام بأحاديث الأحكام**، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢ هـ)، دار النوادر سوريا، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ.

- **شرح الشفا**، علي بن (سلطان) محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

- **شرح صحيح مسلم**، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- **شرح عقيدة مالك الصغير**، عبد الوهاب البغدادي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ.

- **شرح الفقه الأكبر**، علي بن (سلطان) محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **شرح مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

- **الصراط المستقيم**، الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة التاسعة.

- **صفة الصفوة**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة ١٤٢١هـ.

- **طبقات الحفاظ**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

- **طبقات الصوفية**، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

- **طبقات الفقهاء**، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، دار الرائد العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

- **طبقات المفسرين العشرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

- **طرح التثريب في شرح التقريب (تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)**، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ)، الطبعة المصرية القديمة.

- **العقد الفريد**، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- **العقيدة الطحاوية**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ).

- **غاية المرام في علم الكلام**، أبو الحسن سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، القاهرة ١٩٧١ر.

- **الفتاوى الحديثية**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري شهاب الدين أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت.

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت.

- **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي (المتوفى: ١١٤٣هـ)، طبعة بيروت.
- **الفتوى الحموية الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ.
- **فُرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان**، سلامة القضاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- **الفقه الأبسط**، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ).
- **الفقيه والمتفقه**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، دار إحياء السنة النبوية.
- **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ.
- **الكتاب**، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- **كتاب الحيوان**، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

- **كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**، تقي الدين الحصني، دار الخير، دمشق، ١٩٩٤هـ.

- **كفاية النبيه في شرح التنبيه**، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري أبو العباس نجم الدين، المعروف بابن الرفعة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

- **لسان الميزان**، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

- **لمعة الاعتقاد**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

- **مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري**، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك.

- **مجمع الأمثال**، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، دار المعرفة، بيروت.

- **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ.

- **مختصر التيسير في تحكيم أهل التفسير**، أحمد محمد بالعيت الوقراوي، مجمع ابن عمر الإسلامي، القضارف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ر.

- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

- **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

- **المصنف**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المجلس العلمي، الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- **معالم دمشق التاريخية**، أحمد الأيبش وقتيبة الشهابي، مكتبة المتنبي، الطبعة الأولى.

- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، دار الحرمين، القاهرة.

- **معجم البلدان**، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية.

- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
- **مفاتيح الغيب، التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت.
- **المفردات في غريب القرءان**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- **مقالات الكوثريّ**، محمّد زاهد بن الحسن بن عليّ الكوثريّ الحنفيّ، دار الأحناف، الرياض.
- **ملجمة المجسمة**، أبو عبد الله علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخاري الحنفي، دار الذخائر، بيروت، لبنان.
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
- **الوصية**، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ).
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، دار صادر، بيروت.

الفهرست